



کتابخانه مجلس شورای اسلامی



جمهوری اسلامی ایران

شماره ثبت کتاب

۷۲۵۲۸

کتاب

مؤلف

مترجم

موضوع

شماره قفسه

مجله

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31

کتابخانه
مجلس شورای
اسلامی

چاپی اهدائی

۳۴۴

کتابخانه مجلس شورای اسلامی

جمهوری اسلامی ایران

شماره ثبت کتاب

کتاب

مؤلف

مترجم

موضوع

شماره قفسه

۷۳۵۲۸

۱۳۵۲

کتابخانه مجلس شورای اسلامی	چاپی اهدائی
۳۴۴	۳۴۴

أم الأمان إلى

في التفسير والحديث والأدب

للسيد الشريف أبي القاسم أحمد الحسين

المتوفي سنة ٤٣٦ هـ

الجزء الرابع

حقوق الطبع محفوظة

بياع بمكتبة

محمود علي صبيح : واهبه محمد

بميدان الأزهر المعمور

بميدان الأزهر المعمور بميدان الأزهر المعمور

الجزء الرابع

جانب الهدايا

٤٤

٥٩٧

الجزء الرابع من كتاب

أما إلى السيد الميرضي

الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضى الله عنه

في التفسير والحديث والادب



الطبعة الاولى

(سنة ١٣٣٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

٤٤

« حقوق الطبع محفوظة »

٧٣٥٢٨

ثبت

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه

حضرة الفاضل الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا



(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] ٠٠ ان سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ٠٠ الجواب أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الاسلام قبل أن تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه يذهب الى أنه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن ينصره أبواه ويهوداه ما وراثته وكذلك لو ماتا قبله ما وراثتهما لأنه مسلم وهما كافران وما كان أيضاً يجوز أن يسي فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم أنه يولد على دأب أبيه ٠٠ قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال هذا بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب الى أنهم يولدون على ما يصيرون من اسلام أو كفر فمن كان في علمه أنه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة ومن كان في علمه أنه يموت كافراً ولد على ذلك ٠٠ قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر أنه قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي جميعاً فاجتالهم الشياطين عن دينهم وجمعت ما أحلت لهم حراماً ٠٠ قال أبو عبيد يريد بذلك النعائر والسوائب وغير ذلك لما أحله الله تعالى فجعلوه حراماً ٠٠ وأما ابن قتيبة فإنه قال وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد لست أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله ابن المبارك ومحمد بن الحسن مقتنعاً أن أراد أن يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على أن ردّا على من قال من أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على أن الحديث منسوخ والمنسوخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج العموم

٠٠ قال ولا أرى معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فإنه قال فيه هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصالاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج منه ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فأراد عليه الصلاة والسلام أن كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الأول وهو الفطرة ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وهذا كله خبط وتخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله أن قوله عليه الصلاة والسلام يولد على الفطرة يحتمل أمرين ٠٠ أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين وتكون على بمعنى اللام فكأنه عليه الصلاة والسلام قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغ مبلغ المكلفين إلا ليعبد الله فينتفع بعبادته ويشهد بذلك قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) والدليل على أن على تقوم مقام اللام ما حكاه ابن السكيت عن أبي زيد عن العرب أنهم يقولون صف على كذا وكذا حتى أعرفه بمعنى صف لي ويقولون ما أغيفك علي يريدون ما أغيفك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه ٠٠ وقال الطرماح

كَانَ مَخَوَاهَا عَلَى ثَفَنَاتِهَا مَعْرَسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَانِ

وقال غنيرة

شَرِبْتُ مَاءَ الدُّحْرِ ضَيْنٍ فَأَصْبَحْتُ زَوْراً تَنْفِرُ عَنْ حَيَاضِ الدَّيْلَمِ
معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ما يقال لأحدهما وشيع والآخر دحرض فغلب الأشهر وهو الدحرض وانما ساغ أن يريد عليه الصلاة والسلام بالفطرة التي هي الخلقة

(١) - مخواها - نجافها في بروكها - وثفناها - جمع ثفنة بكسر الفاء وهي ركبتها وما مس الأرض من كركرتها وسعداتها وأصول أخفافها - ومعرس خمس - موضع تعريسا أي نزولها آخر الليل للاستراحة وخس أي خمس من القطار - ووقعت - بركت - والجنجان - عظام الصدر وقيل رؤس الأضلاع وقيل أطراف الأضلاع مما يلي قص الصدر وعظم الصلب الواحد جنجن وجنجنه بكسرهما ويفتحان وقيل واحدهما جنجون

في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ماله به هذا الضرب من التعاقب والاختصاص وعلى هذا يتأول قوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي) الآية أراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله (لتبديل خلق الله) المراد به أن ما خلق العباد له من العباد والطاعة ليس بما يتغير ويختلف حتى يخلق تعالى قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك الأمر وأن كان ظاهره الخبر فكانه تعالى قال ولا تبديلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا . والوجه الآخر في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة أن يكون المراد بها الخلقة وتكون لفظة على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الفطرة الدالة على وحدانيته تعالى وعبادته والإيمان به لانه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به وإن لم ينظروا ولم يعرفوا فكانه قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً وهذا الوجه يحتمل أيضاً قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين أحدهما أن من كان يهودياً أو نصرانياً ممن خلقته لعبادتي ودينى فأما جعله كذلك أبواه ومن جراً مجراها ممن يوقع له الشبهة ويقدر الضلال عن الدين وأما خص عليه الصلاة والسلام الأيوين لأن الأولاد في الأكثر ينشئون على مذهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله عن الضلالة للعباد وكفرهم وأنه إنما خلقهم للإيمان فصددهم عنه آبائهم ومن يجري مجراهم . والوجه الآخر أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهم لأن أطفال أهل الذمة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم فكانه قال عليه الصلاة والسلام لا تشوهوا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلا للإيمان والدين الصحيح لكن آبائهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم وعبر عليه الصلاة والسلام عن إدخالهم في أحكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح . فأما جواب أبي عبيد الله الذي حكاه عن محمد بن الحسن فأنا إذا تمكنا من حمل الخبر على وجه نسلم

معه من النسخ لم نحتج إلى غيره وإنما توهم النسخ لا اعتقاده أن خلقهم على الفطرة يمنع من إلحاقهم بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع . وأما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففساد لأن الله تعالى لا يجوز أن يخلق أحداً للكفر فكيف يخلق له وهو يأمره بالإيمان ويريد منه ويعاقبه ويذمه على خلافه . فأما ما روى عنه عليه الصلاة والسلام وقدره عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين فإنه يحتمل أن يكون عليه الصلاة والسلام سئل عن لم يبلغ من أطفال المشركين كيف صورته وإلى أي شيء تنهي عاقبته فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم بما كانوا يعملون فأراد أن ذلك مستور عنى ولو كانت المسألة عن اختتم طفلاً لم يجوز أن يكون الجواب ذلك وأما ابن قتيبة فإنه رد على أبي عبيد من غير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وكيف يليه على فساده من هذه الجهة وقد اختار في تأويل الخبر ما يجري في الفساد والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك . فأما النسخ في الأخبار فحائز إذا تضمنت معنى الأمر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الأمر دالا على جواز ذلك فيها وهذا مثل أن يقول عليه الصلاة والسلام الصلاة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الأول كما لو قال عليه الصلاة والسلام صلوا ثم قال لا تصلوا كان النسخ الثاني ناسخاً للأول . فأما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الأمالي عند تأويلنا قوله تعالى (وأخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) وأفسدنا قول من اعتقد أنه مسح ظهر آدم عليه السلام واستخرج منه الذرية وأشهدا على نفوسها وأخذ أقرارها بمعرفته بوجوده من الكلام ولا طائل في إعادة ذلك

مجلس آخر ٥٧

[تأويل آية] . . . أن سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها) الآية

إلى قوله تعالى (إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) فقال ما معنى الاستثناء هنا والمراد
الدوام والتأيد ثم ما معنى التثنية بمدة السموات والأرض التي تفتى وتنقطع .. الجواب
قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولها أن تكون إلا وإن كان ظاهرها الاستثناء
فالمراد بها الزيادة فكأنه تعالى قال (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء
ربك) من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار إلا
الفين الذين أقرضتكهما وقت كذا وكذا فاللفان زيادة على الألف بغير شك لأن
الكثير لا يستغنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين .. والوجه
الثاني أن يكون المعنى إلا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي
البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لأنه تعالى
لو قال خالدين فيها أبداً ولم يستثن لنوهم متوهم أنهم يكونون في الجنة والنار من لدن
نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وقائدة معقولة .. والوجه
الثالث أن تكون إلا بمعنى الواو والتأويل فيها مادامت السموات والأرض وما شاء ربك
من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكل أخ مفارقة أخوه
لعمراً يبك إلا الفرقدان^(١)

(١) البيت من شواهد سيبويه والمغنى على أن إلا صفة لكل مع صيغة جعلها أداة
استثناء ونصب الفرقدين على الاستثناء كما هو الشرط في وصفية إلا .. قال ابن هشام في المغنى
والوصف هنا مخصص فإن ما بعد الامتداد لما قبلها لأن المعنى كل أخوين غير هذين
السكرانيين متفارقان وليست الاستثنائية إلا لئلا لا الفرقدين بالنصب لأنه بعد كلام
تام موجب كما هو الظاهر مع كونه مستغرق وهو كل أخ كما نصب الشاعر في هذا البيت
وهو من أبيات المذكورة في مختار أشعار القبائل لأبي تمام صاحب الحاسة لأسعد
الذهلي وهو

وكل أخ مفارقة أخوه
لشعط الدار إلا ابني شمام

وابنا شمام جبلان وما يفتح الشين المعجمة وكسر الميم كندام وقيل هما جبلان في دار

معناه والفرقدان ويقول الآخر

وأري لها داراً بأغيرة السـ
إلا رماذا هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحـ

والمراد بالاهنسا الواو والا كان الكلام متناقضاً .. والوجه الرابع أن يكون
الاستثناء الأول متصلاً بقوله تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) وتقدير الكلام لهم في النار
زفير وشهيق إلا ما شاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق
الاستثناء بالخلود فإن قيل فهو إن هذا أمكن في الاستثناء الأول كيف يمكن في الثاني
بني تميم مما يلي دار عمرو بن كلاب وقيل شمام هو جبل وابناء رأساء وعند ابن الحاجب
في البيت الشاهد شذوذ من ثلاثة أوجه أحدها أنه اشترط في وقوع الصفة تعذر الاستثناء
وهنا يصح لو نصبه وثانيها وصف المضاف والمشهور وصف المضاف إليه وثالثها الفصل بين
الصفة والموصوف بالخبر وهو قليل والبيت جاء في شعرين لصحابيين أحدهما عمرو بن
معد يكرب أنشده الجاحظ في البيان والتبيين له وكذا نسبة إليه المبرد في السكامل وصاحب
جمهرة الأشعار وغيرهم والثاني حضرمي بن عامر الأسدي وهو القائل

ألا عجبت عميرة أمس لما
تقول أري أبي قد شاب بعدى
رأت شيب الذؤابة قد علاني
وأقصر عن مطالبة الغواني

إلى أن قال

وذي فجع عزفت النفس عنه
أخي ثقة إذا ما ليدل أفضى
قطعت قرينتي عنه فأغنى
وكل قرينة قرت بأخرى
وكل أخ مفارقة أخوه
فكان اجابتي إياه أني
حذار الشامتين وقد شعاني
إلى بمؤيد جلي كفاي
غناه فلن أراه ولن يراني
ولو ضلت بها ستفرقان
لعمري أليك إلا الفرقدان
عطفت عليه خوار العنان

وهذا البيت الأخير يروي لعنترة بن شداد العبسي

• قلنا يحمل الثاني على استثناء المسك في المحاسبة والموقف أو غير ذلك مما تقدم ذكره •
 • والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في نقصان من الخلود وإنما الغرض فيه أنه
 لو شاء أن يخرجهم وأن لا يخلدهم في أن التخليد إنما يكون بمشيئته وإرادته كما يقول القائل
 لغيره والله لا ضربك إلا أن أرى غير ذلك وهو لا ينوي إلا ضربه ومعنا الاستثناء هنا
 أني لو شئت أن لا أضربك لفعلت وتمكنت غير أني جمعت على ضربك • والوجه السادس
 أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعية للخروج لأن الله تعالى
 لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله
 لا يحركك إلا أن يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك أني أجرك أبداً من حيث
 علق بشرط معلوم أنه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما أنهم خالدون أبداً
 لأن الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم • والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا
 من أدخل النار من أهل الإيمان الذين ضموا إلى إيمانهم وطاعتهم المعاصي فقال الله تعالى
 أنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك من إخراجهم إلى الجنة وإبصال ثواب طاعتهم إليهم
 • ويجوز أيضاً أن يريد بأهل الشقاء هنا جميع الداخلين إلى جهنم ثم استثنى تعالى
 بقوله إلا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ومن يستحق ثواباً لا بد أنه يصل إليه فقال
 تعالى إلا ما شاء ربك من إخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فاعلموا
 استثنى تعالى من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لأن من قل من النار إلى الجنة وخلد فيها
 لا بد من الأخبار عنه بتأييد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال أنهم خالدون
 في الجنة مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار
 قبل أن يغلقهم إلى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وإنما أجري
 عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم إذا أدخلوا النار وغوqبوا فيها من أهل الشقاء وإذا نقلوا
 إلى الجنة من أهل الجنة والسعادة وقد ذهب إلى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن
 عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن
 عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار
 بذنوبهم ثم يتفضل الله تعالى عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون أشقياء في حال

سعداء في حال أخرى وأما تعليق الخلود بدوام السموات والأرض فقد قيل فيه إن
 ذلك لم يجعل شرطاً في الدوام وإنما علق به على سبيل التبعية وتأكيده الدوام لأن العرب
 في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لأنهم يقولون لا أفعل كذا ما لاج
 كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بلل بحر صوفة وما تفتت حمامة
 ونحو ذلك ومهادهم التأييد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا أفعل كذا
 أبداً لأنهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه أنه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم إنما يخرجونها
 بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما عليه الشيء في نفسه ألا ترى أن بعضهم لما اعتقدوا في
 الأصنام أن العبادة تحق لها سموها آلهة بحسب اعتقاداتهم وإن لم تكن في الحقيقة كذلك
 وما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول أبي الجوزية العبدى

ذَهَبَ الْجُودُ وَالْجَنِيْدُ جَمِيْعاً فَعَلِيَ الْجُودُ وَالْجَنِيْدُ السَّلَامُ
 أَصْبَحَا ثَاوِيَيْنِ فِي قَعْرِ مَرْتٍ مَا تَنَنَّتْ عَلَى النُّصُورِ الْحَمَامُ

وقال الأعشى

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًّا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرَ هَامَا أَطَّتِ الْإِبِلُ^(١)

وقال الآخر

لَا أَفْتَا الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنْتِ إِلَى بَلَدٍ

وقال زهير مبيناً عن اعتقاده دوام الجبال وإنما لا نفى ولا تنكير

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَّاسِيَا

(١) - التمتع - البرى - والأثل - بالفتح شجر معروف قيل هو الطرفاء وقيل السم
 وأحدته أثلة وجمعه أثلات محركة وأثول بالضم - وأطت - من أطيأ الأبل وهو تقيض
 جلودها عند الحكمة والتقيض بفتح النون وكسر القاف وفي آخره ضاد معجمة وهو
 صوت اللسع والرحل والمفاصل والاضلاع

فهذا وجه وقيل أيضاً في ذلك أنه أراد تعالى به الشرط وعلى الآية دوام السموات والأرض المبدلتين لأنه تعالى قال (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فأعلمنا تعالى أنهما تبدلان وقد يجوز أن يديهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع وإنما المنقطع هو دوام السموات والأرض قبل التبدل والفناء ويمكن أيضاً أن يكون المراد أنهم خالدون بمقدار مدة السموات والأرض التي يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيد الله تعالى على ذلك ويخلدهم ويؤيد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي تتضمن أن الاستثناء أريد به الزيادة على المقدار المقدم لا النقصان. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا القاسم الآمدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت له مضاف إليه مع ظلمه له في أشياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البحتري وحكي قوله

كالبدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُجْتَلِي وَالشَّمْسُ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَغْرُبُ

ثم قال وهذا فيه سؤال لأنه لما قال كالبدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُجْتَلِي فالمراد أن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتلي به وهي لا تراها العيون ولا تجتلي ثم قال والشَّمْسُ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَغْرُبُ وإنما قال لا تجتلي لأنها محجوبة فإذا كانت في حجاب فهي في غروب لأن الشمس إذا غربت إنما تدخل تحت حجاب فظاهر المعنى كالبدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُجْتَلِي لأن الشمس إلا أن العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كما ترى قال وأظنه أراد أنها وإن كانت في حجاب فإنه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وإنما يقال لها إذا سافرت بعدت وغربت إذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل أغرب عنا أي ابتعد ولو استعار لها اسم الغروب للغروب عن الأرض التي تكون فيها إذا طعنت عنها إلى أرض أخرى كان ذلك حسناً جداً لا سيما وقد جعلها شمساً كما قال إبراهيم بن العباس الصولي

وَزَالَتْ زَوَالُ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ يُخْبِرُنِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا
قال وقد يجوز أن يقول قائل أنه أراد لا تغرب تحت الأرض كما تغرب الشمس وهذه معاذير ضيقة لآبي عبادة فإن لم يكن قد أخطأ فقد أساء. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وما الخطي غير الآمدي ومراد البحتري بقوله أوضح من أن يذهب على مثايل

لأنه أراد بقوله والشمس إلا أنها لا تغرب أي أنها لا تصير حيث يتعذر رؤيتها ويمتنع كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عن أفق بلده والمرأة وإن احتجبت باختيارها فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لأنها إذا شامت ظهرت وبرزت للعيون والشمس إذا غربت فرويتها غير ممكنة ولهذا لا يصح أن يقال قيم استظل بدار أو جدار عن الشمس أنها غربت عنه وإن كان غير راء لها لأن رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع وكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تناقض في بيت البحتري على ما ظننه الآمدي. ولبعضهم في هذا المعنى

قَدْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ وَاسْتَعْبَرْتُ حِينَ بَدَأَ مَا فِيكَ يَا بَدْرُ لِي مِنْ وَجْهِهَا خَلْفُ
تُبْدِي لَنَا كُلَّمَا شِئْنَا حَاسِنَهَا وَأَنْتَ تَنْقُصُ أَحْيَانًا وَتَنْكَسِفُ

فعنى قوله فأنت تنقص وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لأنه فضلها على البدر من حيث كان بروزها لمبصرها موقوفاً على اختيارها والبدر ينقص وينكسف على وجه لا يمكن رؤيته كما فضلها البحتري بأنها لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك. وقد ظلم الآمدي البحتري في قوله

لَا الْعَذْلُ يَرُدُّهُ وَلَا التَّعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهُ

قال الآمدي وهذا عندي من أعجبي ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنف الخليفة على الكرم أو يصد أن هذا بالهجو أولى منه بالمدح. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه والبحتري في هذا عذر من وجهين. أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكأنه قال لو عنف وعذل لما صد ذلك عن الكرم وإن كان من حق العذل والتعنيف أن يصد أو يحجز عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام العرب كثير مشهور وقد مضى فيما أملينا من ذلك. والوجه الآخر أن العذل والتعنيف وإن لم يتوجها إليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجود بنفائس الأموال ولم يقل البحتري إن عذله يردعه أو تعنيفه يصد وإنما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصد فكأنه أخبر أن ما يسمعه من عذل العذال على الكرم

وتعريفهم على الجلود وان كان متوجهاً إلى غيره فهو غير صادقة لقوة عزيمته وتشدق بصيرته
 .. وما خطأ الآمدى البحرى فيه وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله

ذَنبٌ كَمَا سَحَبَ الرِّدَاءَ يَذِيبُهُ عَنْ عَرْفٍ وَعَرَفٌ كَالْفِتْنَةِ الْمَسْبِلِ

قال الآمدى وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الأرض كان هيئاً فكيف
 اذا سحبه وانما الممدوح من الأذنب ما قرب من الأرض ولم يمسا كما قال امرؤ القيس
 يَضَافُ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ^(١)

قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُورِ

قال وما أرى العيب يلحق امرأ القيس لان العروس وان كانت تسحب أذيالها وكان
 ذنب الفرس اذا مس الأرض هيئاً فليس يشكر أن يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى أن يمسه
 الأرض لان الشيء انما يشبه الشيء اذا قارب أو دنا من معناه فاذا أشبه في أكثر أحواله فقد
 صح التشبيه ولا في به وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط
 وانما أراد السبوح والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال تسد به فرجها من دور وقد
 يكون الذنب طويلاً يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ولا يسد فرج الفرس فلما قال
 تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوح مع الطول فاذا أشبه الذنب الذيل من
 هذه الجهة كان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب العيب وانما
 العيب في قول البحرى ذنب كما سحب الرداء فافصح بأن الفرس يسحب ذنبه .. ومثله
 قول امرئ القيس قول خداس بن زهير

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَيْدَى إِلَى جَوْجُوءِ أَيْدِ الرَّاهِي

والهيدى العروس التي تهدي الى زوجها والابيد الشديد والزاهر الصدر لانها تفر منه

(١) وحده .. كيت إذا استقبلته مد فرجه .. الخ .. والاعزل من الخيل الذي يقع ذنبه

في جانب وهو عادة لاختلافه وهو عيب

قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى أن يمس الأرض ..
 [قال الشريف] رضى الله عنه والبحري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس
 في قوله مثل ذيل العروس غير أن الآمدى لم يظن له وأول ما قوله ان الشاعر لا يجب
 أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتعبد فان ذلك متى اعتسر في الشعر بطله جيمه
 وكلام القوم مبنى على التجوز والتوسع والاشارات الخفية والابناء على المعاني تارة من
 بعد وتارة من قرب لانهم لم يحاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المتعلق وانما خاطبوا
 من يعرف أوضاعهم ويضم اغراضهم وانما أراد البحرى بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة
 في وصفه بالطول والسبوح وأنه قد قارب أن يسحب وكاد يمس الأرض ومن شأن العرب
 أن تجري على الشيء الوصف الذي كان قد يستعفه وقد قرب منه القرب الشديد فيقولون
 قتل فلاناً حوي فلانة وولاه عقله وزال تمييزه وأخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما
 أرادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشاركة ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى ومن شأنهم
 أيضاً اذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثير
 وبالدهس وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور ويقدر حلقه الخاتم ويعدون هذا غاية
 المدح وأحسن الوصف ونحن تعلم أنا لو رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور وكفله
 كالكتيب العظيم لاسمعتناه واستهجننا صورته لنكارتها وقبحها وانما أتوا بالفاظ المبالغة
 صنعة وتأخراً لا لتعمل على تلواهرها تحديداً وتحقيقاً بل ليفهم منها الغاية الحمودة والنهاية
 المستحسنة ويترك ما وراء ذلك فأتا نفهم من قولهم خصرها كخصر الزنبور انه في غاية
 الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفله كالكتيب انه في نهاية الوأرة الحمودة
 المطلوبة لا أنه كالتل على التحقيق فهكذا لا نشكر أن يريد البحرى بقوله كما سحب الرداء
 أنه في غاية الطول الممدوح الحمود لانه يجري في الأرض على الحقيقة ووكنا في تخليص
 معناه وتخصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذي
 استعماله .. قال بعضهم في قوله المعجزة

تَمَشَّى فَتَقَلَّبًا رَوَّادِفُهَا فَكَأَنَّهَا تَمَشَّى إِلَى خَلْفِ

وقال المؤلف

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي تُشَبُّهُ الْبَذَرُ إِذَا بَدَا
تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدْ حُلُّ أَرْذَافِهَا غَدَا

وقال ذو الرمة

وَرَمَلٍ كَأُورَاكِ الْعَذَارَى قَطْمَتُهُ وَقَدْ جَلَّتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ^(١)

وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من ينهي الى خلف ومن يدخل كفه بعده لا يكون مستحسناً .. وقال بكر بن النطاح

فَرَعَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ فَرَعِهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوْجَتُهَا أَشْحَمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

فوصف شعرها بأنه يتسحب مع قيامها ونحو نعلم أن طول الشعر وان كان مستحسناً فليس الى هذا الحد وانما أراد بقوله تسحب شعرها ما أراده البعري بقوله كما سحب

(١) هذا البيت أورده ابن جني في الخصائص في باب غلبة الفروع الاصول فقال

هذا فصل من العربية طريق نجد في معاني العرب كما نجد في معاني الاعراب ولا تكاد نجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة فيما جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرمة

ورملي كأوراك العذارى قطمته إذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلاً وذلك ان العادة والعرف في نحو هذا ان تشبه أمهات النساء بكتمان الانقاء الى أن قال فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا فشبّه كتمان الانقاء بأعجاز النساء وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لا أعجاز النساء فصار كأنه الاصل فيه حتى شبه به كتمان الانقاء الى أن قال وآخر ما جاء به شاعرنا يعني المتلقي

نحن ركب ما نحن في زى ناس فوق طير على شخوص الجمال

فجعل كونهم جنا أصلاً وجعل كونهم ناساً فرعاً وجعل كون مطايا طيراً أصلاً وكونها جالاً فرعاً فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد

الرداء من المبالغة في الوصف بالاول المحمود دون المذموم

— مجلس آخر ٥٨ —

[تأويل الآية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر^(١) يوم يأتوننا) الآية .. فقال ما تأويل هذه الآية فان كان المراد التعجب من قوة أسمعهم ونفاذاً أبصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على أسمعهم وأبصارهم غشاوة وما معنى قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور .. الجواب قلنا أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب في التعجب ويجري مجرى قولهم ما أسمعهم وما أبصرهم والمراد بذلك الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه الاعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر تعالى

(١) قوله أسمع بهم وأبصر أي بهم وحذف المتعجب منه هنا لدلالة بهم السابقة مع كونه فاعلاً لان لزومه الجر كناه صورة الفضلة خلافاً للفارسي وجماعة فانهم ذهبوا الى أنه لم يحذف ولكنه استتر في الفعل حين حذفت الباء كما في قولك زيد كفى به كاتباً ورده ابن مالك بوجهين أحدهما لزوم إبرازه حيثشده في التنبيه والجمع .. والثاني ان من الضمائر ما لا يقبل الاستتار كـنا من أكرم بنا فان لم يدل عليه دليل لم يحذف أمافي ما أفعله فلعمروه إذ ذاك عن القائدة فانك لو قلت ما أحسن أو ما أجل لم يكن كلاماً لان معناه ان شيئاً صير الحسن واقعاً على مجهول وهذا مما لا ينكر وجوده ولا يفيد التعبد به وأما نحو أفعله به فلا يحذف منه المتعجب لغير دليل لانه فاعل وأما قول عمرو بن الورد فذلك ان يلقى النية يلقيها حميداً وان يستغن يوماً فاجدر

حذف المتعجب منه ولم يكن معطوفاً على مثله فشاذاً

عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وبأن على ألسانهم غشاوة لأن تلك الآيات تناولت أحوال التكليف وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاعلين بالله تعالى وصفاته وأفعاله الآية تناولت يوم القيامة وهو للعسق بقوله تعالى يوم يأتوننا وأحوال القيامة لا بد لها من المعرفة الضرورية وتجرى هذه الآية بحرى قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فاما قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله اليوم الدنيا وأحوال التكليف ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والمعدول عن الطريق فأراد تعالى أنهم في الدنيا جاعلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ويعني تعالى بالضلال المعدول عن طريق الجنة ودار الثواب إلى دار العقاب فكأنه قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا غير أنهم مع معرفتهم هذه وعلمهم بصيرون في هذا اليوم إلى العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا إقال يقول تعالى هم يوم القيامة سماء بصراء لكن الظالمون في الدنيا سماء وبصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين . . . وقال قتادة وإن زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم يتفهم السمع وأبصروا حين لم يتفهم البصر . . . وقال أبو مسلم بن عمار في تأويل هذه الآية كلاما جيدا فقال معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم وأبصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول لهم يوم يأتوننا يوم القيامة سمعاء بصراء أي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهل واضح قال وعنده الآية نزل على أن قوله (سم بكم عسى فهم لا يسمعون) ليس معناه الآفة في الأذن والعين والجوارح بل هو أنهم لا يسمعون عن قدرة ولا يشدرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى أن الله تعالى جعل قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال) مقابلا لقوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وما أبصرهم فأقام تعالى السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله بإزاء الضلال المبين . . . فأما أبو علي بن عبد الوهاب فإنه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه

ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله أسمع بهم وأبصر أي أسمعهم وأبصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون . . . والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء نوعهم بالعذاب في ذلك اليوم . . . ويجوز أيضا أن يكون عنى بقوله أسمع بهم وأبصر أي أسمع الناس هؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا بأعمالهم وأراد بقوله تعالى لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعنى يوم القيمة في ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا التوضيح من جهة التواضع التي استدركت على أبي علي وينسب فيها إلى الزلل لأن الكلام وإن كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من تبيين فإن الأولى والأظهر في معنى ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) بعد ما تقدم لا يليق إلا بالمعنى الذي ذكرناه لاسيما إذا حمل اليوم على أن المراد به يوم القيمة على أن أبا علي جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله تعالى أسمعهم وأبصرهم وتأوله على أن المعنى به أعلمهم وأبصرهم بأنهم يوم القيمة في ضلال عن الجنة والكلام يشهد بأن ذلك لا يكون من صلة الأول وإن قوله تعالى لكن استئناف لكلام ثان وما يحتاج أبو علي إلى هذا بل لو قال على ما اختاره من التأويل أنه أراد تعالى أسمعهم وأبصرهم يوم يأتوننا أي ذكرهم بأحواله وأعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتاج إلى ما ذكره وكان هذا أشبه بالصواب . . . فأما الوجه الثاني الذي ذكره لم يطل لأن قوله تعالى أسمع بهم وأبصر إذا تعلق بالأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى بقوله عز وجل يوم يأتوننا بلا عامل ومحال أن يكون ظرف لا عامله فالأقرب والأولى أن يكون على الوجه الأول مشعولا . . . ووجدت بعض من اعترض على أبي علي يقول وأدأ عليه لو كان الأمر على ما ذهب إليه أبو علي لوجب أن يقول تعالى أسمعهم وأبصرهم بغيراء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع غير منكرة زيادتها وذلك موجود كثير في القرآن والشعر وغيره قال الله تعالى (اقرأ باسم ربك الأعلى الذي . . . وعينا يشرب بها عباد الله . . . وهزى إليك يجذع التخلية . . .

وتلقون اليهم بلودة) .. وقال الاعشى

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا

وقال امرؤ القيس

هصرت بفضن ذي شاربج مبال^(١)

واظن ابا علي انما شبهه بهذا الجواب لأنه وجد تاليا للآية لفظ امرؤ وهو قوله تعالى (واذروهم يوم الحسرة) فحل الاول على الثاني والكلام لانتسابه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على انسان في خطبة وكلام قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان اللسان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف يجتمع معهما البراعة الثاقبة والبلاغة الماثورة مع حاجتها الي اجتماع الفكرة وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن وانفذ مستعذب عن حصر في خطبة أو في منطلق الى انه موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه وانكروه بعبء ولا منكر لان اللسان قد يخص شيئاً دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعارف فلا ينكر ان ينسب الانسان شيئاً قصده وعزم على الكلام فيه ويكون مع ذلك ذا كرا لغيره متكلماً فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن القصد يجحمان القرحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابره ليكون ذلك هرباً من المني وانقاذ من الالكنة .. ومن احسن ما روى من الكلام وابره في حال الحصر والاقطاع عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى وقال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال سمعت خالد بن عبد الله القسري

(١) وصدره * فلما تنازعنا الحديث واسمعت * فمضى - اسمعت - سهل ولانت - وهصرت بفضن - ثبت غصنا والباء زائدة

يوماً المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال ايها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يحكى احياناً ويذهب احياناً فيتسبب عند مجيئه سببه ويمر عند عزويه طلبه وربما كوبر فابي وعولج قابطي وقال ابن الكلبي ربما طلب فابي وعولج قضا والثاني لجيئه أصوب من التعاطي لآيئه ثم نزل فاروى حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لآيئه أفضل من التعاطي لجيئه وتجاوزته عند تعذره اولى من طلبه عند شكره وقد يحتاج من الجري جناحه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل .. واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه هشام بن عبد الملك بكثرة الخطب والتبايع فقدم واسط فسمعت المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال ايها الناس ان هذا الكلام يحكى احياناً ويعزب احياناً فيعز عند عزويه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كوبر فابي وعوسر قضا والثاني لجيئه اسهل من التعاطي لآيئه وتركه عند تعذره احد من طلبه عند شكره وقد يرتج على اللسان لسانه ولا ينظره القول اذا انسح ولا يتيسر اذا امتنع ومن لم يتمكن له الخطوة تخليق ان تمن له النبوة^(١) واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني ابو العباس المنصوري قال سمعت ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس ان اللسان بضمة من الانسان يكل اذا كل وينسح بانفساحه اذا فسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهديت غصونه الا وانا لا نتكلم هذراً ولا تسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمنزلة ما اعتذر لكان من اعطى الناس وهذا الكلام يروي لداود ابن علي .. وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح يوماً ان يتكلم بامر من الامور بعد ما افقت الخلافة اليه

(١) وروي ابو علي القاسمي قال حدثنا ابو بكر رحمه الله قال اخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام الكلبي قال سمعت خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة ايخطب فارتج عليه فقال ايها الناس ان الكلام ليحيى احياناً فيتسبب سببه ويعزب احياناً فيعز مطلبه وربما طوب فابي وكوبر فمضى فالثاني لجيئه أصوب من التعاطي لآيئه

وكان فيه حياء مفراط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واخي عليه ايها الناس ان امير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته غفل من لسانه عند ما يعهد من بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد عيشكم .. واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال سعد عثمان بن عفان رضي الله عنه النبر فارجح عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا ويهدي نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال .. وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بينه عن يزيد بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال من يخرجني من الشام استحسننا لكلامه .. وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان رجلا سعد النبر اليوم يزيد وكان واليا على قوم فقال لهم ايها الناس افي انت لم اكن فارسا مليا بهذا القرآن فان معي من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اساء القائل اخو البراهم حيث قال

وما عا جلات الطير يذنين للفتى رشادا ولا من ريشين نجيب
ورب امور لا تضيرك ضيرة وللقلب من عنشائين وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على ثابيات الدهر حين ثوب

(١) يقول اذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا له عنه ولا اذا ابطأت خاب فعاجلها لا ياتي به بخير واجلها لا يدفع عنه اتما له ما قدر له .. والعرب تزجر على السانح وتتركه البارح وتشتام به وبعضهم يعكس والسانح ما ولاك مياسره فامكنك رميه والبارح ما ولاك ميامنه فلا يمكنك رميه الا ان تحرف له .. وعاجلات الطير هي ان يخرج الانسان من منزله اذا اراد ان يزجر الطير فامره به في اول ما يبصر فهو عاجلات الطير وان ابطأت عنه وانتظرها فقد رأت اي ابطأت والاول عندهم محمود والثاني مذموم يقول ليس التجمع بان يجعل الطائر العاير ان كما يقول الذين يزجرون الطير ولا اخبية في ابطائها وهذا رد على مذهب الاعراب والابيات لضائي بن الحارث

وفي الشك تغريظ وفي الحزم قوة ويخطي التقي في حديثه ويصيب

فقال رجل من كلب ان هذا النبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله تعالى ويصلي على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام وللقرآن فقال املوا انشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكشبت الي يزيد بذلك فمزله وقال قد كنت اراك جاهلا احمق ولم احسب ان الحق بلغ بك الي هذا المبلغ فقال له احمق مني من ولاي .. وكان يزيد بن المهلب ولي ثابت قطنة بعض قرى خراسان فلما سعد النبر حصر فترل وهو يقول

فإلا أكن فيكم خطيبا فإني بسيفي اذا جد الوغي لخطيب

ف قيل له لو قلت هذا على النبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أبا العلاء لقد لاقت مفضلة يوم العروبة من كرب وتحنيق

أما القرآن فلا تهدي لحكمه ولم تسد من الدنيا بتوفيق

لما رمتك عيون الناس هبتهم وكدت تشرق لما قمت بالريق

تلوي اللسان إذ أرميت الكلام به كما هو زلق من جانب النيق^(١)

(١) - وكان سبب هو حاجب الفيل والفيل لقب لقيه به ثابت قطنة واسم أبيه ذبيان المازني وقيل معدان وقيل انه الملقب الفيل لأنه كان يروض فيلا للحجاج .. ان حاجبا دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أشده

اليك امتطيت العيس تسعين ليلة أرجي ندا كفيك ياب المهلب
وأنت امرؤ جادث سباه يمينه على كل حي بين شرق وغرب
فجد لي بطرف أعرجي مشهور سام الشظي على القوائم ساهب
نبوح طوح العرف يستمرج أمر كامرار الرشاء المشذب
طوي الضرم منه البطن حتى كأنه عقاب نذلت من شوارع كيبك
تبادر جنح الليل فرخين أقويا من الزاد من قفر من الأرض مجذب
فلما رأته صيدا نذلت كأنها دلاء تهاوي مرقبا بعد مرقب

•• وروى أن بعض خلفاء بني العباس وأئمة الرشيد سعد المنبر ليخطب فستط على وجهه ذبابة فلقد رجاها فرجعت فصر وأرتج عليه فقال أعود بالله السميع العليم يأيتها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية إلى قوله ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه •• وما يشا كل هذه الحكاية ما حكاه عمر بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ولا زميناً ولا ركيناً ولا وقوراً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك وكان يصلى الفسادة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحني ولا يزال منتصباً لا يحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحرك رجلاً عن رجل ولا يعتمد على على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبنى أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى المغرب ثم ربما عاد إلى مجلسه إلى كثيراً ما يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهد والشروط والوفاق ثم يصلى العشاء وينصرف لم يقم في

فشكت سواد القلب من ذئب قفرة طويل القري عارى العظام مصعب
وسابقة قد أفتن التين منصبا وأسر خطي طويل مجرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب متى يلقى الضربة يقضب
وقلبي إذا عاشت في حومة الوغى تقدم أواركب حومة الموت أركب
فأني أهرؤ من غصبة مازنية غافق أب ضخم كريم المراكب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ما شرطت لنا علي نفسك فقال أصابع الله الأمير حجتى بينة وهي قول الله عز وجل (والشراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فقال ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة مدحت الأمير بيتين وسأله حوائجك في عشرة أبيات وختمت شعرك في بيت تفخر عليه فيه حتى إذا أعطاك ما أردت حدثت عما شرطت له على نفسك فأكذبها حتى كأنك كنت تخدع فقال له يزيد مه يا ثابت فانا لا نخدع ولكن نخادع وسوفه ما أعطاه وأمر له بألفي درهم ولح حاجب به جو ثابتاً

طول تلك الولاية مرة واحدة إلى الوضوء ولا احتاج إليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فينأى هو كذلك ذات يوم وأصعبه حواليسه وفي السماطين بين يديه اذ سقط على أنفه ذباب فأطال السكوت وانسكت ثم تحول إلى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته وتغاضى خرطوميه كإرام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرتبته أو يقضي وجهه أو يذب بأصبعه فلما طال ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه وقصد إلى مكان لا يجتهد التفاضل عنه أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدمعه ذلك إلى أن وإلى بين الاطباق والفتح فتحنى ريثما سكن ثم عاد إلى موقه ثانياً أشد من حركته الأولى فقمس خرطوميه في مكان قد كان أوهاه قبيل ذلك وكان احتمالاه أضعف وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى فحرك أجنافه وزاد في شدة الحركة في تتابع الفتح والاطباق فتحنى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال ملهماً عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينه بيده ففعل وعيون القوم إليه يرمقونه كأنهم لا يروونه فتحنى عنه بمقدار ما رده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فألجأ إلى أن يذب عن وجهه بعرفه ثم ألجأ إلى أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله يعين من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا إليه قال أشهد أن الذباب ألج من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجيبته نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت أني كنت عند الناس من أروعن الناس وقد غلبني وضعف خلق الله ثم تلا قول الله تعالى (ضعف الطالب والمطلوب)

— مجلس آخر ٥٩ —

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذا نحييناكم من آل فرعون

يسومونكم سوم العذاب الى قوله تعالى - بلاء من ربكم عظيم) فقال ما نذكرون ان يكون في هذه الآية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر من العباد الى الله تعالى من وجهين . . أحدهما انه قال تعالى بعد ما تقدم ذكره من افعالهم ومعاصيهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه . والثاني انه اضاف نجاحهم من آل فرعون اليه فقال تعالى واذا نحنناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة حيث . . الجواب قلنا أما قوله تعالى وفي ذلكم لعلهم انشأوا الى ما تقدم ذكره من انجائهم لهم من الذكروا والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله تعالى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي) الآية والبلاء هنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصهم لهم من ضروب المكابرة التي عددتها الله نعمة عليهم واحسان اليهم . . والبلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون شرا . . قال الله تعالى (وليس للمؤمنين منه بلاء حسنا) ويقول الناس في الرجل اذا أحسن القتال والفتاة في الحرب قد أبلى فلان ولفلان بلاء والبلى أيضا قد يستعمل في الخير والنشر الا ان أكثر ما يستعملون البلاء للمدود في الجليل والخير والبلى للقصور في السوء والنشر فقال قوم أصل البلاء في كلام العرب الاختيار والامتحان ثم يستعمل في الخير والنشر لان الاختيار والامتحان قد يكون في الخير والنشر جميعا كما قال تعالى (وبلوناكم بالحسنات والسيئات) يعني اختبرناهم وكما قال تعالى (ولبلوناكم بالخير والنشر فتنة) فالخير يسمى بلاء والنشر يسمى بلاء غير ان الأكثر في النشر أن يقال بلوته أبلوه بلا وفي الخير أبلوته أبلوه وبلا . . وقال زهير في البلاء الذي هو الخير

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاها خير البلاء الذي يبلو

فجمع بين اللتين لانه أراد أنعم الله عليهما خير النعمة التي يجتنب بها عباده وكيف يجوز أن يضيف تعالى ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الأبناء وغيره الى نفسه وهو قد قسمهم عليه ووجعهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا أن يكون إنما تجامع من فعله تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يقال

ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى ان في تخليصه بين هؤلاء وبينكم وتركه منهم من ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم أي حنة واختبار لكم والوجه الاول أقوى وأولى وعليه جماعة من المفسرين . . وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة عظيمة اذ أنجياكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم . . فأما اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بغيرهم وفعلهم فلو دل على ما ننوه لوجب اذا قلنا ان الرسول عليه الصلاة والسلام أنقذنا من الشرك وأخرجنا من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر أن يكون فاعلا لا فاعلا وكذلك قد يقول أحدها لغيره أنا نحييتك من كذا وكذا واستنقذتك وخلصتك ولا يريد انه فعل بنفسه فعله والمعنى في ذلك ظاهر لأن ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته وألطافه قد يصح اضافته اليه فعلي هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى . . ويمكن أيضا أن يكون مضيفا لها اليه تعالى من حيث نبط عنهم الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المصونة فتارة تكون بأمر يرجع اليهم وتارة بأمر يرجع الى أعدائهم . . فان قيل كيف يصح أن يقول (واذا نحنناكم من آل فرعون) فيخطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نحننا من شره . . قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر لأن العربي قد يقول مفتخرا على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم واتما يريد أن قومي فعلوا ذلك بقومك . . وقال الأخطل يهجو جرير بن عطية

ولقد سألكم الهذيل فأنالكم بإرباب حيث تقسم الأنفالا

في فياقي يدعو الأراقم لم تكن فزسانه عزلا ولا أكفالا

ولم يالحق جرير الهذيل ولا أدرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوم من أيام قوم الأخطل على قوم جرير اضاف الخطاب اليه والى قومه فكذلك خطاب الله تعالى بالآية إنما توجهت الى أبناء من نجي من آل فرعون وأحلافهم والمعنى واذا نحننا آباءكم وأسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف . . [قال الشريف المرتضي] رضي الله

عنه ومن أحسن الشعر في تعود الضيافة والالاس بها والاستمرار عليها قوله حاتم بن عبد الله الطائي

إذا ما جئيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الغريب عقوبها
فإني جبان الكلب يثني موطلا جواد إذا ما النفس شخ ضميرها
وإن كلابي مذأقرت وعودت قليل علي من يعترينا هربها
أراد بقوله - علي من يعترينا هربها - أنها لا تهرج له ولذلك نظائر كثيرة (١) ومثله قوله تعالى (قليل ما يؤمنون) ومثله قوله فإني جبان الكلب معناه ولعلنا قول الشاعر وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصل
واتما أراه أي أوترا الضيف بالابان فصلا مهزول .. ومثله اللفظ والمعنى قول أبي وجرة

(١) قوله ولذلك نظائر .. يريد أن قليلا وقليلة يردان للثني ومنها في ذلك تابعان لقل وأقل يقال قل رجل يقول ذلك الأزيد بالضم وأقل رجل يقول ذلك الأزيد معناه ما رجل يقوله إلا هو فالقلة فيه للثني المحض .. وقال ابن جني لما ضارح للبتداء حرف الذي بقوا للبتداء بلا خبر .. وقد عقد ابن مالك فصلا في التسويل هذه الكلمات وأسه فصول قد يقوم ما قبله أحد أقل ملازما للابتداء والاضافة إلى نكرة موصوفة بصفة مغنية عن الخبر لازم كونها فصلا أو ظرفا وقد نجعل خبرا ولا يد من مطابقة فاعلها للنكرة لخصاف إليها ويساوي أقل المذكور قل فاعلا مثل الجبرور ويتصل بقل ما كلفة عن طلب الفاعل فيلزم في غير ضرورة مباشرتها الأفعال وقد يراد بها جيلد الثقيل حذيفة وقد يدل على الثني بقليل وقليلة لقوله ملازما للابتداء أي فلا تقول كان أقل رجلا يقول ذلك لأنه لما ناب عناب الذي كان له الصبر كالذي وشبهه قوله نكرة ما قبله أن كرجل وما لا قبلها نحو أقل من يقول ذلك والجهة الواقعة بعده هذه النكرة صفة لها في موضع جر والخبر محذوف أي كأنه لا يست حبر لمطابقتها النكرة نحو أقل امرأة تقول ذلك

وأل الزبير بنو حرة مروا بالسيوف الصدور الجنافا
يموتون والقتل من دأبهم ويعشون يوم السيوف السيفا
وأجبن من صافر كليهم وإن قدفته حصاة أضافا

يقول ادركوا سيوفهم ثاراتهم فكانهم شقوا وغر قلوبهم وأزالوا ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا بالسيوف شعروا كأنهم إذا أردت أن تحملها التدرج والجلت المائل .. ثم قال وإن مات بعضهم على فراشه فإن أكثرهم يموت مقتولا لشجعانهم واقدامهم فذلك قال والقتل من دأبهم وجعل كلهم جبانا لكثرة من يشاهم ويطلقهم من التزال والاضفاف فقد ألهمهم كلابهم وألست بهم فهي لا تبعهم وقيل أيضا أنها لا تهرج عليهم لأنها تنسب بما يجر لهم ولشوقهم فيه .. ومعنى - وإن قدفته حصاة أضافا - أي أشقى وهذا تأكيد لجبنه ويقال أضاف الرجل من الأمر إذا أشقى منه .. ومعنى - أجبن من صافر كليهم - قد تقدم ذكره في الأمالي .. ومثله في المعنى

يعشون حتى ما يهر كلابهم لا يسألون من السواد المقبل (٢)

[١] هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح بها جيلة بن الأيهم القصبي وقيل عمرو بن الحارث الأمازيجي ولكل من الروايتين قصة وعلى أنه عمرو قيل أن حسان لما قدم عليه اعتاس وسوله إليه ثم دخل عليه فوجد عنده النابغة الذبياني وعلمة الفحل فقال له عمرو يا ابن الفريسة قد عرفت عيبك ونسبك في غسان فأرجع فإني باعت إليك بصلة سبية ولا أحتاج إلى الشعر فإني أخاف عليك هذين السبعين أن يعضعاك فعضيتك فضيعتي وأنت والله لأعشن أن تقول

دقاق النعال طيب حجرانهم يحبون بالريحان يوم السباب

فعلم أنشد حسان لم يزل يرحل عن موضعه سرورا وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ما يعللاني به منذ اليوم هذه والله البتارة التي بزت للمدائح هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كل دينار منها عشرة دنانير ثم قال لك علي في كل سنة مثلها .. ومطلع القصيدة

وقال المرار بن النقذ العدوي

أَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا أَنْكِرُهُ وَكَلَّابِي أُنْسُ غَيْرُ عَقْرِ
لَا تَرَى كَلْبِي إِلَّا آتِئاً إِنْ أَتَى خَائِطُ لَيْلٍ لَمْ يَهْزِ
كَثُرَ النَّاسُ فَمَا يُنْكِرُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَنْتَنِي الْخَيْرُ وَحَرِّ

الأسيف العبد ههنا .. وقال آخر

إِلَى مَا جِدَ لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ ضَيْفَهُ وَلَا يَتَذَاهُ اخْتِمَالُ الْمَعَارِمِ

معنى - يتذاده - يتقلبه وأراد أن يقول يتأزده فقلب .. وقال ابن هريرة

وَإِذَا أَنَا طَارِقٌ مُتَوَرِّدٌ نَبَحْتُ فَدَلَّتْنِي عَلَى كَلَّابِي

وَفَرَحَنَ إِذْ أُنْصَرَتْهُ فَلَقِيْتُهُ بِضَرْبَتِهِ بِشَرِّ أَشْرِ الْأَذْنَابِ^(١)

وإنما تفرح به لأنها قد تعودت إذا نزلت الضيوف أن يجر لهم نصيب من قراهم ومثله

وَمُسْتَنْبَحٌ لَيْسَ كَشَيْطِ الرَّيحِ نَوْبُهُ لَيْسَ قَطُّ عَنْهُ وَهُوَ بِالنُّوبِ مَعْنَمٌ

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ

فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ الْقُرَيْ لَهُ مَعَ إِتْيَانِ الْمُهَيَّنِ مَطْعَمٌ

يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً يُكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

أراد بقوله - جأويه - مستسمع الصوت - أنه جأويه كلب - والمهين - الموقظون له ولأنه
وهم الأضياف وإنما كان له معهم مطعم لأنه يجر لهم ما يصيب منه .. وأراد بقوله -

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ لَمْ تَسَأَلْ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبَضِيعِ خَوَلٌ

ومنها لله در عصاة ناد منهم دهر الجملق في الزمان الأول

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

(١) شر شر الكلب إذا ضرب بذنبه وحركة للأنف

يُكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ - بصبسته وتحريكه ذنبه .. وأما قوله - ليفزع نوم - فاعلم
أراد ليفيغ نوم يقال فزع فلان إذا أغشته .. ومعنى - عوي في سواد الليل - أن
العرب تزعم أن سائر الليل إذا أظلم غايه وآدهم فلم يستبين عجة ولم يدرك الحلي وضع
وجهه على الأرض وعوي عواء الكلب لسمع ذلك الصوت الكلاب أن كان الحلي قريباً
منه فتجيبه فيقصد الأبيات وهذا معنى قوله أيضاً ومستنبح أي ينبح نباح الكلاب ..
وقال الفرزدق

وَدَاعَ بِحَنِّ الْكَلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ سَجَفًا ظُلْمَةً وَغَيُومًا
دَعَا وَهُوَ يَزْجُو أَنَّ يَنْبَهُ إِذْ دَعَا فَتَى كَلْبٍ لَيْلٍ حِينَ غَارَتْ نُجُومًا

- ابن ليل .. يعني أياه غالباً

بَعَثَ لَهُ دَهْمًا لَيْسَتْ بِلِقَعَةٍ تَدُرُّ إِذَا مَا هَبَّ غَسَا عَقِيمًا

معنى - بعث له دهم - أي رفعها على أنفها ومعنى بالدماه الفدر - واللقعة - الناقة

وأراد أن قدره تدور إذا هبت الريح عقيبها لا مطرفها

كَأَنَّ الْمِحَالَّ الْغُرِّيَّ فِي حُجْرَانِهَا عَذَارِي بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُهَا

أراد أن قطع اللحم فيها لا تستر بشئ منها كالاتستر المذارى اللواتي أصيب حميمهن

وتلوي حواسر

قَضَوْا كَحَبْزِومِ النَّعَامِ أَحْمَشَتْ بِالْأَجَوَازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا

- الأجواز - الأوساط وأوسط الخشب أصله وأبقى ناراً

مُحْضَرَّةٌ لَا يَجْعَلُ السَّيْرُ دُونَهَا إِذَا الْمَرْضَعُ الْعُوجَاهُ جَالَ بِزِيمِهَا

- البريم - الحجاب وإنما يجول من المزال والجهد والطوي - والعوجاء - التي قد

اعوجت من العلوى .. وقال الأخطل في الضيف

دَعَانِي بِصَوْتٍ وَاحِدٍ فَأَجَابَهُ مُنَادٍ بَلَا صَوْتٍ وَآخِرُ صَيِّتٍ

ذكر ضيفاء عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله - بصوت واحد -

وقوله - فأجابه مناد - يعني ناراً رفعها له قرأى سناها فقصدها - والآخرة الميت -
الكلب لأنه أجاب دعواه .. ومثله

وساري ظلام مفعيل وهبوة دعوت بصو سا طع فاهتدى ليا
يعني ناراً رفعها ليقصده طراق الليل - والمفعيل - المنقبض من شدة البرد .. وأنشد محمد
ابن يزيد

ومستنجح يهوي مساقط رأسه إلى كل شخص فهو للصوت أصدور
حيب إلى كلب الكرام مناخه يفيض إلى الكوماء والكلب أنصر
دعته بغير اسم هلم إلى القرى فأسرى يروع الأرض شقراء تزهو^(١)
معنى - أسور سأي مائل أراد أنه يميل رأسه إلى كل شخص يخجل له بظله أسانا ..

(١) الأبيات من قطعة في غاية الحسن أردنا الإتيان بها مرتبة وهي
ومستنجح يهوي مساقط رأسه إلى كل شخص فهو للصوت أصدور
يصفقه أمف من الريح يارد وتكياه ليل من حمادي وصرع
حيب إلى كلب الكرام مناخه يفيض إلى الكوماء والكلب أنصر
حصناته تاري فأبصر ضوءها وما كان لولا حصاة النار يهصر
دعته بغير اسم هلم إلى القرى فأسرى يروع الأرض والنار تزهو
فلما أضاءت شخصه قلت مرحباً هلم وللمصالحين بالنار أبشروا
فجاء ومحمود القرى يستفزه إليها وداعى الليل بالصبح يسفر
تأخرت حتى كدت لم تصطفى القرى على أهله والحق لا يتأخر
وقت بصل السيف والبرك هاجد بهازره وللاوت بالسيف ينظر
فأعوضته الطولي سناما وخيرها بلاه وخير الخير ما يخير
فأوفض عنها وهي ترغو حشاشة بذى نفسها والسيف عريان أحر
فبات رحاب جونة من لحامها وفوها بما في جوفها يتفرغر

ومعنى - خيب إلى كلب الكرام - المعنى الذي تقدم .. ومعنى - يفيض إلى الكوماء -
إلى النافقة لأنها تحرقه .. وقوله - دعته شقراء - بغير اسم يعني ناراً رأى ضوءها فقصدها
فكأنها دعته .. وقال ابن حرملة وقد نزل به ضيف

فقلت لقينى أرفعها وحرراً لعل سناناري بأخر تهتف
وفي معنى قوله يفيض إلى الكوماء .. قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
واييك خيراً إن أبل محمد عزل تناوح أن تهب شمال
وإذا رأين لدى الفناء غريبة ذرفت لهم من الدموع سجال
وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخما وما يجيا لهن فصل

أراد وأييك الخير فلما طرح الالف واللام نصب - والعزل - ألقى لاسلاح معها وسلاح
الأبل سمها وأولادها وإنما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى
سمها وخسن حسنها ورأي أولادها تبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها فلما
كان ذلك صاداً عن الذبح ومالها منه جرى مجرى السلاح لها فكأنه يقول هذه الأبل
وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت سخيمة سمينة فهي كالعزل إذ كان سلاحها
لا يفيض عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها .. ومعنى - تناوح - تقابل بعضها بعضاً أي هن
مدقات بلسنها وأولادها لا تنال بهبوب الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد .. وقوله
- وإذا رأين لدى الفناء غريبة - أي إذا نزل ضيف فمقتل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة
علمن أنه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن .. وقوله - وترى لها زمن
الشتاء على الثرى رخماً - فقد قيل فيه أنه أراد به أن يهب فصالحن فبقي الأبنان على
الأرض كهيئة الرخم .. وحكي عن ابن عباس أنه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندى
أن المعنى غير هذين جيماً وإنما أراد أنها تحرق وتمقر فتسقط الرخم على موضع عقرها
ويقايا دماها واسالها فهذا معنى قوله لا ما تقدم .. وقال آخر في معنى سلاح الأبل
يمدح بني عوذ بن غالب بن عباس

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَايَا خَيْرَ مَا جَزَى
إِذَا أَخَذْتُ بَزْلَ الْمُخَاضِ سِلَاحَهَا

أراد أن سمها وحسها وتماها لا ينمها من عقربها الاضياف .. ومثله

إِذَا الْبَقْلُ فِي أَصْلَابِ شَوْلِ بْنِ مُسْنَرٍ
نَعَى لَمْ يَزِدْهُ الْبَقْلُ إِلَّا تَكْرُمًا

وقوله - أخذت رماحها - من المعنى المتقدم .. وقال ابن مسكين الدارمي
قَصَمْتُ وَلَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ رِمَاحَهَا عِشَارِي وَلَمْ أَرْجُبْ عَرِاقِبَهَا عَقْرًا
- أَرْجَب - أكبر ذلك ولم يعظم على وسي رجب رجبا من ذلك لأنه شهر معظم

.. وقالت ليلى الاخيلية

وَلَا تَأْخُذْ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا
لِتَوْبَةٍ فِي قُرَى الشَّاءِ الصَّابِرِ

ومثله

لَا أَخُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْعَمْسَ وَلَا تَأْخُذُ السِّلَاحَ لِقَاحِي

وقال النمر بن تولب

أَزْمَانٌ لَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ سِلَاحَهَا
إِلْبِي مُجْلَتَهَا وَلَا أَبْكَارَهَا
ابْتَزَّهَا الْبَانِيَا وَلُحُومَهَا
فَأَهَيْنُ ذَلِكَ لِضَيْفِهَا وَلِجَارَهَا

وقال المضرس بن ربي الاسدي

وَمَا نَلْعَنُ الْأَضْيَافَ إِنْ تَزَلُّوا بِنَا
وَلَا يَنْتَعُ الْكُومَاءُ مِنَّا نَصِيرَهَا

[١] .. ويروى جزي الله خيرا غلبا من عشيرة الخ وبين البيتين بيتان وهما

فكم دافعا من كربة قد تلاخت على ووج قد علتني غواوبه
إذا قلت عودوا عاد كل شمردل أنم من الفيتان جزل مواهبه

ومعنى - لا نلعنهم - أي لا نبغدهم واللعين البعيد - ونصيرها - ههنا ما يمنع من عقربها من
حسن وتعام وولد وما جرى ذلك الجري والنصير والسلاح في المعنى واحد

مجلس آخر ٦٠

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً
إلا أن يشاء الله) .. فقال ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضي أن يكون جميع
ما تفعله يشاؤه ويريده لأنه تعالى لم يخص شيئاً من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم
أن تقولوا أنه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة وهو لا يفعل إلا ما يشاء الله تعالى
لأنه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغار عند أكثركم فلا بد من أن يكون في
أفعاله تعالى ما لا يشاؤه عندكم ولأنه أيضاً تأديب لنا كما أنه تعالى عليه الصلاة والسلام ولذلك
يحسن منا أن نقول ذلك فيما يفعله .. الجواب قلنا تأويل هذه الآية مبني على وجهين
.. أحدهما أن يجعل حرف الشرط الذي هو إن متعلقاً بما يليه وبما هو متعلق به
في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن أنك تفعل إلا ما يريد الله
تعالى وهذا الجواب ذكره الفراء وما رأيته إلا أنه ومن العجب تغافلوا إلى مثل هذا مع
أنه لم يكن متظاهراً بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لا شبهة في الآية ولا سؤال للقوم
عليه وفي هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم تقدر محذوفاً وعلى
كل جواب مطابق للظاهر ولم يبن على محذوف كان أولي .. والجواب الآخر أن نجعل
أن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول
أن يشاء الله لأن من عادتهم إضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام إذا
طال وكان في الوجود منه دلالة على المنقود وعلى هذا الجواب يحتاج إلى الجواب عما
سألنا عنه فقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم أن يعلقوا ما يحبون به هذه
اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في أن ذلك يختص بالطامات وإن الأفعال

(٥ - أمالي رابع)

القبيلة خارجة عنه لأن أحداً من المسلمين لا يستحسن أن يقول اني أرتى غداً ان شاء الله أو أقتل مؤمناً وكلم يمنع من ذلك أشد المنع فلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة في جميع الأفعال . . . وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تأويل هذه الآية مانعاً ذا كروه بعينه قال انما عني بذلك ان من كان لا يعلم انه يسبق الى غير حياً فلا يجوز أن يقول اني سأفعل غداً كذا وكذا فيمات في الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت ولا يفعل ما أخبر به لأن هذا الخبر اذا لم يوجد خبره على ما أخبر به الخبر فهو كذب وإذا كان الخبر لا يأمّن أن لا يوجد خبره لحديث أمر من فعل الله تعالى نحو الموت أو الهجر أو بعض الأمراض أو لا يوجد ذلك بأن يبدو له في ذلك فلا يأمّن من أن يكون خبره كذباً في معلوم الله من وجعل وإذا لم يأمّن ذلك لم يجوز أن يخبره ولا يعلم خبره منامن الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال اني سائر قداً الى المسجد إن شاء الله فاستثنى في مصيره بمشيئة الله تعالى أمّن أن يكون خبره في هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن ياجئه الى المسجد الى المسجد غداً ألقاه الى ذلك وكان المصير منه لا محالة وإذا كان ذلك على ما وصفتنا لم يكن خبره هذا كذباً وإن لم يوجد منه المصير الى المسجد لأنهم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى . . . قال ويبقى أن لا يستثنى مشيئة دون مشيئة لأنه ان استثنى في ذلك مشيئة الله بمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو أيضاً لا يأمّن أن يكون خبره كذباً لأن الانسان قد يترك كثيراً مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقية ويقدره ويرفع عنه للواقع كان أيضاً لا يأمّن أن يكون خبره كذباً لأنه قد يجوز أن لا يصير الى المسجد مع تيقن الله تعالى له قادر اختاراً فلا يأمّن من الكذب في هذا الخبر دون أن يستثنى المشيئة العامة التي ذكرناها فإذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمّن من أن يكون خبره كذباً إذا كانت هذه المشيئة متى وجدت وجب أن يدخل المسجد لا محالة قال ويثقل هذا الاستثناء بزول الحث من حلف فقال والله لأصير غداً الى المسجد ان شاء الله تعالى لأنه ان استثنى على سبيل ما إذا لم يجوز أن يثبت في يمينه ولو خص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل معها الى المسجد حدث في يمينه . . . وقال غير أبي علي ان المشيئة المستثناة ههنا هي مشيئة للمنع والحيلة

فكانه قال ان شاء الله يثقلني ولا يعتنى وفي الناس من قال القصد بذلك أن يقف الكلام على جهة القطع وان لم يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجلاء ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري . . . واعلم ان الاستثناء الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة فقد يدخل على الايمان والطلاق والعناق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فإذا دخل ذلك اقتضى التوقيف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كأنه لاحكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه حكم وانما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهاراً للانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به الامف والتسويل . . . وهذا الوجه يخص بالطاعات ولهذا الوجه جرى قول القائل لا قضين غداً ما علي من الدين ولا صاين غداً ان شاء الله مجرى أن يقول اني أفعل ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسهله فلم ان القصد واحد وانه متى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه هذا الفعل أن يكون حاثماً وكاذباً لأنه إن لم يقع علمنا انه لم يلفظ له فيه لانه لا لطف له وليس لأحد أن يعترض هذا بأن يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف فيه جهة قارفاق ما هذه سبيله يكشف عنه انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية انه لا يخص الطاعات والآية تناول كلاماً يمكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن الاستثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التسويل والاقدار والتخاية والبقاء على ما هي عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية الا أنه يعترضه ما ذكره أبو علي مما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة أيضاً في الكلام وان لم يرد به في شيء مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد الى شيء من الوجوه المتقدمة وقد يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذباً أو صادقاً لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا ان وصلت الى مرادى مع انقطاعي الى الله تعالى واظهارى

الحاجة اليه وهذا الوجه أيضاً مما يمكن في تأويل الآية .. ومضى نوهل جملة ما ذكرناه من الكلام حرف منه الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصي لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لأعطينك حقتك غداً ان شاء الله أن يكون كاذباً أو حاشا اذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقع فكان يجب أن تلزمه الكفارة وأن لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرج منه عن كونه حاشا كما انه لو قال والله لأعطينك حقتك غداً ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حاشا وفي إلزام هذا الحث خروج عن إجماع المسلمين فصار مأوردها جامعاً لبيان تأويل الآية والجواب عن هذه المسئلة ونظائرها من المسائل والحمد لله وحده .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه تأملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد أو الشئين بالشئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة وهو قليل ولم أجد من تجاوز هذا القدر الا قطعة مرت في لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة بأشياء ستة أشياء .. فأما تشبيه الواحد بالواحد قول عنتر في وصف الذباب

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزِّ نَادِ الْأَجْدَمِ^(١)

(١) - الهزج - تراكب الصوت ومعنى - يحك ذراعه بذراعه - يمر احدهما على الاخرى - والاجندم بالمعنيين صفة المكب وهو للقطوع اليد شبه الذباب اذا سن احدى ذراعيه بالاخرى بأجندم قدح نارا بذراعيه وهذا من عجيب التشبيه يقال انه لم يقل احد في معناه مثله وقد عده أرباب الادب من التشبيهات العظم وهي التي لم يسبق اليها ولا يقدر احد عليها مشتق من الريح العقيم وهي التي لا تلتقي شجرة ولا تنبع ثمرة وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب وزاد اللطم فقل

فعل الأديب اذا خلا به دومه فعل الذباب يزن عند فراغه
فتراه يفرك راحتيه ندامة منها ويتبعها بالطم دماغه

وتعرض حازم في مقصورته لتشبيه عنتر بقوله

أي الاسرع .. ومثله قول عدى بن الرقاع

تُرْجِي أَغْنُ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقَةٍ قَلَمُ أَصَابٍ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا

ومثله قول امرئ القيس

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ قَبَائِنَا وَأَرْجُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثْقَبِ^(١)

وقوله

إِذَا مَا لَثَرْنَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

ولذي الرمة

أَلْقَى ذِرَاعًا فَوْقَ أُخْرَى وَحَكَى تَكَلَّفَ الْأَجْدَمُ فِي قَطْعِ السِّنَا

كأما النور الذي يفرعه مقتدحا لزنده سقط وري

فقصر عنه التقصير البين وأخل يذكر الاكباب والحلك

(١) الرواية المعلومة خباثا بدل قبائنا والمعنى متقارب .. قال الاصمعي الظبي والبقرة اذا كانا حين فيمنهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضهما وانما شبهما بالجزع وفيه سواد وبياض بعدما موت والمراد كثرة الصيد يعني ما أكلناه كثرت العيون عندنا وبه يتبين بطلان ما قيل ان المراد انها قد أطالت مسائرهم حتى ألقت الوحوش رحالهم وأخفيتهم .. وقوله - الجزع - هو بفتح الجيم وتكسر الخرز الجاني الصبغ فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه اتى بقوله لم يتقب ايغالا وتحقيقاً للتشبيه لأن الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون .. والبيت من قصيدة المشهورة التي قالها في معارضته لقصيدة علقمة النحلي ومطلعها

خليل مرابي على أم جندب نفقى لبانات الفؤاد المعذب

ومطلع قصيدة علقمة

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

وتحكيهما لام جندب امرأ القيس وحكما املقمة وطلاق امرئ القيس اياها

وتزويج علقمة لها كله مشهور فلا لطيل به

وَرَدْتُ اَعْتِسَافًا وَالتَّرِيًّا كَأَنَّهَا عَلَى قُمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُخْلَقٍ

وهذا الباب أكثر من أن يحصى . . . فلما تشبیه بشيئين فذل قول امرئ القيس
بصف عقابا

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(١)

وقوله

وَكَشَحَ طَيْفٌ كَالْجَدِيلِ مُنْصَرِّجٍ وَسَاقِي كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمَذَلِّ

ولبشار

كَأَنَّ مَتَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافَ قَتَالِيلٍ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^(٢)

(١) البيت من شواهد التلميح والشاهد فيه التشبيه للكفوف وهو أن يؤتى على طريق المعطف أو غيره بالشبهات أو لا تم بالشيء بها فيها شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالي إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يمتد بها ويقصد تشبيها وإذا قل الشيخ عبد القاهر أنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا إن الجمع فائدة في عين التشبيه . . . والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها

أَلَا عَمَّ سَيَاحُ أَبْهَى الطَّلَلِ الْبَالِي وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

(٢) - النقع - القبار . . . وهى - تهوى كواكب - يساقط بعضها في أربعض والاصل تهوى فحذفت احدى التاءين والبيت من شواهد البيان والشاهد فيه المركب الحسى في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة للقدار متفرقة في جوانب شتى مظم فوجه التشبيه مركب كما تري وكذا طرفاه كما في أسرار البلاغة يروي أنه قيل لبشار وقد أشد هذا البيت ما قيل أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيء منها فقال إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه التشغل بما ينظر اليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكروا عيته وأشدهم قوله

ولآخر

كَأَنَّ سُمُو النَّقْعِ وَالْبَيْضِ حَوْلَهُ سَمَاوَةٌ لَيْلٍ اسْفَرَّتْ عَنْ كَوَاكِبِ

وقول أبي نواس

كَأَنَّ صُغْرِي وَكُبْرِي مِنْ قَفَا قَعْمِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ^(١)

ولآخر

عميت جنبنا والذكاة من العمى فحيت عجيب الظن للعلم موثلا

وناض ضياء العين لاسلم رافدا لقلب اذا ماضيع الناس حصلا

وشعر كنود الروض لامت بينه يقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

ويحكى أنه قال لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

أعمل نفسى في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت كأن مثار النقع البيت وهو من قصيدة يمدح بها ابن هبيرة وأولها

جفاوده فازرا ومل صاحبه وأزوي به أن لا يزال يعائبه

ومنها اذا كنت في كل الامور معائيا صديقك لم تلق الذي لا تعائيه

فمن واحد أوصى أخاك فانه مقارب ذنب مرة ومجانبه

وهي طويلة فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم وكانت أول عطية سلية أعطها لبشار بالشعر ورفعت من ذكره

(١) قوله كأن صغرى وكبرى الخ . . . قد قيل أنه لحن لأن اسم التفضيل اذا كان مجردا من أل والاضافة يجب أن يكون مفردا مذكرا دائما فتأنيته لحن كما في البيت المذكور وقد اعتذروا عن هذا بأن أفضل العارى اذا كان مجردا عن معنى التفضيل جاز جمه فاذا جاز جمه جاز تأنيته . . . والنقائيع هي التفاحات التي تعلو الماء أو الخروقال يس المحفوظ في البيت من فواقعها بالواو قلت وفي ديوانه فواقعها

إِنَّ الشُّمُولَ هِيَ الَّتِي جَمَعَتْ لِأَهْلِ الْوُدِّ شَمَلًا

شَبَّهَهَا وَحُبَّهَا بِشَقَائِي بِحَمَلِنِ طَلًّا

وَلَا خَر

أَبْصَرْتُهُ وَالْكَاسُ بَيْنَ قَمَرٍ

فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وَلَا خَر

حَتَّى إِذَا خَلَيْتُ فِي الْكَاسِ خَلْتُ بِهَا عَقِيقَةً جَلَيْتُ فِي فِئْرِ بُلُورٍ

تُعْلَى إِذَا مَزَجْتُ فِي كَاسِهَا حَبَا كَأَنَّهُ عَرَقٌ فِي خَدِّ غَمُورٍ

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ

شَقَائِي بِحَمَلِنِ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ النَّصَائِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ

وَقَالَ آخَرُ

فَكَأَنَّ الرَّيْسَ يَجْلُو عَرُوسًا وَكَأَنَّ مَنْ قَطَرِدَ فِي نَارٍ

وَلَا بِي الْعَبَّاسُ النَّاشِءُ

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَي خَدِّهَا بَقِيعَةٌ مَلَّ عَلَى جِلْدَانِ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَأَحْسَنُ

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْفَرَاقِ حَاضِرًا وَهَبْتُ بِطْفَيْنِ قَلَّةِ الْوَجْدِ

لَمْ تَرَ إِلَّا الدُّمُوعَ سَافِحَةً تَسْفَحُ مِنْ مَقْلَةٍ عَلَي خَدِّ

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطَرُ نَدَى يَقَطُرُ مِنْ تَرْجِسٍ عَلَي وَرْدٍ

وَقَالَ جِرَانُ الْعُودِ

أَيُّتُ كَانَ اللَّيْلُ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ عَلَيْهَا سَقِيطٌ مِنْ نَدَى الطَّلِّ يَنْطِفُ

أَرَأَيْتَ لِمَعَا مِنْ سَيْلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ

وَلَا بِنِ الْمَعَزِ

سَقَّتَنِي فِي لَيْلٍ شَبَّهَ بِشَعْرِهَا شَبَّهَ خَدَّيْهَا بِفَيْرٍ رَقِيبٍ

فَامْتَسَيْتُ فِي أَيْدِيَنِ بِالشَّعْرِ وَالْذَّجِي وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمَرٍ وَوَجْهٍ حَبِيبٍ

وَقَالَ الْمُنَبِّيُّ

نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لِيَالِي أَرْبَعًا

وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَفْتٍ مَعَا

فَمَا تَشْبِيهِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ٠٠ فَنَلَّ قَوْلُ مَا فِي الْمَوْسُوسِ

لَشَرْتُ غَدَائِرَ شَعْرِهَا لِتُظَلِّلَنِي خَوْفَ الْعَيُونِ مِنَ الْوُشَاةِ الرُّمَقِ

فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّنِي صُبْحَانِ بَانَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبَقِ

وَلِبَعْضِهِمْ

رَوْضُ وَرْدٍ خِلَالَهُ تَرْجِسٌ غَضُّ يَحْفَانِ أَفْحُونًا لَصِيرَا

ذَائِبَاهِي لَنَا خُدُودًا وَذَائِحُ سَكِي عِيُونًا وَذَا يُضَاهِي ثُنُورًا

وَلَا خَر فِي التَّرْجِسِ

مَدَاهِنُ بَرٍّ بَيْنَ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ لَهَا عَمْدٌ غُرُوطَةٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ

وَلِلْبَحْتَرِيِّ فِي وَصْفِ ضَمَرِ الْمَطَايَا وَنَحْوِهَا

كَالْقِسِيِّ الْمُطْفَافَاتِ بَلِّ الْأَسْنَمِ بِبَرِيَّةٍ بَلِّ الْأَوْتَارِ^(١)

(١) البيت من ذواهد التامخيس والشاهد فيه مراعاة النظم وسمى التامخيس والتوافق

والإئتلاف والمؤاخاة وهو جمع أمر وما يناسبه من الغناء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا

قصد المناسبة بالاسم والأوتار لما تقدم من ذكر القسي وهذه المناسبة هنا معنوية لالفظية

ولبعض الطالبيين

وَأَنَا بَنُ مُنْتَلَجِ الْبَطَاحِ إِذَا غَدَا
غَبْرِي وَرَاحَ عَلَى مَتُونِ طَوَاهِرِ
يَقْتَرُ عَنِّي رُكْنُهَا وَحَظِيمُهَا
كَالْجَبَنِ يَفْتَحُ عَنْ سَوَادِ النَّاطِرِ
كَجِبَالِهَا شَرْقِيٍّ وَمِثْلُ سَهْوِهَا
خَلْقِي وَمِثْلُ ظِلَابِهَا مِنْ مَجَاوِرِي
وَأَمَّا تَشْبِيهِ أَرْبَعَةٍ بِأَرْبَعَةٍ فَقَوْلُ امْرِئٍ الْقَيْسِ

لَهُ أَبْطَلًا ظَلَمِي وَسَافَا لَعَامَةً
وَأَرْحَا بِرِجَاحِي وَتَقَرَّبُ تَقْلِي

وَلَا أُخَرِ

كَفْتُ نَاقُولُ رَاحًا بِرُجَاةٍ
خَفَرَاءَ تَقْدِفُ بِالْجَبَابِ وَتَزِيدُ
فَالْكَفُّ حَاجٌ وَالْجَبَابُ لَا لِي
وَالرَّاحُ يَبْدُو وَالْإِنَاءُ زَرْجَدُ

ولبعضهم وقد أهدى إليّ نرجس وأفعوان وشذوق وآسى فكُتِبَ إليّ التَّهْدِي

لَهُ مَا أَظَرَفَ أَخَا
الْأَفْكَ يَابَدَرَ الْكَرَمِ
أَهْدَيْتَ مَا لَمْ يَهْدِهَا
حَسَنًا وَظَرَفًا وَشِيمَ
فَا رَأَيْنَا مَهْدِيَا
فَبَلِّكَ فِي كُلِّ الْأَمَمِ
أَهْدَى الْعَبُودَ وَالْتَفَتُوا
رَ وَالْخُدُودَ وَاللِّمَمِ

وَلَا أُخَرِ

(١) - معتلج البطاح - بطن مكة يقول أنا من قرين البطاح إذا غدا غبري وراح على متون طواهرها .. وقرين ثلاثة أقسام قسم ينزل بطاح مكة وهم أشرفهم منهم ينو هائم وينو أمية وغيرهم من سادات قرين وهم صميم قرين والقسم الثاني قرين الطواهر وهم الذين لم تسهم الأباطح وقسم ثالث ليسوا من أهل الطواهر ولا الأباطح والكل قبائل

أَفْدَيْ حَبِيْبًا لَهُ بِدَائِلُحْ أَوْ صَافِي تَمَالَتْ عَنْ كُلِّ مَا أَصِفُ
كَالْبَدْرِ يَمْلَأُ وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالْغَزَالُ يَعْطُوا وَالْفُصْنُ يَنْعَطِفُ

المنجى

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ لُحُوطُ بَانٍ
وَفَاحَتْ عَنَبًا وَرَنْتْ غَزَالًا

وَلَا أُخَرِ

سَمَرَنَ يَدُورًا وَانْتَمَنَ أَهْلَةً
وَمِنْ غُصُونِهَا وَالتَّفَنُّنِ جَا ذَرَا

وَأَمَّا تَشْبِيهِ حَسَّةٍ بِحَسَّةٍ فَقَوْلُ الْوَاوِ الدِّمَشْقِيِّ وَهُوَ أَبُو الْقُرَيْشِ

وَأَسْبَلْتُ لَوْلُوهُ مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَزَدَا وَغَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ
وَأَمَّا تَشْبِيهِ سِتَّةٍ بِسِتَّةٍ فَلَمْ أَجِدْهُ إِلَّا لَاحِظًا لِلْعَنَزِ فِي قَوْلِهِ

بَدَرٌ وَلَيْلٌ وَغُصْنٌ وَجَهٌ وَشَعْرٌ وَقَدْ
خَمَرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ رِيْقٌ وَنَمْرٌ وَخَدٌ

جلس آخر ٦١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وَمِنَّا لَنُبَشِّرُكَ وَأَخِطَانَا) .. فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك وعندكم أن اللسيان من فعله تعالى فلا تكليف على الناس في حال لسيانه وهذا يقتضى أحد أمرين إما أن يكون اللسيان من فعل العبادة على ما يقوله كثير من الناس أو تكون متعبدتين بمسئلته تعالى ما تعلم أنه واقع حاصل لأن مؤاخذه الناس مأموته منه تعالى والقول في الخطأ إذا أريد به ما وقع سهواً أو عن غير عمد يجري هذا الجرى .. الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية المراد

(١) وقيله

ومنفستات في النقاب كأنها هززن سيوفاً واستبين خناجرا

نسياننا تركنا قال أبو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان منها الترك كما قال تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبله قلبي) أي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى (نسوا الله فأنسواهم) أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها وأنشد ابن عرفة

وَلَمْ أَلِكْ عِنْدَ الْجُودِ لِلْجُودِ قَالِيًّا وَلَا كُنْتُ يَوْمَ الرُّوعِ لِلطَّعْنِ نَاسِيًّا

أي تاركاً. ويمكن أن يكون على ذلك شاهداً قوله تعالى (أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أي تتركون أنفسكم. ويمكن في الآية وجه آخر على أن يحملة النسيان على السهو وفقد المعلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد يفتاه فيما تقدم من الأمل من أنه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى وإظهار الفقر إلى مسئلته والاستعانة به وإن كان مأموماً منه المؤاخذه بمثله ويجري مجرى قوله تعالى في تعاليمنا وتأديبنا (لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ويجري قوله تعالى (قل رب احكم بالحق) ولا تخزني يوم يبعثون) وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة (فاغفر للذين تابوا) الآية وهذا الوجه يمكن أيضاً في قوله تعالى أو أخطأنا إذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو غير عمد فاما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يفعله من المعاصي بالتأويل السيئ وعن الجهل بأنها معاص لأن من قصد شيئاً على اعتقاد أنه بصفة فوق ما هو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا عما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل وإنما أقدموا عليه غططين متأولين. ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا أو فعاننا قبيحاً وإن كنا له متعمدين وبه علمين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب وإن كان فاعلمها متعمداً فكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا عما تركوه من الواجبات وما فعلوه من المنهيات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله أعلم بمراده. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوماً لأبي العباس محمد ابن يزيد النحوي ما أعرف ضادية أحسن من ضادية أبي الشيبان فقال له كم ضادية حسنة لا تعرفها ثم أنشده لبيار

غَمَضَ الْحَدِيدُ بِصَا حَبِيكَ فَنَمَضَا وَكَانَ قَلْبِي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ
وَبَقِيَ تَطَلُّبُ فِي الْحَبَالَةِ نَمَضَا عَظُمَ تَكَرَّرُ صَدَهُ فَتَهَيَّضَا
وَأَخِ سَلَوْتُ لَهُ فَاذْ كَرَهُ أَخِي فَمَضَى وَتَذَكَّرَ الْحَوَادِثُ مَا مَضَى
فَأَشْرَبَ عَلَى تَلَفِ الْأَحْبَةِ إِنَّا جَزُرُ الْمَنِيَّةِ ظَالِعِينَ وَخُفَضَا
وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الْعَصَا طَلَقَ الْعَصَا ثُمَّ ارْغَوَيْتُ فَلَمْ أُجِدْ لِي رُكُضَا
وَعَلَيْتُ مَا عَلِمَ امْرُؤٌ فِي دَهْرِهِ فَأَطَعْتُ عَذَابِي وَأَعْطَيْتُ الرِّضَا
وَصَحَوْتُ مِنْ سُكْرٍ وَكُنْتُ مُوَكَّلًا أَزْعَى الْحَمَامَةِ وَالْغَرَابِ الْأَيْضَا

- الحمامة - المرأة - والغراب الأبيض - الشعر الثائب. فيقول كنت كثيراً أنعمد نفسي بالظفر في المرأة وترجيل الشعر. وقوله - والغراب الأبيض - لأن الشعر كان غريباً أسود من حيث كان شاباً ثم أبيض بالشيب

ما كلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَاءِهَا وَلِرُبَا صَدَقَ الرَّيِّعُ فَرَوْضَا
مكدا أنشده المبرد ويحيى بن علي وأنشده ابن الأعرابي

ما كلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَاءِهَا وَكَذَلِكَ لَوْ صَدَقَ الرَّيِّعُ لَرَوْضَا
قَدْ ذُقْتُ الْفَتَنَةَ وَذُقْتُ فِرَاقَهُ فَوَجَدْتُ ذَا عَسَلٍ وَذَا جَمْرٍ النَّضَا
يَا لَيْتَ شَعْرِي فِيمَ كَانَ صُدُودُهُ مَا سَأْتُ أُمَّ رَعْدَةَ السَّحَابِ وَأَوْضَا
وغير من ذكرنا برويه - أم أجم الخلال فاحضاً -

وَيْلِي عَلَيْهِ وَيَوَيْتِي مِنْ بَيْنِهِ مَا كَانَ إِلَّا كَالْخِضَابِ فَقَدْ كَضَا
سَبْحَانَ مَنْ كَتَبَ الشَّقَاءَ لِلَّذِي الْهَوَى كَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ حُكْمًا فَانْقَضَا
قال المبرد وهي طويلة. وذكر يوسف بن علي بن يحيى عن أبيه أن أبا نواس أخذ قوله

جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الْجَمُوحُ^(١)

من قول بشار

ولقد جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الصَّبَا

[قال الشريف المرتضى] ٠٠ رضى الله عنه ولا يى تمام والبعتى على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان ان لم يزيدا على ضادية بشار الى استحسنها للبرد لم يقصرا عنها وأول قصيدة أبي تمام

أَهْلُوكَ أَضْحَوْا لَشَاخِصًا وَمَقُوضًا وَمَرْمًا يَصِفُ النَّوَى وَمَرْصًا
إِنْ يَدْجُ لَيْلِكَ أَنْتُمْ أَمْوَا اللُّوَى فَبِمَا إِضَاوَهُمْ عَلَى ذَاتِ الْإِضَا
بَدَلْتُ مِنْ بَرَقِ الثُّغُورِ وَبَرْدِهَا بَرَقًا إِذَا ظَلَمَ الْأَحِبَّةُ أَوْ مَضَا

يقول فيها

مَا أَنْصَفَ الشَّرْحُ الَّذِي بَعَثَ الْهَوَى قَقْضَى عَلَيْكَ بِلُوعَةً ثُمَّ أَنْقَضَى
عِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهَ أَضْحَى بِشَارِبٍ مُرْقِدٍ مَاعِضًا

(١) هو أول أبيات ونعامة • وعان على ماثور القبيح •

ويعد • وجدت القمارية الليالى قرآن النعم بالوزر القصيح
ومسمة اذا ما شئت غنت متى كان الحيام يذى طلوح
تخضع من شباب ليس يبقى وصل بعري القيق غرى العنبوح
وخذها من معتقة كبت تنزل درة الرجل الشحيح
تغيرها لكسرى رائدوه لها حفظان من طعم وريح
ألم ترفى أبحت الراح عرضى وعرض مرأشفت الظلي الملبح
وإني عالم أن سوف تنأى مسافة بين جثماني وروحي

وقال أبو العتاهية لقد جمع بين هذين البيتين معنى قوله جرئت مع الصبا الخ وقوله
وإني عالم الخ - إلاعة ومجونا واحسانا وعظلة وكان أبو العتاهية أشدهما دون غيرها

لَا تَطْلُبُنِ الرَّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ فَتَرُومُهُ سَبْعًا إِذَا مَاعِضًا
مَاعُوضُ الصَّبْرِ أَمْرُؤٌ إِلَّا رَأَى مَافَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عُوِضًا
يَا أَحْمَدُ بَنِ أَبِي دَوَادٍ دَعْوَةً ذَلَّتْ بِذِكْرِكَ لِي وَكَانَتْ رِيضًا
لَمَّا اتَّضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفُ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى يَنْتَضِي
فَدَكَ كَانَ صَوَّحَ نَبْتٍ كُلِّ قَرَارَةٍ حَتَّى تَرْوَحَ فِي نَدَاكَ فَرُوضًا
أُورِدَتْ فِي الْعَمَةِ الْخَسِيفَ وَقَدْ أَرَى أَتَبَرُّضُ الثَّمَدَ الْبَكِيَّ تَبَرُّضًا

وأما قصيدة البعتى فأولها

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَيْسِيَةِ وَيَيْضًا وَنَضًا مِنَ السَّيِّئَةِ عَنْهُ مَا نَضًا
وَسَبَّاهُ أَغْيَدُ فِي تَصَرُّفِ لَحْظِهِ مَرَضُ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبُ وَأَمْرَضًا
وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يَقْتَضِي
سَيَّانُ أَتْرَى مِنْ جَوَى وَصْبَابَةٍ وَأَسَافَ مَنْ وَصَلَ الْحِسَانَ وَأَنْقَضَا^(١)
كَيْفَ يُكْفِكِفُ عِبْرَةً مُرَاقَةً أَسْفَاعِي عَهْدَ الشَّبَابِ وَمَا أَنْقَضِي
عَدَدُ تَكَامُلِ الشَّبَابِ حَيْثُهُ وَإِدَامُضِي الشَّيْءَ حَانَ فَقَدْ مَضِي

يقول فيها

فَعَقَعْتُ لِلْبُخْلَاءِ أَذْعَرَ جَأَشَهُمْ وَتَذِيرُهُ مِنْ فَاضِلٍ أَنْ يَنْتَضِي

(١) - الجوى - الحزن والعسابة والشوق - وأساف - ذهب غرامه مأخوذ من قولهم
أساف الرجل ذهب ماله والاسم السواف بالضم وقال أبو عمرو انه بالفتح ولم يقع ذلك
لغيره والصواب الاول لأن فعمال بالضم مطرد فيما يدل على الداء كالرطاف والزكام
- وأنقض - خلا وهذا من عطف الشيء على مرادفه • المعنى يستوى ان كثر غرامه
وأخلا منه

وكذلك من حش الصريم تهذا أن مد فضل لسانه أو لفضا

ولها

لا تُكِرْنِ من جاريته إن طوي
فالأرض واسمة لنقلة راعب
لا تبهل إغضائي إنا كنت قد
لست الذي إن عارضته ملعة
لا يستقر في الطيف ولا أري
أنا من أحب تباربا وكأني
أغيت سنيك كي يحيم وإنما
وسكت إلا أن أعرض فائلا
نزرا وصرح جهده من عرضا

.. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه قال من

مختار شعر يشار قوله في وصف الزمان

عُتِبَ على الزمان وأي حي
وآمنة من الحدنان تزي
وليس بزائل يزني ويدي
متي تاب الكرامة من كريم

وله في نحوه

يا خليلي أصدبها أو ذرا
لا تكونا كأمري صاحبه

ذهب المعروف إلا ذكره ربما أبكي الفتى ما ذكرنا
وبقينا في زمان مفضل يشرب الصفو ويقي الكدرا

قال وله

قد أذكرك العاحة ممنوعة وتولع النفس بما لا تمان
والهم ما أمسكت في الحشا ذاب وبعض الداء لا يستقال
فاحتل بهم علي عاتق إن لم تساعفك العندى الجلال

قال يحيى قوله - عاتق - يعني الحر وهذا مثل قوله

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ولم أر المنيون غير العاقل
رحلت عسا من شراب بابل فبت من عقلي علي مراحلي

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه هذا الذي ذكره بحمله البيت على استكراه
ويحمل أيضا أن يريد بالعاتق الهضو ويكون المنيون من يحمل عنك همومك
ويقوم بأنك وبخلف عنك فتعدي ذلك أنت بنفسك واصبر عليه فكأنه يأمر نفسه
بالجهد والصبر على البأس وهذا البيت له نظائر كثيرة في الشعر .. وأخبرنا المرزباني
قال حدثنا علي بن هارون قال حدثني أبي قال من بارع شعر يشار قوله بصف جارية
مغنية قال علي وما في الدنيا شيء لقدم ولا يحدث من منشور ولا منظوم في صفة الغناء
واستحسنه مثل هذه الأبيات

ورائحة للمين فيها حيلة إذا برقت لم تسقى بطن صعيد
من المستهلالات الهوم علي الفتى خفا بزقها في عصفر وعقود
جسدت عليها كل شيء يمسها وما كنت لولا حبها بحسود
وأصفر مثل الزعفران شربته علي صوت صفراء التراب ربود
كأن أميرا جالسا في ثيابها تومل رؤياه عيون وفود

(٧ - أمالي رابع)

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَسْرُخْ عَلَى أَهْلِ ثَلَّةٍ
تُمِيتُ بِهِ الْبَابِنَا وَقُلُوبَنَا
إِذَا نَطَقْتَ صُحُنَا وَصَاحَ لَنَا الصَّدَى
ظَلَمْنَا بِذَلِكَ الَّذِينَ يَوْمَ كَلَّةٍ
وَلَا بَأْسَ إِلَّا أَنَّا عِنْدَ أَهْلِنَا
قَالَ وَأَشَدُّ أَبِي لَهُ فِي وَصْفٍ مَغْنِيَةٍ

لَعَمْرُ أَبِي زَوَّارُهَا الصَّيْدُ إِنَّهُمْ
تُصَلِّي لَهَا آذَانُنَا وَعُيُونُنَا
وَصَفَرَاءُ مِثْلِ الْخَيْزُرَاءِ لَمْ تَعِشْ
إِذَا قَلَّدْتَ أَطْرَافَهَا الْعُودَ زَلَزَلْتَ
كَأَنَّهُمْ فِي جَنَّةٍ لَمْ تَلَا حَقَّتْ
بِرُوحُونٍ مِنْ تَغْرِيدِهَا وَحْدِيدِهَا
لَعُوبٍ بِالْبَابِ الرِّجَالِ وَإِنْ دَنَتْ
أَطْيَعُ النَّقَى وَالنَّحَى غَيْرُ مُطَاعٍ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ - الصَّوَاعُ - الْمَكْبَالُ يَقُولُ إِذَا غَنَّتْ شَرِبُوا جَزَافًا بِسِلَاقِ الْكَلِّ وَلَا
وَزْنَ مِنْ حَسَنِ مَا يَمْنَعُونَ * [قَالَ الشَّرِيفُ الْمَرْتَضِيُّ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا خَطَأً مِنْهُ
وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّمَا غَنَّاؤُهَا لَفَرْطُ حَسَنِهِ وَشِدَّةُ أَطْرَافِهِ فَيَسِيانُ شِرَّةَ الْحَرِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَرْبٌ

(١) قَوْلُهُ - تُمِيتُ بِهِ الْبَابِنَا وَقُلُوبَنَا - إِلَى آخِرِهِ ظَاهِرُ الْقِيَامِ أَنَّ مَضَارِعَ مَاتَ مَثَلَتْ
وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَالضَّمُّ إِنَّمَا هُوَ فِي الْوَاوِيِّ كَقَالَ يَقُولُ وَالْكَسْرُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْيَاءِ كَيَبِيعُ فِي
بَاعَ وَهِيَ لَفَةٌ مَرْجُوحَةٌ آتَرَاهَا جِمَاعَةٌ وَالْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْمَكْسُورِ الْمَاضِي كَمَا لَمْ يَعْلَمْ
وَنَظِيرُهُ مِنَ الْعَتَلِ خَافَ بِخَافٍ خَوْفًا

بِصَوَاعٍ وَهَذَا يَجْرِي بِجَرِيِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ
وَيَوْمَ ظَلَمْنَا عِنْدَ أُمِّ مُحَلِّمٍ نَشَاوِي وَلَمْ تَشْرَبْ طَلَاءً وَلَا خَمْرًا
وَمَا كَانَ عِنْدِي أَنْ أَحْدَا بِتَوْهَمٍ فِي مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ مَا ظَنَنَهُ هَذَا الرَّجُلُ ٥٠ وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي
الْقِطْعَةِ الْأُولَى

وَأَصْفَرَّ مِثْلَ الزُّعْفَرَانِ شَرِبَتُهُ

الْبَيْتُ فَيَعْتَدِلُ وَجْهًا ثَلَاثَةً أَوْ هَلَا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِصَفَرَةٍ نَرَائِمِهَا الْكُنْيَاءَ عَنْ كَثْرَةِ تَعْلِيلِهَا
وَتَضَعُهَا وَإِنْ نَرَائِمِهَا صَفَرٌ لَذَلِكَ كَمَا قَالَ الْأَعَنِيُّ

بَيَضَاءُ ضَحْوَتِهَا وَصَفَرُ رَأْيِ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارِ

- وَالْعَرَارُ - بَهَارُ الْبَرِّ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهَا تَضَعُ بِالْعَتَى بِالْعَلِيبِ فَيَصْفَرُهَا وَمِثْلُهُ لَذِي الرِّمَةِ

بَيَضَاءُ فِي دَعَجٍ كَحَلَا فِي بَرَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

وَقِيلَ فِي يَتِ قَبَسِ بْنِ الْخَطِيمِ

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحُسْنِ أَوْ كَدُّ نَوَّهَا لِرُغُوبِ

صَفَرَاءُ أَعْجَلَهَا الشَّبَابُ لِدَائِمِهَا مَوْسُومَةً بِالْحُسْنِ غَيْرَ قَطُوبِ

أَيُّهَا سَبَقَتْ أَعْرَافُهَا ٥٠ وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الرِّقَابِ

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلدَّائِمِهَا فَمَضَتْ عَلَى غُلُوبِهَا (١)

(١) - الْبَيْتُ مِنْ جِلَّةِ آيَاتِ يَقُولُهَا فِي أُمِّ الْبَنِينِ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ زَوْجِ

الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهِيَ

أَحْمَدُ - بِنْتُ عَنْ أُمِّ الْبَنِينِ وَذَكَرَهَا وَغَنَّا

وَعَجَرَتَهَا عَجَرُ أَمْرِي لَمْ يَقُلْ صَفَوُ صَفَا

مِنْ خِيفَةِ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَوْهُوا أَدِيمَ صَفَا

قَرَشِيَّةٌ كَالشَّمْسِ أَشْ رَقَّ نَوْرُهَا بِيَهَا

وجهان ٥٥ أحدهما أنه أراد أنها تتعيب بالعنبر فتصفر لأن الشمس تعيب صفراء الوجه
٥٥ والآخر أراد المبالغة في الحسن لأن الشمس أحسن ما تكون في وقتها هذين
ومن ذلك قول قيس بن الخطيم

صَفْرَاءُ أَتَجَلَّهَا الشَّبَابُ لِدَاتِهَا

ومثله للاعشى

إِذَا جُرِدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيصَةً عَلَيْهَا وَجَزَيْتَ النَّضِيرَ الدَّلَامِصَا
- الخميصة ثوب ناعم لين ناعم شبه به نعومة جسمها - والنضير الذهب - والجريال -
كل صبغ أحمر وإنما يعنى لون الطيب عابها - والدلامس - البراق فهذا وجه ٥٥ والوجه
الثاني أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المرأة اذا كانت صافية اللون
رقية ضرب لونها بالمشي الى الصفرة ٥٥ قال علي بن مهدي الاصفهاني قال لي أبي قال
لي الجاحظ زعموا ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالقضاء الى البياض
وبالمعنى الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز

قَدْ هَلَمَّتْ بَيَاضًا صَفْرَاءُ الْأَصْلِ

زادت على البياض الحما	ت بحسها وقاشها
لما أصبحت للشبا	ب وقصعت بردائها
لم تلتفت لشدائها	ومضت على غلوائها
لولا هوي أم البت	ين وحاجتي لقاتها
قد قربت لي بفلة	محبوسة لنجاشها

ومعنى - مضت على غلوائها أي مضت على أول شبابها يقال فعل ذلك في غلواء شبابه أي في أوله
٥٥ قال الاعشى

إلا كنا شرة الذي ضيعتم كلفن في غلوائه المثلث

وقيل الغلواء سرعة الشباب وحقيقته من الغلو وهو الارتفاع والمجدد ويقال مضى
الرجل على غلوائه اذا ركب أمره وبلغ فيه غايته

وزعم ان بيت ذى الرمة الذي أشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي
أشدناه والابيات تحتها للأمرين فأما البيت الذي لا يحتمل الا وجهاً واحداً فهو قول الشاعر
وقد خنقتها عبرة فدهوعها علي خد ها حمر وفي خد ها صفراً

فأما لا تكون صفراً في نحرها الا لأجل الطيب ٥٥ فأما قوله - على خد ها حمر - فأما
أراد أنها تصبغ بلون خد ها ٥٥ والوجه الثالث أن تكون المرأة كانت صفراء على
الحقيقة فإن بشاراً كثيراً ما يشب بامرأة صفراء كقوله

أَصْفَرَاءُ لَا أُنْسَى هَوَاكَ وَلَا وَدِي وَلَا مَامَضِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ عَهْدٍ
لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
أي كما كان بين طيب المسك والعنبر وكقوله

أَصْفَرَاءُ كَانَ الْوُدُّ مِنْكَ مُبَاخَا لِيَا لِي كَانَ الْهَجْرُ مِنْكَ مَزَاخَا
وَكَانَ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ قُبَاخَا فَلَمَّا غَبَتْ صُرْنُ مَلَاخَا
وقد روي - ملاحا فلما غبت صرن قباحا - وقوله قباحا فلما غبت يشبه قول السيد بن
محمد الجعفي

وَإِذَا حَضَرَنَ مَعَ الْمَلَّاحِ بِمَجْلِسٍ أَبْصَرْتُهُنَّ وَمَا قَبَحَنَ قَبَاخَا

فأما قوله - من البياض لم تسرح سوامك - فإنه لا يكون مناقضاً لقوله صفراء وان أراد بالصفرة
لونها لأن البياض هنا ليس بعبارة عن اللون وإنما هو عبارة عن ققاء العرض وسلامته
من الانسان والعرب لا تكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لأن البياض
عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر

جَاءَتْ بِهِ بَيَاضًا تَحْمِلُهُ مِنْ عَيْدِ شَمْسٍ صَلْتَةُ الْخَدِّ

ومثله بياض الوجه ٥٥ فأما قول بشار في القطعة الثانية - وصفراء مثل الخيزرانة - فإنه يحتمل
ما تقدم من الوجوه وان كان اللون الحقيقي خص بقوله كالخيزرانة لأن الخيزران يضرب
الى الصفرة ويحتمل أيضاً أن يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة

انها مثلها في الثاني والتمتع . . . ولقد أحسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم
 كَانَ سَبِيكَةً صَفَرَاءَ صِدَّتْ عَلَيْهَا ثُمَّ لَيْتَ بِهَا الْإِزَارُ
 بَرُودُ الْعَارِضِينَ كَانَ فَاهَا بُعِيدَ النَّوْمِ مَسَكٌ مُسْتَشَارُ

جلس آخر ٦٢

[تأويل آية] . . . ان سأل سائل عن قوله تعالى (الله يستهزي بهم) ويدهم في طلبهم
 . . . فقال كيف أضاع الاستهزاء اليه تعالى وهو تعالى لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف
 خير بأنه يدهم في الطغيان والعصاة وذلك بخلاف مذهبكم . . . الجواب قلنا في قوله تعالى
 (الله يستهزي بهم) وجوه . . . أولها أن يكون معنى الاستهزاء الذي أضاعه تعالى الى نفسه
 تحجيلة لهم وتخطئة إياهم في إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى
 ذلك استهزاء مجازاً والساعا كما يقول القائل ان قلنا يستهزأ به منذ اليوم اذا فعل فعلا
 عليه الناس به وخطؤوه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازواؤهم على فاعله مقام
 الاستهزاء به وإنما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لأن الاستهزاء الحقيقي هو ما قصد
 به الى عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة والتجويل والتبكيك هذا
 المعنى جاز أن يجري اسم الاستهزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى (وقد نزل عليكم في
 الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) ونحن نعلم ان الآيات لا يصح
 عليها الاستهزاء ولا السخرية في الحقيقة وإنما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويهزئ
 عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام منقاريه في معناه فتجري عليه اسمة . . . قال الشاعر
 كَرَمٌ مِنْ أَنْاسٍ فِي نَعِيمٍ عَمَرُوا فِي ذُرِّي مَلِكٍ تَعَالَى فَبَسَقَ
 سَكَتَ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ
 والسكوت والتعاق على الحقيقة لا يجوز ان على الدهر وإنما شبه تركه الحال على ما هي
 عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وأنشد الفراء

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ أَرْمَانٌ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لتقارب المعنى

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

وإنما أراد بالأكل والشرب الإفساد لهم والتغيير لأحوالهم . . . ومثله

يَقِرُّ بِمَعْنِي أَنْ أَرَى بَابَ دَارِهَا وَإِنْ كَانَ بَابُ الدَّارِ يَحْسِبُنِي جَلْدًا

. . . والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى أن يستدرجهم ويهلكهم
 من حيث لا يعلمون ولا يشعرون . . . وروى عن ابن عباس أنه قال في معنى استدراجهم
 إياهم أنهم كانوا كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وإنما سمي هذا الفعل استهزاء من حيث
 غيب تعالى عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما ظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ
 منا المخادع لغيره يضرر أمراً ويظهر غيره . . . فان قيل على هذا الجواب فالمسئلة قائمة
 وأى وجه لا يستدرجهم بالنعمة الى الهلاك . . . قلنا ليس الهلاك هنا هو الكفر وما أشبهه
 من المعاصي التي يستحق بها العقاب وإنما استدراجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه
 بما تقدم من كفرهم والله تعالى أن يعاقب المستحق بما شاء أي وقت شاء فكأنه تعالى
 قال كفروا وبدلوا نعمة الله وما بدوا رسله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل أبقاها لتكون
 حق نزاعها عنهم وأبدلهم بها فيما تكون الحسرة منهم أعظم والضرر عليهم أكثر . . . فان قيل
 فهذا يؤدي الى تجويز أن يكون بعض ما ظاهرها ظاهر النعمة على الكفار عما لا يستحق
 الله به الشكر عليهم . . . قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب وإنما المنكر أن تكون
 النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما يلزم مخالفينا ألا ترى أن الحياة وما جرى مجراها من
 حفظ التركيب والصحة لا يبعد على أهل النار نعمة وان كان على أهل الجنة نعمة من
 حيث كان القرض فيه ايصال العقاب اليهم . . . والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه
 تعالى بهم ان جعل لهم بما أظهرها من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم من نظره
 ومناكحه وموارثه وموافقه وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معداً لهم في الآخرة
 أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستهزؤا به من الكفر فكأنه تعالى قال ان كنتم إيماناً

المدققون بما تظاهروا له المؤمنين من الثابتة والموافقة وتبعثونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتهم بهم تظنون انكم مستزؤون بالله تعالى هو المستزئ بكم من حيث جهل لكم احكام المؤمنين بظاهرا حتى ظننتم ان لكم ما لم ثم ميز تعالى بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث اناب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم باطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه .. والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يرد استزائكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم وتغير ذلك قول القائل ان فلانا اراد ان يخذلني فخذلته وقصد الى ان يكره في فكرت به ولله ان ضرر خداعه ومكره عند الله ولم يضرك به .. والجواب الخامس ان يكون المعنى ان يجازيهم على استزائهم فلما الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثله) وقال (من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) الآية وقال (وان عاقبتم لعاقبوا مثله ما عوقبتم به) والمبتدأ ليس بعقوبة .. وقال الشاعر

أَلَا يَجْهَرُ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجَلَّ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(١)

ومن شأن العرب ان تسمى الشيء باسم ما يغاريه ويساحبه ويشتهر اختصاصه به وتعلقه به واذا انكشف المعنى وأمن الابهام وربما قبلوا أيضاً اسم أحد الشبثين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهم فقال الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزاولة وللمزاولة الحمولة على البعير رواية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه .. قال الشاعر

مَشَى الرَّوَابِيَا بِالْمَزَادِ الْأَثْقَلِ

أراد الروايا الايل ومن ذلك قولهم صرعت الكأس فاستلبت عنه .. قال الشاعر

وَمَا زَالَتِ الْكَاسُ تَمْتَلِنَا وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذي أضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحل فيها لأن العرب لا تقول الكأس الا بما فيه من الشراب فكان الاءاء الفارغ لا يسمى

(١) - البيت من معلقة عمرو بن كلثوم

كأساً وعلى هذا القول يكون إضافة اختلاس العقل والتصرع وما يجري مجرى ذلك الى الكأس على وجه الحقيقة لأن الكأس على هذا القول اسم للاءء وما حل فيه من الشراب .. ومثل الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

أراد لنا شمسها وقمرها قلب .. ومنه قول الآخر

قَقُولًا لِأَهْلِ الْمَكْتَنِينَ تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَقْرِبِ وَالنَّخْلِ

أراد - بمكتنين - مكة والمدينة^(١) وقال الآخر

قَبْضَةُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا وَالْمَوْصِلَانِ وَمِنَّا مِصْرُ وَالْحَرَمُ

أراد - بالموصلين - الموصل والجزيرة .. وقال الآخر

تَحْنُ سَبِينَا أَمَّكُمْ مَقَرِّبَا يَوْمَ صَبَحْنَا الْحَبِيبَيْنِ الْمَثُونِ

أراد - الحبرة والكوفة - وقال آخر

إِذَا اجْتَمَعَ الْعَمْرَانِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَبَذْرُ بْنُ عَمْرِو وَخَلَّتْ ذِيَابُ جُوعَا^(٢)

(١) - وقال القريشان لمكة والطائف وفسر به قوله تعالى (لولا نزل هذا القرآن

على رجل من القريتين عظيم) وقال أيضاً الحرمان لمكة والمدينة والحيرتان للبصرة والكوفة

(٢) - قوله - اذا اجتمع العمران - الخ هما عمرو بن جابر بن هلال بن عقيل بن سمي

ابن مازن بن فزارة وبذر بن عمرو بن جوقية بن لؤي بن ثعلبة بن عدي بن فزارة

وعما روى فزارة .. والبيتان لفراد بن حنش الساردي من بني الساردي بن مرة .. قلت

ومن هذا النوع قولهم سيرة العمرين لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقبل ما عمر بن

الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وهذا غلط قال معاذ الهراء لقد قيل سيرة

العمرين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال سيبويه أما قولهم أعطيتكم

سنة العمرين فانما أدخلوا الالف واللام عليهما وهما تكرة وكأنهما جمعا من أمة كل

(٨ - امالي رابع)

وَالْقَوَا مَقَالِيدَ الْأُمُور إِلَيْهِمَا جَمِيعًا وَكَانُوا كَارِهِينَ وَطَوَّعَا
أَرَادَ بِالْعَمْرَيْنِ - رجلين يقال لأحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسر الشاعر في البيت
... ومثله

جَزَانِي الزَّهْدَ مَا نِ جَزَاءَ سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالكَرَامَةِ (١)

أَرَادَ بِالزَّهْدَ مَعْنَى - رجلين يقال لأحدهما زهدم وللآخر كزدم فغلب وكل الذي ذكرناه
يقوى هذا الجواب من جواز تسمية الجزاء على الذنب باسمه وتغليب عليه للمقاربة
والاختصاص الثام بين الذنب والجزاء عليه ... والجواب السادس ماروي عن ابن عباس
أنه قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه
مد عليهم فيستحلكت للمؤمنين منهم إذا وأوا الأبواب قد أغلقت عليهم ولذلك قال تعالى
(قَالِ يَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَبْتَظِرُونَ) ... فإن قيل لأي فائدة
في هذا الوجه وما وجه الحكمة فيه ... قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لأن ذلك أغلظ في
تعوسهم وأعظم في مكروهم وهو تنرب من العقاب الذي يستحقونه بأفعالهم القبيحة
واحد منهما عمر واختصاصا باختصم النجم بهذا الاسم فصار بمنزلة للسرير إذا كنت
تعنى النجمين بمنزلة القريين المشهورين بالكوفة اه

(١) وبمنه

وقد دافعت قد علت معد حتى قرط ومهما قدما

ركبت بهم طريق الحق حتى أتيتهم بها مائة ظلامه

والآيات لقيس بن زهير والزهدمان هما زهدم وكزدم أبنا حزن العسبان ... ومعنى جزائهما
لقيس بن زهير أنهما يوم شعب جيلة لما أنهم حاجب بن زوراة تبعاه فجعلوا بطرداه
ويقولان له استأسر فيقول من أنما فيقولان الزهدمان فيقول لا أسأسر لمولين فاستأسر
لمالك ذي الرقية فاستأنا بقيس بن زهير فنأزع ذا الرقية فحكموا حاجباً فقال أمان
ودني عن قصدي فالزهدمان وأما الذي استأسرت له فالأك فحكوا في نفس فحكوه
فقال أما مالك فله ألف ناقة وللزهدمين مائة ثم وقعت بين قيس والزهدمين ماضية
فقال الآيات

لأن من طمع في النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حبل بينه
وبين الفرج ورد إلى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب ما لا طريق للطمع
عليه ... فإن قيل فلهي هذا الجواب ما لفعل الذي هو الاستنزاه ... قلنا في ترداده لهم من
باب إلى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستنزاه من حيث كان اظهاراً لما المراد خلافه وإن
لم يكن من معنى الاستنزاه ما يقتضي قبضه من اللهو واللعب وما جري مجري ذلك ...
والجواب السابع أن يكون ما وقع منه تعالى ليس باستنزاه على الحقيقة لكنه ساء بذلك
ازدوج اللفظ ويخف على اللسان ولا مرب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد
عليه مذكورة ومشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن أن تذكر في قوله
تعالى (ويعكرون ويعكر الله والله خير الماكرين) وفي قوله (إن لنا لقائين يخادعون الله
وهو خادعهم) فليتأمل ذلك ... وأما قوله تعالى (ويعدهم في طغيانهم يعمهون)
ليحتله وجهين ... أحدهما أن يريد أن يمل لهم في العمر وأمهلهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم
مع ذلك مستمسكون بطغيانهم ومهمهم ... والوجه الآخر أن يريد يجهلهم أن يتركهم من فوائده
ومنعه التي يؤتها المؤمنين ثوابهم ويمنعهم من الكافرين عقاباً كشرحه لصدورهم وتنويره
لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله ... [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وافي
لأنه يحسن لبعض الاحزاب قوله

خَلِيلِي هَلْ يَشْفِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْجَوَى يَدٌ وَذَرَى الْأَوْطَانَ لَا بَلْ يَشُوقُهَا

ويزداد في قرب إليها صباة وَيَبْعُدُ مِنْ قَرَطِ اسْتِثْيَاقِ طَرِيقُهَا

وَمَا يَنْفَعُ الْحَرَانَ ذَا الْوُحْ أَنْ يَرَى حِيَاضَ الْقَرِيِّ مَمْلُوءَةً لَا يَذُوقُهَا

وَلَا خَرَى تَذَكُّرِ الْأَوْطَانِ وَالْحَيْنِ إِلَيْهَا

أَلَا قُلْ لِدَارِ بَيْنِ أَوْ كَشِيَةِ الْحَيِّ وَذَاتِ الْفَضَا جَادَتْ عَلَيْكَ الْهَوَاضِبُ

أَجْدُكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَقَلَّبَتْ دُمُوعُ أَصْنَاعَتِ مَا حَفِظْتَ سِوَا كِبُ

دِيَارُ تَنَاسَّتِ الْهَوَاءَ بِجَوِّهَا وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهَوَى وَالْحَبَائِبُ

لَيْلِي لَا الْمَجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَصْلٍ مِنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبٌ

وأنشد أبو نصر صاحب الأصبى لامرأى

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَشْرَبَنَ الدَّهْرَ مِنْ مَاءٍ مَزَنَةٍ
بِلَادٍ بِهَا كُنَّا نَحْمِلُ فَأَصْبَحَتْ
تَقِيَاتٍ فِيهَا بِالشَّبَابِ وَبِالصَّبِي
وأنشد الأصمعي لصدقة بن تالف الغنوي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَحْنَنُ نَائِقَتِي
فَتَلِكْ بِلَادٌ حَبَبَ اللَّهِ أَهْلُهَا
بِلَادٌ بِهَا أَنْصَبَتْ رَا حِلَّةَ الصَّبِي
فَقَدْنَا بِهَا أَلَمَ الْمَكْدَرِ شُرْبَةً
وأنشد أبو عجم السوار بن الضرب

سَقَى اللَّهُ الْبَيَامَةَ مِنْ بِلَادٍ
وَجَوْ زَاهِرٍ لِلرَّيْحِ فِيهِ
بِهَاسَقَتِ الشَّبَابَ إِلَى مَشِيبٍ
وأنشد إبراهيم بن اسحق الموصلي

أَلَا يَا حَبْنَدًا جَنَاتُ سَلْمَى
خَلَّتْ بِهَا الْمَدَارُ وَلَتْ فِيهَا
أَسُومٌ يَبَا طَلِي طَلَبَاتٍ لَهْوَى
وَجَادَ رِيَاضُهَا جَوْنَ السَّحَابِ
مُنَايَ بِطَاعَةِ أَوْ بِاغْتِصَابِ
وَلَعْدُرُنِي بِهَا عَصْرُ الشَّبَابِ

فَكَلْ هَوْلَاءُ عَلَى مَا تَرَى قَدْ أَفْصَحُوا أَنَّ سَبَبَ حُزْنِهِمْ إِلَى الْأَوْطَانِ مَا لَبَسُوهُ فِيهَا مِنْ
ثِيَابِ الشَّبَابِ وَاسْتَظْلَمُوا مِنْ ظُلْمِهِ وَأَنْصَدُوا مِنْ رَوَاحِلِهِ وَأَنَّهُ كَانَ يَصْذَرُهُمْ وَيَحْسَنُ قُبَاظَهُمْ
فَعَلَى أَى شَيْءٍ يَغْلُو النَّاسُ فِي قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ

وَحَبَّبَ أَوْطَانُ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَا لِكَا
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عَهْدَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُوا لِذَلِكَ
ويزعمون أنه سبق إلى ما لم يسبق إليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله
وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدم ولا أبدع بدائع ولكن الجيد
إذا ورد بمن يهتدي منه الردي كثر استحسانه وزاد استطراده . ولقد أحسن البحري
في قوله في هذا المعنى

شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وَقُلُوبٍ
حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَقِيبٍ
وَرَقٌّ يُسَاقِطُهُ اهْتِزَازُ قَضِيبٍ
عَنْ هَجَرٍ غَابَتِ وَوَصَلِ مَشِيبٍ
فَسَقَى الْغُضِي وَالنَّازِلِيَهُ وَإِنْ هُمْ
وَقَصَارِ أَيَّامٍ بِوَسْرِ قَتْنَا
خُضِرُ تُسَاقِطُهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا
كَانَتْ فُتُونٌ بِطَالَةٍ فَتَقَطَّعَتْ

وأحسن في قوله

سَقَى اللَّهُ أَخْلَافًا مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً
لَيْالٍ سَرَفْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
سَقَيْنَا الْجَوَى إِذَا بَرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ
أَضَاءُ بَاصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرَقُ

(١) - الغضا شجر معروف واحد غضاة وأرض غضيانة كثيرة . وفي البيت استخدام
فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو الجرور في الساكنية المكان وهو
أرض لقي كلاب وواد نجد وبالأخر وهو المنسوب في شبهه النار أي أوقدوا في جوانحه
نار الغضا يعني نار الهوى التي تشبه نار الغضا وخص الغضا دون غيره لأن جرمه بعلو
الانطفاء وفي بعض الروايات وضلوعي بدل وقلوب وهي غلط

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلٍ لَيْلِي فَمَا اشْتَيْتُ بِمَاءِ الرَّبِّي مِنْ بَاتٍ بِالرَّبِّي يَشْرِقُ

ولأبي تمام في هذا المعنى مالا يقصر عن احسان وهو

سَلَامٌ تَرْجِفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ عَلَى الْحَسَنِ أَبْهَوَيْهِ وَالْمِرَاقِ

عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غَوْرَا وَنَجْدَا وَالْأَخِ الْمَذْبُوحِ الْمَذَائِ

لِيَا لِي نَحْنُ فِي وَسْطَاتِ عَيْشٍ كَأَنَّ الذَّمَّ عَنَّا فِي وَثَاقِ

وَأَيَّامٍ لَهُ وَلَنَا لَذَاتُ عَفِينَا مِنْ حَوَاشِيهِ الرِّقَاقِ^(١)

كَأَنَّ الْعَهْدَ عَنْ عَفْرِ لَدِينَا وَإِنْ كَانَ التَّلَاقُ عَنْ تَلَاقِ

محضر مجلس آخر ٦٣

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقلنا اعبثوا بعضهم البعض عدو) الآية ٠٠ فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وما الشأن وكيف نسب بينهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالد بن يذلان على الذرية ويتماق بهما ويقوى ذلك قوله تعالى حاكياً عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ٠٠ وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولا يلبس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابلس ذكر في قوله تعالى (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) لأنه وإن لم يخاطب بذلك فقد جري ذكره في قوله تعالى (فأولها الشيطان عنها فأخرجهم مما كانوا فيه) فجائز أن يعود

(١) وفي نسخة غفينا في حواشيها الرقاق وفي ديوانه عربنا من حواشيها الرقاق

الخطاب على الجميع ٠٠ وثالثها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام والحية التي كانت معهما على ما روى عن كثير من المفسرين في هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من أن يكون قبيحاً اللهم الا أن يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وإنما كفى تعالى عن إبطائه لهم بالقول كما يقول أحدنا قلت فلتقت الامير وقلت فضربت زهداً وإنما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملاً في هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو ان لم يتقدم لحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن إلا بحيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم الى تعلق الكناية بغير مكلف عنه حتى يكون ذكره كذلك ذكره في البيان عن المعنى لا قصود مثل قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) ٠٠ وكل من عليها فان) ومثل قول الشاعر

أَمَاوِيٌّ مَا يَفْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْقَتْلِ إِذَا حَشَرَ جَحْتٌ يَوْمًا وَصَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(١)

فاما بحيث لا يكون الحال على هذه الكناية عن غير مذكور فقيحة ٠٠ ورابعها أن يكون الخطاب بنص آدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك

(١) - قوله - اذا حشرت - الخ فاعل حشرت ضمير يعود على النفس ولم يتقدم ذكرها وذلك جائز لعدم المعنى من السياق ومثله قوله تعالى (كلا اذا بلغت التراقي) فان النفس لم يتقدم لها ذكر ولكن المعنى واضح ٠٠ والبيت من قصيدة طاهر العطار يخاطب إسماعيل ماوية ومطلعها

أَمَاوِيٌّ قَدْ طَالَ التَّعَجُّبُ وَالْهَجَرُ وَقَدْ غَسَرَتْ فِي طَلَابِكُمُ الْمَاجِرُ
أَمَاوِيٌّ ابْنُ الْمَسَالِ غَادٍ وَرَافِعُ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
وَمِنْهَا أَمَاوِيٌّ إِنْ يَصْبَحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ لَأَمَاءُ لَدِي وَلَا خَرُ
رُبِّي إِنْ مَا أَفْقَعْتُ لَمْ يَكْ ضَائِرِي وَإِنْ يَدِي عَمَّا بَخَلْتُ بِهِ صَفَرُ
أَمَاوِيٌّ إِنْ رُبُّ وَاحِدٌ أَمَّهُ أَخَذْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ
رَقْدَ عِلْمِ الْأَقْوَامِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَسَالِ كَانَ لَهُ وَفَرُ

لأن الثابتة أول الجمع قال الله تعالى (إذ نشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)
أراد تعالى وكنا لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى (فان كان له إخوة) على معنى فان كان له أخوان .. قال الراعي
أخيلد إن أباك ضاف وساده همان إنا جنبه ودخيلاً

أي داخلا في القلب

مَارَقًا قَتَلْتَ هَامِي أَمْرِيهَا قَلْصَاوَأَفِجْ كَالْقَصِي وَحَوْلَا

يعبر بالمهاجم وهي بمعنى الهجوم وهما اثنان .. فان قيل فامعنى المبطوط الذي أمر به .. قلنا
أكثر المفسرين على أن المبطوط هو النزول من السماء الى الأرض وليس في ظاهر
القرآن ما يوجب ذلك لأن المبطوط كما يكون النزول من علو الى سفلى فقد يراد به الحلول
في المكان والنزول به قال الله تعالى (اهبطوا مصر فان لكم مأسأتم) ويقول النائل
من العرب هبطنا لله كذا وكذا يريد حللنا .. قال زهير

مَارَلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرُّكَّابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ قَلْبًا

فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالمبطوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحمل
أيضاً أن يريد بالمبطوط غير معنى المسافة بله الاخطاط من منزلة الى دونها كما يقولون قد
هبط عن منزلة وزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها .. فان قيل فامعنى
قوله (بعضكم لبعض عدو) .. قلنا أما عداوة إبليس لأدم وذريته فعروفة مشهورة
وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لإبليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين
من معاداة الكفار أى المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقتة وعداوة وعداوة
الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها في الخطاب لبنى آدم معروفة ولذلك يحذرهم منها
ويحنبهم فاما على الوجه الذى يتضمن ان الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرها فيجب
أن يحمل قوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) على أن المراد به الذرية كأنه قال تعالى
اهبطوا وقد علمت من حال ذريتهم ان بعضكم يعادي بعضاً وعلق الخطاب بهما

الاختصاص بين الذرية وبين أصلها .. فان قيل أليس ظاهر القرآن اهبطوا يقتضي الأمر
بالمعاداة كما أنه أمر بالمبطوط وهذا يوجب أن يكون تعالى أمر بالتبقيح على وجه لأن
معاداة إبليس لأدم عليه السلام قبيحة ومعادات الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك
.. قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظنتموه وانما يقتضى أنه أمرهم بالمبطوط في حال عداوة بعضهم
بعضاً فالأمر مختص بالمبطوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام
العرب ويجري مجرى هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله (انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحياة الدنيا ويذهب أنفسهم وهو كافرون) وليس معنى ذلك أنه أراد كفرهم كما أراد
تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل أراد أن يذهب أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في
الأمر بالمبطوط وهذا بين .. [قال الشريف] المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن
تمدح السادات الكرام قول الشاعر

وَيْلٌ أَمْ قَوْمٌ غَدَوَا عَنْكُمْ لَطِيئِهِمْ لَا يَكْتَنُونَ غَدَاةَ الْعَلِّ وَالنَّهْلِ
صُدُّوا السَّرَائِلَ لَا تُوكِي مَقَانِيهِمْ عَجْرُ الْبُطُونِ وَلَا تُطَوِي عَلَى الْفُضْلِ

قوله - ويل أم قوم - من الزجر الحمود الذى لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا
ما أشجعهم وأبرحه ما أشجعهم .. وقد قيل في قول جميل

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُنْيَنَةً بِالْقَدَى وَفِي الْغَرِّ مِنْ أُنْيَابِهَا بِالْفَوَادِحِ (١)

(١) قوله - رمى الله في عيني بنيئة بالقدي - الخ .. قيل معناه سبحانه الله ما أحسن
عليها ومن ذلك قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعهم - وأنياب القوم - ساداتهم أي رمى الله
النساد والهلاك في سادات قومها لأنهم حالوا بينها وبين زيارتي واستحسن بعضهم أن يقال أراد
بالميتين رقيبها وبالقدي من أنيابها كرام ذويها وعشيرتها والمعنى أفناهم الله وأراهم المنكرات
فهو في الظاهر يشتد وفي النية يشتم من يتأذى به فيها ويقال هم أنياب الخلافة للمدافعين
عنها .. وقيل أراد بلفظها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملها وحواسها فالدماء على
هذا لها عليها .. وقوله - بالقدي - الباء زائدة والقدي كل ما وقع في العيتين من

انه أراد هذا المعنى بعينه وقيل انه دعا لها بالهرم وعلا السن لأن الكبير يكثر قنذي عيابه وتهم أسنانه .. وقيل انه أراد بسلها رقيدها وبقر أنيابها سادات قومها ووجوههم والاول أشبه بطريقة القوم وان كان القول غملاً للكل .. فاما قوله - لا يكتنون غداة العمل والهدم - فاراد أنهم ليسوا برعاة يسقون الابل بل لهم من يخدمهم ويكفهم ويرعي إبلهم وانما يكتنن ويرتجز على الدلو السقااة والرعاة وفيه وجه آخر قيل أنهم يسامحون شربهم ويوشرونه بالسق قبل أموالهم ولا يضمنون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف .. وقيل أيضاً بل عني أنهم أعزاء ذوو منعة اذا وردت إبلهم ماء أفرج الناس لها عنه لأنها قد عرفت فليس يحتاج أربابها الى الاكثناء والتعريف وقال قوم في قوله يكتنون انه أراد كنت يده تكن اذا خشيت من العمل فيقول ليسوا أهل مهنة فتكنن أيديهم فتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك .. وقوله - صدأ

شيء يؤذيها كالتراب والعود ونحوها .. وقوله - وفي الفم - الخ معطوف على قوله في عيني وهو جمع آخر وغراه أراد رعى الله في أنيابها الحسان النقية البياض القوادح فالباء زائدة أيضاً وأنياب جمع ناب وهي السن - والقوادح - جمع قاذح وهو السواد الذي يظهر في الاسنان فلاستان تتأكل منه .. ويدفع في صدر ما تقدم ماروى ان جيلا لقي بثينة بعد تهاجر بينهما طالت مدته فتعابها طويلا فقالت له ويحك يا جميل أنزعك نهياني وأنت الذي تقول رمى الله في عيني بثينة بالقنذي البيت فأطرق طويلا يبكي ثم قال

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخسني على كلامها

وروى أيضاً ان كثيراً قال وقتت على جماعة يفيضون في وفي جميل أينا أصدق عشقاً ولم يكونوا يعرفون فيفضلوا جيلا فقلت لهم ظاهراً كيف يكون جميل أصدق منه وحين أناء من بثينة ما يكره قال رمى الله في عيني بثينة بالقنذي البيت وكثير حين أناء من عزة ما يكره قال

هنيئاً مريئاً غير دام غماص لمزة من أعراضنا ما استعجلت

فما انصرفوا الا على تنضيل وهذا يدل على أن جيلا دعا عليها حقيقة اه

السر ايل - فاما أراد بهم طول حملهم للسلاج ولبسهم له - والمقالب - هي الأوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها وأطعموا أهل الرقعة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة - وعجز البطون - من صفات المنافب أراد انها لا توكل عجز البطون ولا تطوى على فضل الزاد .. ولبعض شعراء بني أسد وأحسن غاية الاحسان

رَأَتْ صُرْمَةً لِابْنِي عَبِيدٍ تَمَتَّتْ مِنْ الْحَقِّ لَمْ تُوزَلْ بِحَقِّ إِفْالِهَا
فَقَالَتْ أَلَا تَفْدُو فَصَالِكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبْتَ ضَيْفَانِهَا وَعِيَالِهَا
فَمَا حُبَلْتُ إِلَّا الثَّلَاثَةَ وَالثْنِي وَلَا قِيلْتُ إِلَّا قَرِيباً مَقَالِهَا
حَدَايِيرُ مِنْ كُلِّ الْعِيَالِ كَأَنَّهَا أَنَا ضِيٌّ شَقِيرٌ حُلٌّ عَنْهَا جَلَالِهَا

شكى هذا الشاعر من امرائه وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانها لم تعط في حالة ولم تعمر في حق ولم تحلب لضيف ولا جارف في سنان .. وقوله - لم توزل إفالها - فالإفال الصغار وتوزل من الازل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصالح هؤلاء سنان لم تلق بؤساً لأن ألبان أمهاتها موفورة عليهم .. وحكى عن امرائه أنها تقول أغذات فصالك هكدا فقال لها تأتي ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم أخبر أنه لم يأنف الى لومها وان الابل ما حلبت بعد ما تلبأ الا مرتين أو ثلاث ولا قيات من القائلة الا بقرب البيوت حتى نحرها ووهبها - والحداير - المهازيل وانما يعنى فصالحه وهزالها من أجل انها لا تسقى الالبان وتعمر أمهاتها - وأناضي - جمع نضو فشبه فصالحه من هزالها بانضاء خيل شقر .. وقوله - حدايير من كل العيال - فيه معنى حسن لأنه أراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تأكيد لأن سبب هزالها هو الايتار بألبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال ههنا هم الجيران والضيفان وانما جماعهم عيال لأن كرمه وجوده قد أنزله مودتهم فصاروا كأخص غياله .. ومثل ذلك قول الشاعر

تَمَيَّرُنِي الْحُطَّلَانُ أُمُّ حُلْمٍ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَقْذِيْنِي بِدَائِيَا

فَأَتَى رَأَيْتُ الصَّامِرِينَ مَتَاعَهُمْ يَذْمُ وَيَقْنَى فَأَرَضَنِي مِنْ وَعَائِيَا^(١)
فَلَمْ تَجِدْنِي فِي الْمَعِيشَةِ عَاجِزًا وَلَا حَصْرًا خَبَاشِدِيذًا وَكَأَيًّا

الخطلان المسكون البخلاء والخطل الامساك وأم محم - امرأته .. ومعنى قوله تعبرني الخطلان أي بالخطلان تقول مالك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم - والصامرون - أيضا البخلاء فقال لما رأيت البخلاء يضلون بما عندهم وهو يقني ويبقي الذم فأرضيتني من وعائى وهذا مثل أى أعطى الناس مما عندي وهو من قولك رضى له يقنى من عطيت .. والحصرم - المسك تقول العرب حصرم قوسك أى شدد وترها .. وقوله - فلم تجدني في المعيشة عاجزا - أى أنا صاحب غلات أفيد وأستفيد وأتلف وأخاف فلا تخافى الفقر .. وقال مسكين الدارمي

أَصْبَحْتُ عَادِلَتِي مُعْتَلَةً قَرِمًا أَمْ هِيَ وَحْمِي لِلصَّخَبِ
أَصْبَحْتُ تَقْلُ فِي شَحْمِ الذُّرَى وَتَنْظُرُ اللَّوْمَ ذُرًّا يَنْتَهَبِ
لَا تَلْمِهَا لِأَنِّهَا مِنْ نِسْوَةٍ مَلْحَمًا مَوْضُوعَةً فَوْقَ الرُّكْبِ

يقول أنها تكدر لومي وكأنها قرمة إلى ألوم كفرم الانسان الى اللطم وهي وحى نشتهي الصخب - والوحم - شدة شهوة الطعام عند الخلل - وشحم الذرى - الاستمة وأراد تنقل فيها أنها تعود ابل لتزنيها في عيني ولتعلم قدرها فلا أحب منها ولا أعجز ثم أخبر ان أصلها من الزنج - واللحم - الشحم وشحم الزنج^(٢) يكون على لورا كهم .. وأكفاهم وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد

(١) قوله - فاني رأيت الصامرين - الخ الصامرون الباخلون أراد الصامرين بمتاعهم .. وروي يموت بدل يذم أي يموتون وهذا من إعادة شير للفرد على الجمع .. وقال يعقوب الخطلان مثي المضبان
(٢) قوله - وشحم الزنج - الخ هذا تفسير الأسمى .. وقال أبو عمرو الشيباني

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ النَّهْدِ^(١)
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحَدِي
قَصِيًّا كَرِيمًا أَوْ قَرِيًّا قَانِيًّا أَخَافُ مَذْمَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٢)

ملحها موضوعة فوق الركب .. أي أنها بخيلة تضع ملحها فوق ركبها فهي تأمرني بذلك .. وقال غيرها من المعربين .. قوله ملحها موضوعة فوق الركب أي أنها سريعة الغضب يقال للغضب الملح فوق ركبته وكذا غضبه على طرف أنه

(١) - عني بذى البردين عامر بن أبيحيم بن بهدلة وإنما لقب ذا البردين لأن وقود العرب اجتمعت عند النضر بن ماء السماء فأخرج يردى محرق وقال ليقيم أعز العرب قبيلة فاليليس بما فقام عامر المدكور فأثر بأحدهما وتردى بالآخر فقال له النعمان أنت أعز العرب قبيلة قال العز والعدد في معدنهم في زارهم في مشرنهم في خندق ثم في نهم ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فن أنكر هذا في العرب فليثا فري فسكت الناس فقال النعمان هذه هتيرتك فكيف أنت كما زعم في نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وأنا أنا في نفسي فهذا شاهدني ثم وضع قدمه في الأرض وقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الابل .. وقوله - والفرس - النهدي وروي الورد والورد هو بين الكمين والاشقر .. والمراد ببيت عبد الله نخوة بنت زيد القوارس الضبي وكان قيس بن عامر المنقري رضى الله عنه تزوجها فأنت في الليلة الثانية من بقاء بها يطعم فقال أين أكيلي فلم تعلم ما يقول حتى قال الأبيات فارسات جارية لها تطلب له أكيل - الاكيل - المؤاكل كالنسيم المتادم والتسريب للشارب والجاليس الجاليس ولا يطلق الا على من تكرر منه ذلك لا من وقع ذلك منه مرة وإنما نكره ولم يقله أكيلي لأنه عرف بمؤاكلته عدة فأراد واحدا منهم قاله التبريزي والمرزوقي
(٢) قوله - قصيا كريما - الخ روي بدلها .. أخا طارقا أو جار بيت فاني .. الخ .. وقوله أخا بدل من أكيل - والمذمة - بالفتح الذم وروي بهد

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا فِي صِفَاتِي غَيْرُ هَاشِمٍ الْعَبْدِ
 قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ اسْتَنْقَى الْكُرْمَ مِنَ الْقَعِيِ الْبَعِيدِ وَلَمْ يَسْتَنْتِهِ مِنَ الْقَرِيبِ لِأَنَّ أَهْلَهُ جَمِيعًا
 عَنْده كَرَامٌ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ - عَبْدُ الضَّعِيفِ - أَنْ يَخْدُمَ الضَّعِيفُ هُوَ بِنَفْسِهِ لَا يَرْضَى لَهُ بِخْدَمَةِ
 عِبْدِهِ ٥٥ [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ قَوْلَ الْمُتَنَبِّئِ الْكِنْدِيِّ
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَالِي سِوَاهَا خَلَّةٌ تُشَبِّهُ الْعَبْدَا^(١)

هذا البيت بيتان وهما

وكيف يسبغ المرء زاداً وجاره خفيف المعابد الطماعة والجهد
 وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأكليل على عمد
 ٥٥ وقيل إن هذه الأبيات لحاتم الطائي والصحيح أنها لفيس بن عاصم كما تقدم
 [١] - أول القطعة التي منها هذا البيت .

يعاتبني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حدا
 ألم بر قومي كيف أوسر مرة وأعسر حتى تبلغ العسرة الجهدا
 فما زادني إلا سناء ورفعة وما زادني فضل الغنى منهم بعدا
 أسد به ما قد أخلوا وضيعوا تغور حقوق ما أطاقت لها سدا
 وفي جفنة ما يفاق الباب دونها مكدلة لحما مدققة ثردا
 وفي فرس نهيد عتيق جماته حبيباً لبيق ثم أخدمته عبدا
 وإن الذي يسى وبين بني أبي وبين بني عمي لختلف جددا
 أراهم إلى نصرى إملاء وإن هم دعوني إلى نصر أنيتهم شدا
 إذا أكلوا الحى وفرت لحومهم وإن بهمة وأعجدي بيت لهم جددا
 وإن ضيعوا غنبي حقت غيوبهم وإن هم هووا غنبي هويت لهم رشدا
 وإن زجروا طيراً بنحس تمرني زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
 ولا أحل الخلد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحل الخلددا
 لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لا أكفهم رشدا

وإنما اشترط في كونه عبداً للضعيف في البيت الأول والثاني ثوابه ونزوله مؤثراً له ليعلم
 أن الخدمة لم تكن لضعفة وصغر قدر بل إنما يوجب الكرم من حق الضعيف وأنه
 يخرج عن أن يكون خدوماً بخروجه من أن يكون ضعيفاً ولو قال وإنني لَعَبْدُ الضَّعِيفِ
 ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل

مجلس آخر ٦٤

[تأويل آية] ٥٥ [إن سأل سائل فقال بهم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم
 أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلق بقوله تعالى (أنظر كيف
 ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) وأن الظاهر من هذه الآية يوجب
 أنهم غير مستطيعين للأمر الذي هم غير فاعلين له وإن القدرة مع الفعل وإذا تعلق بقوله
 تعالى في قصة موسى عليه السلام (أنك إن تستطيع متى صبراً) وأنه في كونه قادراً على
 الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب أن القدرة مع الفعل وبقوله تعالى
 (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ٥٥ الجواب يقال له أول ما نقلوه أن
 المخالف لنا في هذا الباب في الاستطاعة لا يسمع له فيه التعلق بالسمع لأن مذهبه لا يسمع
 صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدله وإنما قلنا ذلك لأن من جوز
 تكليف الله تعالى الكافر الإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم نفي القبائح عن الله عز
 وجل وإذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز القبائح في أفعاله تعالى وأخباره
 ولا يأمن أن يرسل كذاباً وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع أن كان كلامه
 قدح في حجته تجويز الكذب عليه وإن كان كلام رسول الله عليه السلام قدح فيه ما يلزمه
 من تجويز تصديق الكذاب وإنما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه وليس لهم أن
 يقولوا إن أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتى الكافر
 وإنني لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وما شئمة لي غيرها تشبه العبد

فيه من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الإيمان وإنما كان يبطل تعلقتا بالسمع لو
أخفنا ذلك إليه لكان على وجه يقبح وذلك لأنما قالوه إذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه
تكليفاً للمالا يطاق لم يؤثر في أني ما ألزمناه عنهم ولأنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب
وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه وليس قولهم أنا لم
نعتنه إليه من وجه يقبح بشئ يعتمد بل يجري مجرى قول من يجوز عليه تعالى
الكذب ويكون الكذب منه تعالى حسناً ويدعى مع ذلك نعمة معرفة السمع بأن يقول
أتى لم أخف إليه تعالى قبيحاً فيلزم في إفساد طريقة السمع للمعا كان من ذكرناه لانه يدره
في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله .. ونعود إلى تأويل الآية
أما قوله تعالى (أنظر كيف ضربوا) الآية فليس فيه ذكر لشيء الذي لا يقدر الله عليه
وبيان له وإنما كان يصح ما قالوه لو بين تعالى أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معين فاما
إذا لم يكن ذلك كذلك فلا متعلق لهم .. فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم
فيجب أن يكون المراد بقوله (فلا يستطيعون سبيلاً) إلى مفارقة الضلال .. قلنا انه تعالى
كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب لئلا منهم فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلاً
إلى تحقيق ما يريونه من الأمثال إذ ذلك غير مقدور على الحقيقة ولا استطاع والظاهر أن
هذا الوجه أولى لأنه عز وجل حكى أنهم ضربوا له الأمثال وجعل ضلالهم وأنهم
لا يستطيعون السبيل متعلقاً بما تقدم ذكره وظاهر ذلك بوجوب رجوع المؤمنين جميعاً
إليه وأنهم ضلوا بضرب المثل وأنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما يريونه من المثل على
انه تعالى أخبرنا بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله تعالى
(فلا يستطيعون سبيلاً) يرجع إليه فيجب أن يدل على أنهم لا يقدررون على ترك
الماضي وهذا مما لا يخالف فيه وليس فيه مانأباه من أنهم لا يقدررون في المستقبل أوفى الحال
على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر تركه بعد مضيها فإذا لم يكن الآية ظاهراً فلم
صاروا بأن يجعلوا أنى الاستطاعة على أمر كلفوه بأولي منا إذا حاننا ذلك على أمر لم
يكلفوه أو على أنه أراد الاستقلال والخبر عن عظم المشقة عليهم ولو جرت عادة أهل
اللغة بأن يقولوا لمن يستعمل شيئاً أنه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يمكن منه ألا ترى

أنهم يقولون ان فلاناً لا يستطيع أن يكلم فلاناً ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنما غرضهم
الاستئصال وشدة الكلفة والمشقة .. فان قيل فإذا كان لا يظهر الآية يشهد بمذهب
الخالف فما المراد بها عندهم .. قلنا قد ذكر أبو علي أن المراد أنهم لا يستطيعون إلى بيان
تكذيبه سبيلاً لأنهم ضربوا الأمثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه فآخبر تعالى أن ذلك
غير مستطاع لأنه تكذيب صادق وإبطال حق مما لا يتعاقى به قدرة ولا يتناوله استطاعة
وقد ذكر أبو هانم أن المراد بالآية أنهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وكفرهم
لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب ..
وليس يمكن على هذا أن يقال كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم عندهم
قادرون على الإيمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لأن المراد أنهم مع الضلال
بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى خير وهدى وإنما يكون لهم سبيل إلى ذلك
بأن يفارقوا ما هم عليه .. وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدم ذكره من أن المراد
بنفي الاستطاعة عنهم أنهم مستقلون للإيمان وقد يجبر عن استئصال شيئاً بأنه لا يستطيعه
على ما تقدم ذكره .. فاما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع
بمي صبرا) فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على أنه غير
مستطيع للصبر في الحال وأن يفعله في الثاني وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن
يستطيع ما هو في الحال مستطيع له غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك لأنه قد صبر على
المسئلة أوقافاً ولم يصبر عنها في جميع الاحوال فلم يشف الاستطاعة للصبر عنه في جميع
الاوقات المستقبلية على أن المراد بذلك واضح وأنه خبر عن استئصال الصبر عن المسئلة
عملاً يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا يجد أحدهنا إذا وجد
بين يديه ما يكره ويستبعده تنازعه نفسه إلى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويتفكر
عليه الكف عن الفحص عن أمره فلما حدث من صاحب موسى عليه السلام ما استنكر
ظاهرة استئصال الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى (وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبراً) فيبين تعالى أن العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو
كان على ما ظنوه لوجب أن يقول وكيف تصبر وأنت غير مطبق للصبر .. فاما قوله

تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) فلا تعلق لهم بظاهره لأن السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت أنه معنى على ما يقوله أبو علي لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختص تعالى بالقدرة عليه هذا أن أريد بالسمع الإدراك وإن أريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأن الجواهر وما تختص به الحواس من البلية والمعاني لا يصح بها الإدراك فانه ما يتفرد به القديم تعالى في القدرة عليه فالظاهر لاحجة لهم فيه .. فان قالوا فلهذا المراد بالسمع كونهم سامعين كأنه تعالى نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا .. قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت أن المراد ذلك لحلنا نفى الاستطاعة على ما تقدم ذكره من الاستحقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع أن يراني ولا يقدر على أن يكلمني وما أشبه ذلك وهذا بين لمن تأمله [تأويله خبر] .. أن سأل سائلاً فقال ما تأويل ما رواه بشار عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية ترعي غنماً لي قبل أحد فذهب الذئب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما بأسفون لكنني غضبت ففصكتها صكة قال فعضم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله أفلا أعقبتها قال إئتني بها فأنتبه بها فقال عليه الصلاة والسلام أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعقبتها فأتيت مؤمنة .. الجواب أما قوله أنا رجل من بني آدم آسف كما بأسفون ففضاه أغضب كما يفضبون .. قال محمد بن الحبيب وأشد للراعي فما لحقتني العيس حتى وجدتني أسيفاً على حاديهم المتجرد والاسف أيضاً الحزن .. قال ابن الأعرابي الاسف الحزن والغضب قال كعب في كل يوم أرى فيه ميتة يكاد يسقط مني منه أسفاً وقوله ولكنني غضبت ففصكتها أراد لطمها يقال صكت وجهه إذا لطمته بيده قال الله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها) .. وقال بشر بن أبي خازم يصف حمار وحشاً وأنا

فِيصُكُ مَحْجَرُهُ إِذَا مَا سَافَهَا وَجَبِينَهُ يَمْوَا فِرْلَمْ تُشْكَبْ

— سافها — إذا شها .. وقولها — في السماء — فالسما هي الارتفاع والعلو فمضى ذلك أنه تعالى عال في قدرته وعزیز في سلطانه لا يبالغ ولا يدرك ويقال سما فلان ينسمو سموا إذا ارتفع شأنه وعلا أمره وقال تعالى (أؤمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الآية فأخبر تعالى بقدرته وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ أمره .. وقد قيل في قوله تعالى (أؤمنتم من في السماء) غير هذا وإن المراد أؤمنتم من في السماء أي أمره وآياته وقدرته ورزقه وما جرى مجرى ذلك .. وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم وأشهد أن الله لا شيء فوقه عالياً وأمسى ذكره متعالياً

وقال سليمان بن يزيد العدي

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الطُّولِ وَالْمَالِكِ وَالْعَنِيِّ تَسَالَيْتُ مَحْمُوداً كَرِيماً وَجَازِيَا

عَلَوْتَ عَلَى قُرْبٍ بَعِزٍّ وَقُدْرَةٍ وَكُنْتَ قَرِيباً فِي دُؤُوكَ عَالِيَا

والسما أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى (من كان يظن أن أن ينصره الله) الآية وقال ابن الأعرابي يقال لأعلى البيت سما البيت وسماواته وسرانه وصومته والسما أيضاً للطر قال الله تعالى (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) ومنه الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل عليه الصلاة والسلام يده فيها فالت أصابعه بللاً فقال ما هذا يا صاحب البر قال أصابت السماء يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أولاجمته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا .. وقال منقب العدي فَلَمَّا أَتَانِي وَالسَّمَاءُ تَبَاهُ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

ويقال أيضاً لظهر الفرس سما كما يقال لحوافره أرض .. ولبعضهم في فرس

وَأَحْمَرُ كَالدِّينَارِ أَمَا سَمَاؤُهُ فَخِصْبٌ وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمَحْوُولٌ^(١)

وإنما أراد أنه سمين الأعلى عريان القوائم مشوقها وكل معاني السماء التي تتصرف وتتحرك

(١) — البيت لطيف القنوي .. وقال الراغب كل سما بالاضافة الى مادونها فسما

وبالاضافة الى ما فوقها فارض الا السماء الدنيا فانها سما بلا أرض

ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسوواء وان اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأولى المعاني بالخبر الذي سئلنا عنه ما تقدم من معنى العزة وعلو الشأن والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به تعالى وان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجسم ولا جوهر ولا حال فيها ولأن الخبر والآية التي تضمنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المدح والامدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو في الشأن والسلطان وقفاً الامر ولهذا لا يجيد أحداً من العرب مدح غيره في شعر أو نثر بمثل هذه اللفظة وأراد بها علو المسافة بل لا يزيد الا ما ذكرناه من معنى العلو في الشأن وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لافطنة عنده ولا بصيرة له

جلس آخر ٦٥

[تأويل آية] ٥٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (حق إذا جاء أمرنا وفار التنور) الآية ٥٠ الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه ٥٠ أولها أنه تعالى أراد بالتنور وجه الأرض وان الماء نبع وظهر على وجه الأرض وفار هذا قول عكرمة وقال بن عباس رضي الله عنهما مثله والعرب تسمى وجه الأرض تنوراً ٥٠ وثانيها أن يكون المراد ان الماء نبع من أعلى الأرض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله تعالى (وفار التنور) قال ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها ٥٠ وثالثها أن يكون المراد بفار التنور أي برز التنور وظهر الضوء وتكاثف حرارة دخول النهار وتقضى الليل وهذا القول يروي عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه ٥٠ ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذي يخبز فيه على الحقيقة وأنه تنور كان لآدم عليه السلام أبي البشر وقال قوم ان التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام ٥٠ وقال آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذي روي عنه ان التنور هو تنور الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم ٥٠ وخامسها أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع عقبتهم وذكّر تعالى التنور مثلاً لحضور

العذاب كما تقول العرب قد فارت قدر القوم اذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضاً قد حي الوطيس اذا اشتد بالقوم حربهم ٥٠ قال الشاعر

تَقُورُ عَلَيْنَا قَدْرُهُمْ فَتَدِيهِيَا وَتَقْشُوها عَنَّا إِذَا حَمِيَهَا غَلَاً^(١)

أراد بقدرهم - حربهم ومعنى - تديةها - نسكنها ومن ذلك الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال قد دوى الطائر في الطوى اذا بسط جناحيه وسكنها ولم يخفق بهما - وتقشوها - معناه نسكنها يقال ثأت غضبه عنى وقتأت الحار بالبارد اذا كسرت به ٥٠ وسادسها أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الأرض علماً على ما أئذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروي عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر قول من حل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلاً وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية وأي المعاني أريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء علماً لنبيه عليه السلام وأنه يدل على نزول العذاب بقومه لينجوه بنفسه وبالمؤمنين ٥٠ فاما قوله تعالى (من كل زوجين اثنين) فقد قيل ان المراد به إحمل من كل ذكر وأنثى اثنين وأنه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج ٥٠ وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجاً واستشهدوا ببيت الاعشى

فِي كُلِّ زَوْجٍ مِنَ الدَّيْبِاجِ يَلْتَسِيهِ أَبُو قُدَامَةَ مَجْبُوراً بِذَلِكَ مَعَا

ومعنى (من سبق عليه القول) أي من أخبر الله تعالى بعنايته وحلول الهلاك به والله أعلم بمراده [تأويل خبر] ٥٠ إن سأل سائل عن الخبر الذي يروي عن شريك عن عمار النهدي عن أبي صالح الخنفي عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) البيت للناطقة الجعدي أبي لبلى رضي الله عنه بهده

بطعن كنهشاق الجعاشي شريكه وضرب له ما كان من ساعد خلا

في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الأود والدد . . . الجواب يقال له أما - الأود - فهو
 الميل تقول العرب لأقمن ميلك وحفلك وأودك وذراك وضلكت وصرك وسدكت
 وظلمك بالظاء وصعوك وسدعت كل هذا المعنى واحد . . . وقال ثعلب الأود إذا كان من
 الإنسان في كلامه ورأيه فهو عوج وإذا كان في الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو
 عوج وهذا قول الناس كلامهم إلا أبو عمرو والشيباني فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج
 بالفتح المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجاً ويقال عصاً معوجة وعود
 معوج وليس في كلامهم معوج . . . وأما - الدد - فثعلب هو الخصومة وقال ثعلب يقال
 رجله أدّ وقوم أدّ إذا كانوا شديد الخصومة ومنه قول الله تعالى (وهو الله
 الخصام) . . . وقال الأمازيغ الدد الأعوجاج والأد في الخصومة الذي ليس بمستقيم
 أي هو أعوج الخصومة يبلد فلا يقوي عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لد المني
 وأما بلد في شق فيه وليس بلد مستقيماً فهو يرجع إلى معنى الميل والأعوجاج وقال فسر
 لنا الحكم بن ظهير فقال أدّ الخصام أي أعوج الخصام . . . وأشد أبو السمع لابن مقبل
 لقد طال عن دهاء لدي وعذرتي وَكتمانها أكني بأمر فلان
 جعلت لجهال الرجال مخاضة ولو شئت لقد بينتها بلساني
 - الدد - الجدال والخصومة . . . وقال أبو عمرو الأد الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم
 وقوله - غاضة - يقول أنهم يخوضون في شعري ويطلبون معاليه ولا يقنون عليها
 . . . وأشد أبو السمع

لَا تَقَرَّ الكَذِبَ القَبِيحَ فَإِنَّهُ
 وَاصِدْقٌ يَقُولُكَ حِينَ تَنْطَلِقُ إِنَّهُ
 وَإِذَا صَدَقْتَ عَلَى الرِّجَالِ خَصَمْتَهُمْ
 وَإِذَا رَمَاكَ غَشُومٌ قَوْمٌ فَارْمِهِ
 لِلدَّاءِ مَعْتَبَةٌ وَبَابٌ مَلَامٌ
 لِلصِّدْقِ فَضْلٌ فَوْقَ كُلِّ كَلَامٍ
 وَالصِّدْقُ مَقْطَعَةٌ عَلَى الظُّلَامِ
 بِاللَّدِّ مُشْتَقِرٌ الْمَدَى غَشَامٌ

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الْعَدُوِّ وَسِيلَةً
 وَأَعْلَمْ بِأَنْ لَدَّ لَيْسَ يَوْمًا نَافِعًا
 مَا لَمْ يَخْفَكَ وَيَلْقَ عِنْدَكَ جَانِبًا
 وَإِذَا حَلَلْتَ بِمَا زَقِيَ فَارْكَمِ بِهِ
 فَاصْبِرْ عَلَى كَرَبِ الْبَلَاءِ فَإِنَّهُ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَتُحَدِّثُ
 وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ عِنْدَ كُلِّ مَقَامٍ
 مِنْدَ اللَّيْلِ وَسَائِلُ الْأَرْحَامِ
 خَشِنًا وَتَصْبِحُهُ بِكَأْسِ سَمٍ
 حَتَّى تُفَرِّجَ حَلْبَةَ الظُّلَامِ
 لَيْسَ الْبَلَاءُ عَلَى الْفَتَى بِلَزَامٍ
 عَمَّا فَعَلْتَ مَعَاشِرُ الْأَقْوَامِ

معنى قوله - مشتقر المدى - أي بعيد المدى . . . ومعنى قوله - لا تعرض على العدو
 وسيلة - أي لا تقاربه ولا تصانعه ولا يكن بينك وبينه إلا صدق العداوة . . . وأشد أيضاً
 شاعداً لما تقدم

يَا وَهْبُ أَشْبِهْ بِأَبِي وَجَدِي
 وَجَدَ لِي عِنْدَ الْخُصُومِ اللَّدَّ
 أَشْبَهْتَ أَخْلَاقِي فَأَشْبِهْ تَجْدِي

. . . [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ومن أحسن ما وصف به الثغر قول فضالة
 ابن وكيع البكري

تَبَسُّمٌ عَنْ حُمْمِ اللَّائِيَاتِ كَأَنَّهَا
 إِذَا رَتَقَتْ عَنْ مَرْقَدٍ عَلِمَتْ بِهِ
 قَضِيبُ نَجَاهُ الرَّكْبِ أَيَّامَ عَرَفُوا
 حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْحَوَانُ كَذِيبٍ
 مِنَ الْيَانِعِ الْقَوْرِيِّ فَرَعُ قَضِيبٍ
 لَهَا مِنْ دُرَى مَا لِلنَّبَاتِ خَضِيبٍ

يعنى من يانع الراك . . . ومعنى - نجاه أي قطعه وثله استجاء أيضاً وما للنبات -
 أي ناعم وحسنه يقال عشب مال وماذ سواء أي مباد ناعم . . . ومعنى - أيام عرفوا -
 أي اجتتوه من عرفات وذكر أنه خضيب بالعيب الذي يبيها لادمانها لاستعماله . . . وقال
 الاخطأ بصف ثغراً

شَتِيَّتَا يَرْتَوِي الظَّهْنُ مِنْهُ إِذَا الْجَوَزَاءُ احْجَبَتِ الضَّبَابَ^(١)

- الشَّيْت - هو المنفرق المفاج الذي ليس بمترابك .. ومعنى قوله - إذا الجوزاء أحجبت الضباب - فيه وجهان .. أحدهما أنه أراد سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد وطول الليل إذا انجهرت الضباب من البرد وتغيرت الأفواه لطول ليل الشتاء يقول فتفرها حينئذ عذب غير متغير .. والوجه الثاني أنه أراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر إذا انجهرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالظَّهْنُ حينئذ أشد عطشاً وأحر غلة فربما يرويه ويرد غلته .. وقال آخر

قَوْلٌ بِهَا لِمَنْ تَكُونُ ضَمِيمَةً إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ ذَبَّتْ كُلَّ كَوْكَبٍ

قوله - فويل بها - من الزجر الحمود مثل قولهم ويل أمه ما أشجعهم فكأنه يقول نعم الضميمة هي عند السحر إذا تحدت النجوم للمقرب كما قال ذو الرمة

(١) - وفي رواية شلياً بدل شلياً والروايتان متقاربتان المعنى فإن الشليب كثير الشلب وهو ماء ورقه وبرد وعذوبة في الأسنان وقبل حد فيها أو هو قط بيض فيها أو وحدة الأناب كالترب تراها كالنشار .. والشيت المفاج والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن سعيد بن العاص ومطاعها

ألم تعرض فتسأل آل هو وأروى والمدة والرباب

بأيام غزوال ساحات ولذات تذكر في الشباب

نزلت بين فاستدكيت ناراً قليلاً ثم أسرعن الذهابا

وكن إذا بدون قبل صيف ضربن بجانب الجفس القباب

نواع لم يقطن بجهد مقل ولم يقذفن عن حفص غرابا

- الجد - البئر - ومقل - أرض - والحفص - البعير يحمل متاع القوم إذا انتقلوا .. وقوله لم يقذفن عن حفص غراباً أي لم يبالغن أنفسهن وكأنه وصفهن بالخفر والستر ومنها

ونفس المرء ترصدها المتايا وتحذر صولة حتى يصابا

إذا مرت به ألق عليه أحده سلاحها ظفراً ونابا

وَأَيْدِي الثَّرِيَاءِ جَنَحٌ فِي الْمَغَارِبِ

وقال الآخر

نَعَمْ شِعَارُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ اللَّيْلُ - لُ سَحِيرًا وَقَفَقَفَ الصَّرْدُ^(١)

وأما يعني أنها في ذلك الوقت الذي تنغير فيه الأفواه طيبة الريق عذبة .. وأنشد أبو العباس نعلب لأم المهيم

وَعَارِضٍ كَجَانِبِ الْعِرَاقِ أَتَيْتَ بَرَّاقًا مِنَ الْبَرَّاقِ

يَذَاقُ مِثْلَ الْمَسَلِ الْمَذَاقِ

قال أبو العباس في هذا قولان .. أحدهما أنها وصفت نعرأ - وعارضاه - جانباه - والعراق - ما ينشئ ثم يخرز كعراق القرية فاخبرت أنه ليس فيه أعوجاج ولا تراكب ولا نقص .. وقولها - أتيت برقا من البراق - أي ما تبته الأرض إذا مطرت من النور .. قال المبرد والقول الأول عندنا أصح لذكرها الصل .. وأنشد أحمد بن يحيى لتأبط شراً وشعب كشك الثوب شكس طريقته تجامع ضوحيه لطاف مخاصر تمسفته بالليل لم يهديني له دليل ولم يحسن له النعت خا بر^(١)

قال يعني - بالشعب - في جارية - كشك الثوب - يعني كف الثوب إذا خاطه الخياط - والشكس - الضيق يصفها بصفر الفم وحسنه ورقة الشفتين - وضوحيه - جانباه وضوح الوادي جانبه - والمخاصر - الباردة من الحصر ويعني - بالتطاف - الريق .. وقوله - لم يهديني له دليل - أي لم يصله إليه غيري كما قال جرير

أَلَا رَبُّ يَوْمَ قَدْ شَرِبْتُ بِشَرِبِ شَفَا الْعَيْمِ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلِي

(١) - وبعمه .. زينها الله في الفؤاد كما زين في عين والد الولد

(٢) - وفر ابن سيدة هذين البيتين بما لصه .. قال فانه غنى بالشعب ههنا الفم وجعله كشك الثوب لاصطفاف نبتة وتناقص بعضه في أثر بعض كالخياطة في الثوب وجعل جانبي الفم ضوحيين

العقب - والعين المعاش وانما يعنى ريق جارية * قال أبو العباس وقال آخرون بل يعنى شعراً من الشعاب مخنوقاً ضيقاً سلكه وحده قال أبو العباس انما كنى بالشعب عن فم جارية ثم أخذ في وصف الشعب ليكون الامر أشد التباساً * [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والاشبه أراد أن يكون شعراً حقيقياً لأن تأبط شراً لصاً وصافاً للاحوال التي يعنى بها ويعاينها في تلصصه وكان كثيراً ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضائق وقطعه المفاوز وأشبه ذلك والقطعة التي فيها اليتان كأنها تشهد بأن الوصف لشعب لانهم جارية لأنه يقول بعد قوله كشك الثوب

لَدُنْ مَطْلَعِ الشَّعْرِ قَلِيلٌ أُنَيْسُهُ كَأَنَّ الطُّخَا فِي جَانِبَيْهِ مَعَاجِرُ
بِهِ مِنْ نَجَاءِ الدَّلْوِ بَيْضٌ أَقْرَاهَا خَبَارُ لُصْمِ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَارُ
وَقَرَزَنٌ حَتَّى كُنَّ لِلْمَاءِ مُتَنَهًى وَغَادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيمَا يُفَادِرُ
بِهِ لُطْفٌ زُرْقٌ قَلِيلٌ تُرَابُهَا جَلَاءُ الْمَاءِ عَنْ أَزْجَائِهَا فَوْحَارُ

* وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على الفم تأول بعيد

وقد أحسن كثير في قوله يصف نقرأ

وَيَوْمَ الْخَيْلِ تَدَسَّرَتْ وَكُنْتُ رِدَاءَ الْعَصَبِ عَنْ رَتْلِ بُرَادٍ
وَعَنْ نَجْلَاءِ تَدَمَّعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ
وَعَنْ مُتَكَوِّسٍ فِي الْعَقَصِ جَثْلٍ أَمِثُ الثَّبَتِ ذِي عُذْرِ جِعَادٍ^(١)

(١) - العصب - ضرب من البرود الخفيفة - والرتل - بالفتح حسن التشديد مستو الثبات وقيل مفلج وربما قالوا رجل رتل الاسنان مثل ثعب اذا كان مفلجها - وبراد - كفراب بارد * وقوله - عن متكوس - المتكوس هنا شعر رأسها أى كثيف مأخوذ من تكوس الثبت وهو التناقل وسقوط بعضه على بعض - وجثل - كثير ملتف أيضاً * والبيت من

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وَعَلَى الْعَيْسِ خُرْدٌ يَتَسَمَّسُنْ عَنِ الْأَشْبِ الشَّيْتِ الْبُرَادِ

قصيدة مشهورة له يتنزل بها في غاضرة جارية أم البتین بنت عبد العزيز بن مروان ثم رثي فيها صاحبه خندق الاسدي وخندق هذا هو الذي أدخل كثيراً في مذهب الخشبية وأول القصيدة

شعراً أظعان غاضرة الفوادي بغير مثنية غرضاً فؤادي
أغاضر لو شهدت غداة بتم حنو الموضعات على وسادي
أويت لعلق لم تشكبه نوافذه تلذع بالزناد *
ويوم الخيل * * الايات الثلاثة

وغاضرة الغداة وان نأثنا وأصبح دونها قطر البلاد
أحب طلعت وبنات نفسي اليها لو بلان بها صوادي
ومن دون الذي أملت وداً ولو طلبتها خرط القتاد
وقال الناصحون تحمل منها ببذل قبل شيمتها الجاد
وقد وعدتك لو أقبلت وداً فالحج بك التمدل في تعادي
فأسررت الندامة يوم نادي برد جمال غاضرة المنادي
تمادي البعد دونهم فامست دموع العين لح بها القادي
لقد منع الرقاد بيت ليلى تجاليفي الموم عن الوساد
عدائي أن أزورك غير بفض مقامك أبين مصفحة شداد
واي قائل ان لم أزره سقت ديم السواري والفوادي
حمل أخى بنى أسد قنونا فسا والى الى برك الضاد
مقيم بالمجازة من قنونا وأهلك بالاجير والتماد
فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت بطرق أو يفادي
وكل ذخيرة لا بد يوماً ولو بقيت نصير الى فساد
فلو فوكت من حدث المنايا وقينك بالطريف وبالتلاد

كَانَ شَوْكَ السَّيَالِ حُسْنًا فَاضْحَى دُونَهُ لِلْفَرَاقِ شَوْكَ الْقِتَادِ^(١)

وقال البحتري

(١) - البينان من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ومطلعها

سعدت غربة النوى بسعاد فهي طوع الاتهام والانجساد

* فارقتنا فلمدمع أنوا مسوار على الحدود غوادي

كل يوم يستغن دمعاً طريفاً يمتري مزنه بشوق تلاد

واقع بالحدود والحر منه واقع بالقلوب والاكباد

وعلى العيس البيتين * وحنة أبيات تقدمت ثم قال

يا أبا عبد الله أوردت زنداً في يدي كان دأب الامداد

أنت جيت الظلام عن سنن الآمال أذ ضل كل هاد وحادي

فكان للفقر فيها مقبم وكان السارى عليهن غادي

وشباب الآمال أفتح في الطرف وفي القلب من ضياء البلاد

بعد ما أصلت الوشاة سيوطاً قطعت في وهي غير حداد

من أحاديث حين دوخها بالسرائي كانت ضعيفة الاستاد

فدنى عنك زخرف القول سمع لم يكن فرصة لضير السداد

ضرب الحلم والوقار عليه دون عور الكلام بالاسداد

وحوان أبت عليها المصالي ان تسمى عطية الاحقاد

ولعمري ان لو أصغت لأقدمت بحنفي صينية الحساد *

حمل العبء كاهل لك أمسى غطوب الزمان بالمرصاد

عائق معشوق من الهون الا من مقاساة مفرم أو نجساد

للعدالات والحنائل فيه كالمحوب الموارد الاسداد

ملكيتك الاحساب أي حياة وحيا أزمة وحية وادي *

لو تراخت يدك عنها فوفاً أكلها الايام أكل الجراد

وَأَرْتَنَا خَدّاً يَرَّاحُ لَهُ الْوَرْدُ دُوَيْشْتُهُ جَنَى التَّفَاحِ

وَشَتِيّاً يَفْضُ مِنْ لَوْلَا النِّظْمِ وَيَزْدِي عَلَى شَتِيتِ الْأَفَاحِ

فَأَصْأَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بِوِكَادَتْ تُضِيهِ لِلْمَصْبَاحِ^(١)

أنت ناضلت دونها يعطاي طائدات على العفافة بوادي

* فاذا هلمل النوال أتنا ذات نيرين مطبقات الادي

كل شيء غث اذا عاد والمعروف غث ما كان غير معاد

كادت المكرمات تنهد لولا انها أيدت بحبي إباد *

عندهم فرجة اللهب وتصدق ظنون الرواد والوراد

باحاطي الجدود لابل بوشك الجد لابل بسودد الاجداد

وكان الاعناق يوم الوغى أو لي ياسيا فهم من الاغداد

فاذا ضلت السيوف غداة الرو ع كانت هواديا للهوادي

قد يشتم غرس المودة والشحناء في قلب كل قار وبادي

أبفضوا عزكم وودوا نذاكم فقراكم من بغضة وودادي

لاعدمتم غريب مجد ربقتهم في عراه نوافر الاضداد

(١) والابيات من قصيدة يقولها في أبي مسلم البصري ومطلعها

حين ما يقول فيك اللاحي بعد اطفاء غلق والتياحي

كنت أشكوشكوى للمصرخ فالآن ألقى النوي بدمع صراح

هل الى ذي نجيب من سبيل أم على ذي صباية من جراح

لسقى جانب المناظر فالقصر هزيم المجاهيل الدجاج

حين جاءت فوت الرياح فقلنا أي شمس نجح في فوت الرياح

هزمتنا شرخ الشباب فجات فوق خصر كثير جول الوشاح

وأرتنا خدّاً يراح له الورد دويشتمه جنى التفاح *

وشتياً يفض من لؤلؤ النظم ويزدي على شتيت الافاحي

وقال أيضاً

سَفَرْتُ كَمَا سَفَرَ الرَّيِّحُ الطَّلُقُ عَنْ
وَبَسَمَتْ عَنْ أَوَّلُوهُ فِي رَصْفِهِ
وَزِدْ بِرُقْرُقَةِ الضُّحَى مَصْتُولِ
بَرْدٌ يَرُدُّ حُسَّاشَةَ الْقَبُولِ
وقد جمع كلا وصف به الثغر في قوله
كأنما تبسم عن أولو

منضد أو برد أو أقالح

فاضات تحت الدجاجة للشر
وأشارت إلى الفناء بالحيا
فطربنا لمن قبله الثاني
قد نذر الجفون من عدم الا
يا أبا مسلم تلقت إلى الشر
مستطيراً يقوم في جانب الليل على عرشه مقام الصباح
ومنيفاً يريك منبجاً نصاً
ورياً بين العبيد فالتصبر فاعلى سمان فالسترار
مرصات قد أرحق الشوق اليهن أيما ابراح
فاذا شئت فارفع العيس تحت بحر الوجيف تحت القداح
لتعين السحاب ثم على إسقامه أرض قرب الفرات براح
لأنتم السقيا بساحة قوم
ولمري أن دعيتك لاجو
خاق كالفهام ليس له بر
ارثيا لطلابين ويد
أي جديك لم يفت وهو ثان
وكلا جانبك سبط الخوافي
شرف بين مسلم مسلم الجو

مجلس آخر ٦٦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله) الى آخر الآية .. فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه جعل
الكافر كافراً لأنه أخبر بأنه جعله منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنزير
وليس يجعله كافراً إلا بأن يخلق كفره .. الجواب يقال له قبل أن يتكلم في تأويل الآية
بما تحتمله من المعاني كيف يجوز أن يخبرنا تعالى بأنه يجعلهم كفاراً وخالق كفرهم والكلام
مخرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الأزرار عليهم وأي مدخل
لكونه خالقاً لكفرهم في باب ذمهم وأي نسبة بينه وبينهم وبين ذلك بل لاشي أبغ في
عذرهم وبرائتهم من أن يكون خالقاً لآذهم من أجله وهذا يقتضي أن يكون الكلام
متناقضاً مستحيل المعنى ونحن لعلنا إذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتهمينه بمثل هذا
الضرب من الكلام إنما يقول ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالذم والالوم من فعل
كذا وضع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الأحوال والأفعال قبائحها ولا يجوز
أن يدخل في جعلها مالبس بقبائح ولا ما هو من فعل الذم أو من جهة حق يقول في
جمله ذلك ومن شاغل بالنعنة الفلانية التي أسلمها إليه وحمله عليها وإن عقلاً يقبل هذه
الشبهة لعقل ضعيف سخي .. فان قيل أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعله منهم القردة
والخنزير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم ويجعلهم عابدين للطاغوت وإن
كان من فعله .. قلنا إنما جعلهم قردة وخنزير عقوبة لهم على أفعالهم وباستحقاقهم فخري
ذلك مجري أفعالهم كما ذمهم بأن لهمم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى
بأفعالهم وعبادتهم للطاغوت فإن كان هو خالقها فلا وجه لذمهم بها لأن ذلك مما لا يستحقونه
بقول مقدم كاللعن والمسخ .. ثم نعود الى تأويل الآية فنقول لأظاهر للآية يقتضي
ما ظنوه وأكثر ما تضمنته الأخبار بأنه جعل وخالق من يعبد الطاغوت كما جعله منهم
القردة والخنزير ولا شبهة في أنه تعالى هو خالق الكافر وأنه لا خالق له سواء غير أن
ذلك لا يوجب أنه خلق كفره وجعله كافراً وليس لهم أن يقولوا كما استنفيد من قوله

تعالى جعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابداً للطاغوت وذلك انما استفدنا ما ذكرناه من الأول لأن الدليل قد دل على أن ما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً لا يكون الا من فعله تعالى وليس ما به يكون الكافر كافراً مقصوراً على فعله تعالى بل قد دل الدليل على أنه يتعالى عن فعله ذلك وخلقنا فافترق الامهان .. وفي الآية وجه آخر وهو أن لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفاً على القردة والخنازير بل معطوفاً على من لعنه الله ومن غضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفنا على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلاً على اسم فالاولى عطفه على ما تقدم من الافعال .. وقال قوم يجوز أن يعطف عبد الطاغوت على الهاء والميم في منهم فكانه تعالى جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في الكلام قال الشاعر

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاهُ (١)

أراد ومن يمدحه وينصره .. فان قيل ليهوا هذا التأويل مانع في قراءة من قرأ بالفتح أين أنهم عن قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم العين والتشديد (١) قوله .. فن يهجو رسول الله منكم الخ قيل ان فيه ثلاثة عشر مرفوعات .. فيها قوله فن يهجو فيها ثلاث مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن .. ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه والمعنى ومن يمدحه فيكون هنا على حسب المثال الاول ثلاث مرفوعات أيضاً .. ومنها المرفوعات في قوله وينصره أحدها الفعل المضارع والثاني الضمير المستكن فيه ومنها المرفوعات الاربعة في قوله سواء اثنان من حيث انه في مقام الخبرين للمبتدأين واثنان آخران من حيث ان في كل واحد ضميراً راجعاً الى المبتدأ والباقي المبتدأ المحذوف المعطوف على قوله من في الاول في قوله فن يهجو أي ومن يمدحه ومن ينصره

ومن قرأ وعبد الطاغوت .. قلنا المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الاحزمة فانه قرأ عبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراءت شاذة غير مأخوذة بها .. قال أبو اسحاق الزجاج في كتابه في معاني القرآن عبد الطاغوت لسق على من لعنه الله قال وقد قرئت عبد الطاغوت والذي اختاره وعبد الطاغوت .. وروى عن ابن مسعود رحمه الله وعبدوا الطاغوت فهذا بقوي وعبد الطاغوت قال ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم الباء وخض الطاغوت فانه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين أحدها ان عبد على وزن فعل وليس هذا من أمثلة الجمع لأنهم فسروه بخدم الطاغوت والثاني أن يكون محذوفاً على وجعل منهم عبد الطاغوت سم خرج الى من قرأ عبد وجهاً فقال ان الاسم بني على فعل كما يقال رجل حنري أي مبالغ في الحذر فتأويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان وهذا كلام الزجاج .. وقال أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجاً لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع ألا ترى انه ليس في أبنية الجمع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى ان في الاسماء المرفدة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكذلك قوله وعبد الطاغوت جاء على فعل فان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقط ونرس فهذا كله تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لأن عبد في الأصل سنة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعملهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة ألا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملتا استعمال الاسماء حتى كسر أهل النحو عندهم من التكسير في قولهم في ابارق وأباطح فلم يزل عنه حكم الصفة بذلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم صرف أحر ولم يجعلوا ذلك كافكلاً وأبدع فكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرج له ذلك عن أن يكون صفة واذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يتمتع أن يبقى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحزمة فاذا حجت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقيين المختارة وصح أيضاً سائر ما روي من القراءات التي حكاهما السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة فيها .. ويمكن

في الآية وجه آخر على جميع الترات الختلفة في عبد الطاغوت وهو أن يكون المراد أن يجعلهم عبد الطاغوت أي نسيه إليهم وشهد عليه بكونه من جملتهم ويجعل في مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله (وجعل الظلمات والنور) وكقوله تعالى (وجعل لكم من الجبال أكنانا) وهي هنا تعدى إلى مفعول واحد وقد تكون أيضاً بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى (وجعلوا لللائكة الذين هم عباد الرحمن آياتاً) وكقول القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافراً وجعلت حسبي قبيحاً وما أشبه ذلك فهي هنا تعدى إلى مفعولين ولجعل مواضع أخرى لأحاجة بنا إلى ذكرها فكانت تعالى نسب عبد الطاغوت إليهم وشهد أنهم من جملتهم .. فان قيل لو كانت جعلاً هنا على ما ذكرتم لوجب أن يكون متعدية إلى مفعولين لأنها إذا لم تعد إلا إلى مفعول واحد فلا معنى لها إلا الخلق .. قلنا هذا غلط من متوهمه لأن جعلاً هنا متعدية إلى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام للمفعول الثاني عند جميع أهل العربية لأن كل جملة تقع في موضع خبر المبتدأ فهي تحسن أن تقع في موضع المفعول الثاني كجعلت وعلمت وعلمت وما أشبههما .. وقال الشاعر

أبا لأراجيز يابن اللؤم توعديني وفي الأراجيز خلت اللؤم والنور^(١)

(١) - الأراجيز - جمع أوجوزة بمعنى الرجز وهو اسم يجر من محور الشعر ولكن أراد بها القصائد للرجزة الجارية على هذا البحر .. وقوله توعديني - من الإيعاد لا من الوعد - واللؤم - بضم اللام وسكون الهمزة وهو أن يجتمع في الإنسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء فهو من أذم ما يجرى به وقد بالغ في جعل المجهول إنشائه إشارة إلى أن ذلك عزيزة فيه .. وأما اللؤم فتجمع اللام وسكون الواو فهو العذل يقال لأمه على كذا لوما ولومة فهو ملوم .. وقوله - الخور - يفتح الخاء للمعجمة وتفتح الواو أيضاً وفي آخره راء وهو الضعف يقال رجل خوار ورجل خوار وأرض خوار بقول النكراجل لا تحسن القصائد والتصرف في أنواع الشعر فجعل ذلك دلالة على لزوم طبعه وضعفه .. فقوله أبا الأراجيز الهمزة للتوبيخ والانتكار والباء تتعاقب بقوله توعديني وقوله يابن اللؤم منادى مضاف

وقد فسر هذا على وجهين أحدهما على الفاء خلت من حيث توسعت الكلام فيكون في الأراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدأ .. والوجه الثاني^(٢) على إعمال خلت منصوب معترض بينهما وقوله اللؤم مرفوع بالإبتداء والخور عطف عليه وخبره قوله في الأراجيز وقوله خلت بينهما اعتراض ولو نصبها على المفعولية لجاز وكان الطرف حيثك في محل التصب مفعولاً ثانياً وخلت بمعنى علمت .. والبيت للمعنى المنقري وأسمه منازل بن زعدة من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن تميم بهجوه به رؤية بن المعجاج كذا قال بعضهم .. وقال النعمان بهجوه المعجاج وقال أبو الحجاج وبيت المعين من كنة وروها لام وقبله

أي أنا ابن جلال إن كنت تعرفني يارؤب والحية المياه في الجبل

ماني الدواوين في رجلي من عقل عند الرعان ولا أكرى من العقل

أيا لأراجيز يابن اللؤم توعديني وفي الأراجيز خلت اللؤم والفشل

هكذا رواه الجاحظ في كتاب الحيوان على أن الألفاء في البيت الثالث وأثبت الآيات الثلاثة في كتاب الوحي وليس فيها ألفاء لأنه روي فيها وفي الأراجيز رأس القول والفشل (١) قوله - والوجه الثاني على إعمال خلت فيكون في الأراجيز في موضع نصب - الخ لم تر هذا التوجيه لغيره وليس سيئويه في كتابه ومن قال عبد الله ضربته نصب فقال عبد الله أنه ضارباً وقول أظن حمراً منطلقاً وبكراً أنه ضارباً كما قالت ضربت زيداً وحمراً ككته وإن شئت رفعت على الرفع في هذا فان التفت قلت عبد الله أظن ذاهب وهذا إدخال أخوك وفيها أرى أبوك وكذا أردت الألفاء فالتأخير أقوى وكل عربي جيد قال الشاعر وهو المعين .. أبا لأراجيز يابن اللؤم الخ .. ألتشد يولس مرفوعاً وإنما كان التأخير أقوى لأنه أتى بجمي بالشك بعد ما مضى كلامه على اليقين أو بعد ما يتدنى وهو يريد اليقين ثم يذكره الشك .. وقال في التوضيح فصل لهذه الأفعال ثلاثة أحكام أحدها الإعمال وهو الأصل وهو واقع في الجميع والثاني الألفاء وهو إبطال العمل لنفاً وعلا لضعف العامل بتوسطه أو تأخره كزيد ظننت قائم وزيد قائم ظننت .. قال منازل بن ربيعة .. أبا لأراجيز النخ .. قال يس قوله خلت اللؤم والخور قال المصنف في الحوانني قال

فيكون في الأراجيز في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين من
تدبره... [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه... أنشد ثعلب ابن الاعراب
أما وائي للصبر في كل موطن
وأي من عنى رهن ذلتي

ولئي لا أختار الظما في موطن
وأسترد ذنب الدهر حتى كأنه
ولست كمن كان ابن أبي مقبرا
قد أوتته حتى انقضي الود بيننا
وكنيت له عند العلمات عدة
أسد علي عتده كل خلة

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه الأولى في هذه القطعة الملاحقة - الخلة -
الحاجة والخلة أيضاً الخصلة والخلة بالضم اللودة والخلة أيضاً بالضم من كان خالوا من
المرعي والخلة بالكسر ما يخرج من الامتنان بالخلل والخليل الحبيب من اللودة والخلة
والخليل أيضاً التقدير وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)
ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فإنه لا يدري أحدكم من يحتله إليه... قال أبو العباس
ثعلب يكون من شيئين أحدهما من الخلة التي هي الحاجة أي من يحتاج إليه ويكون من
الخلة وهي الثبات والخلود ويكون معناه من تشبه ما عنده بشيء بالابل لأنها رعي الخلة
فإذا ملأها عدلوا بها إلى الخس فإذا ملأ الخس اشبهت الخلة ومن أمثالهم جاؤا بخلين
فلاقوا خنصاً أي جاؤا مشبهين لقناتنا فلاقوا ما كرهوا والخلة أيضاً بنت الخناس والذكر
الخلل ويقال جسم خلل إذا كان مهزولاً... قال الشاعر

أبو الفتح فيما نقل عنه عبد المنعم الوجه الرفع لأن الواو ليست للعطف لاختلاف الجملتين
طلباً وخبراً والعطف نظير اثنتية وواو الحال تطلب الابتداء فالظرف خبر والظوم مبتدا
ولا يمنع النصب على أن يقدر مبتداً

فأسقنيها ياسواد ابن عمي وإن جسيبي بعد خالي لخل^(١)

(١) - فاسقنيها - الخ البيت من قصيدة مشهورة من غنار أشعار القبائل لأبي تمام
قيل إنها للشنفرى يرثي خاله تأبط شرأ وذلك غلط لأن تأبط شرأ ليس خالاه ولأن
الشنفرى مات قبله وقيل إنها لابن أخت تأبط شرأ يرثيه وقيل إنها من أوضاع
خلف الآخر وأولها

ان بالشعب الذي دون سلع
قذف اللب على وولي
ووراء الثار منه ابن أخت
مغرق برشح سدا كما
خبر ما تابنا مع مثل
يرثي الدعي وكان غشوما
شامس في القر حتى إذا ما
يأس الجنيين من غير يؤس
تألفن بالحزم حتى إذا ما
حيث مزن قامر حيث يجدي
مسل في الحى أحوى رقل
وله طعمان أري وشري
يركب الهول وحيداً ولا يس
وقو مجروا ثم أسروا
كل ماض قد تردى براض
فادركنا النار منهم ولما
فاحتسوا أنفاس نوم فلما
فلن فلت هذيل شباه
لما كان هذيل يفل
لقتيلا دمه ما يطل
أنا بالعب له مستقل
مصع عقدته ما محل
أطرق أفي ينفث الدم مل
جل حتى دق فيه الأجل
بأبي جاره ما يذل
ذكت الشمرى فبرد وظل
وندي الكفين شهم مدل
حل حل الحزم حيث محل
وإذا يسطو فليت أبل
وإذا يغزو فستع أزل
وكلا الطممين قد زاق كل
حبه الا اليماني الأفل
ليهم حتى إذا أنجباب حاوا
كمن البرق إذا ما يسل
يسج ملحين الا الاقل
هوموا رعثهم فاشتعلوا
لما كان هذيل يفل

وقال فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله
أجرته .. قال الشاعر

فلو أن قومي أنطقني رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت^(١)

وما أبركها في شاح
وما صبغها في ذراها
سليت من هذيل يخرق
لا يل الشرح حتى يملوا
يبتل الصعد حتى إذا ما
تلت كان لها منة على
حلت الحر وكانت حراما
فاسفها يسود بن عمرو
ان جسمي بعد خالي لخل
نضحت الصبغ لقتل هذيل
وزي الذئب لها يستل
وغشاق الطير تمتى بطاناً
تخطاهم فما تستقل

(١) قوله - فلو أن قومي - الخ يقول لوضروا وطعنوا رماحهم أعدائهم لأنكثي
مدحهم ولكن فرارهم سيرى كالشقوق اللسان لاني ان مدحهم ينام يفعلوا كذبت ورد
على يقال أجزرت الفصيل اذا شقت لسانه لثلا يرضع أمه .. قال أبو القاسم الزجاجي في
أماله الوسطى أخبرنا ابن شقير قال حضرت للبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر
- فلو أن قومي أنطقني رماحهم - البيت فقال هذا كقول الآخر

وقافية قيل فلم أستطع لها
دفاعا اذا لم تضربوا بالناصل
فادفع عن حق بحق ولم يكن
ليدفع عنكم قالة الحق باطلى

قال أبو القاسم معنى هذا ان الفصيل اذا لمج بالرضاع جعلوا في أمه خلافة محدودة فاذا
جاء برضع أمه نخسته تلك الخلافة فتمت من الرضاع فان كف والا أجزوه والاجرار
أن يشق لسان الفصيل أو يقطع طرفه فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة فقال قائل
البيت الاول ان قومي لم يقاتلوا فانا مجر عن مدحهم كما يجير الفصيل عن الرضاع ففسره
أبو العباس بالبئتين اللذين مضيا وللأجرار موضع آخر وهو أن يلعن الفارس الفارس

أى لم يعملوا في الحرب شيئا فكنت أفخر بهم وقوله
أقر لعيني من غني رهن ذاتي

يقول اختار الصيانة مع الفقر أحب الي من الغنى مع الذل ومثله

إذا كان باب الذل من جانب الفنا
سموت إلى العلاء من جانب الفقر
صبرت وكان الصبر مني سجيته
وحسبك أن الله أثني على الصبر
.. وقوله - واستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق - أراد اني لأشكو ما يمسني به الدهر

فيمن الرمح فيه ثم يتركه منهزما يجر الرمح فذلك قاتل لاحالة ومنه قول الشاعر

وآخر منهم أجزرت رمحي
وفي البجلى معبلة وقيع

وقوله ولقي بأفضل مالنا أحسابنا
ونجرفي الهيجا الرماح وندي

قوله - وندي - أى ينتسب في الحرب كما ينتسب الشجاع في الحرب فيقول أنا فلان بن

فلان .. والبيت من أبيات عمرو بن معدى كرب الزبيدي رضي الله عنه وأولها

ولما رأيت الخيل زورا كأنها
جداول زرع أرسلت فاسطرت

خجاشت الى النفس أول مرة
فردت على مكروها فاستقرت

على قول الرمح يتفلس مائق
اذا أنا لم ألعن اذا الخيل كرت

لما الله جرما كذا ذر شائق
وجوه كلاب هارشت فازبارت

فلم تمن جرم نهضا اذ تلاقيا
ولكن جرما في اللقاء أبذرت

خللت كائي للرمح دريشة
أقاتل عن أبناء جرم وفرت

فلو أن قومي أنطقني رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

وسبب هذه الايات ان جرما ونهدا وما قبيلتان من قضاة كانتا من بني الحارث بن

كعب فقتلت جرم رجلا من أشرا في بني الحارث فارتحلت عنهم ونحوها في بني زبيد

فخرجت بنو الحارث يطلبون بدم أخيهم فالتقوا فمرو جرما لهد وتعي هو وقومه

لبني الحارث ففرت جرم واعتلت بأنها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال

عمرو هذه الايات يلومها ثم غزاها ثم بعد فانتقم منهم

من خصاصة بله أسر ذلك وأظهر التجمال حتى لأسوء الصديق وأسوأ العدو وهذا المعنى أراد بقوله - ولا أغتابه عند زلتى - وقوله - فلما أفاد المال عاد ابن علة - والعرب تقول هم بنو أعيان إذا كان أبوهم واحداً وأمهم واحدة فإذا كان أبوهم واحداً وأمهم شتى قيل أولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا نباء أولاد علات أي أمهاتهم شتى وأبوهم واحد وكفى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع والتقالى لأن الأكثر من بني العلات ما ذكرناه * * * وقوله - ودابرته - أي قاطعته * * * وقوله - ولم أتعلم من نداء بيلة - فالتعلق يكون بالشفقين والتعلق يكون باللسان وكفى بذلك عن أنه لم يصب من خبره شيئاً فصان نفسه عنه

جلس آخر ٦٧

[تأويل آية] * * * إن سأل سائل عن قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) إلى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) * * * فقال والذي أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم بالعلم هنا لوصفهم بالجهل في قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) * * * الجواب قلنا هذه الآية مضاهية متعاقبة بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بعبادته ثم عدد عليهم صنوف الذم التي ليست إلا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وإن العبادة إنما تجب لأجله النعم المخصوصة فقال جعل من قائله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) إلى آخر الآية ونسب في آخرها على وجوب توحيد والاختصاص له وإن لا يشرك به شيئاً بقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ومعنى قوله تعالى (جعل لكم الأرض فراشاً) أي يمكن أن تستقروا عليها وتقرشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدلل أبو على بذلك بقوله تعالى (وجعل لكم الأرض بساطاً) على بطلان ما قوله المنجمون من أن الأرض كرية الشكل وهذا القدر لا يدرك لأنه يكفي في النعمة علينا أن يكون فيها بساط وهو موضع مسطوح يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون

جميعها كذلك ومعلوم ضرر ذلك لجميع الأرض ليس مسطوحاً بسيطاً وإن كان موضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفون أن يكون في الأرض بساط وسلاح يتصرف عليها ويستقر فيها وإنما يذهبون إلى أن يجعلها شكل الكرة وليس له أن يقول قوله تعالى (وجعل لكم الأرض فراشاً) يقتضي الإشارة إلى جميع الأرض وجعلها لا إلى مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهدة أن فيها ليس ببساط ولا فراش ولا شبهة في أن جملة تعالى السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بنا فعنا ومصالحنا وكذلك أنزاله تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات فتنتفع بنيلها والاعتناء بها * * * فاما قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً) فإن الند هو المثل^(١) والعدل * * * قال حسان بن ثابت

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنْدٍ فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ^(٢)

(١) قوله - فإن الند هو المثل والعدل - قلت يكون الند للعد أيضاً وفسر الناس قول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) على جهتين * * * قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه فلا تجعلوا لله أعداءً فلا تعدل جمع عدل والعدل المثل وقال أبو العباس عن الأثرم عن أبي عبيدة (فلا تجعلوا لله أنداداً) أنداداً ويقال فلان ندي ونديدي ونديتي فالثلاث اللغات بمعنى واحد وإنما دخلت الهاء في نديدة للمبالغة كما قالوا رجله علامة ونسابة وجماع كريمة القوم يراد به البالغ في الكرم المشبه بالداهية ويقال في تنية التندنان وفي جمعه أنداد ومن العرب من لا يشبه ولا يجمعه ولا يؤنسه فيقول الرجلان ندي والرجال ندي والمرأة ندي والنساء ندي

(٢) البيت من قصيدته المشهورة التي يقال أنه قال بعضها في الجاهلية وبعضها في الإسلام * * * ومطالعها

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تصفها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها ثم وشاء

(١٣ - أمالي رابع)

وأما قوله تعالى (وأنتم تعلمون) فيحمل وجوهاً ٥٥ أولها أن يريد أنكم تعلمون أن الانداد التي هي الاصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالى لم تنم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا باشاها وأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تعقدون أن الاصنام خلقت السماء والأرض من دون الله تعالى ولا معه تعالى فالوصف لهم هنا بالعلم إنما هو لئلا كد الحجة عليهم ويصح لزومها لهم لأنهم من العلم بما ذكرناه ويكونون أخيق عذراً ٥٥ والوجه الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (وأنتم تعلمون) أي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتأثرون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفي شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عنده في التخلص عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى (أنما يشهدكم أولو الألباب ٥٥ وأنما يحصى الله من عباده العلماء) ٥٥ والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كجاءه وغيره أن المراد بذلك أهل الكتابين

• لشعواء التي قد نبته
• كأن سيئة من يترأس
• توليها اللامة إن لنا
• ونشرها فتركتنا ملوكا
• عندما خيلنا أن لم تروها
• بنازع من الاضة مصفيات
• فلما تعرضوا عنا آثمنا
• والا فاصبروا لجلاد يوم
• وجبريل رسول الله فينا
• وقال الله قد يسرت جنداً
• لنا في كل يوم من معد
• ونحكم بالقواني من هجانا
• ألا أبغ أباً سفيان عني
• بأن سيوفنا تركتك عبداً

الثوراة والإنجيل خاصة ومعنى تعلمون أي أنكم تعلمون أنه إله واحد في الثوراة والإنجيل فعلى الوجهين الأولين لا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) لأن علمهم تعلق بشئ وجهلهم تعلق بغيره وعلى الوجه الثالث إذا جعلت الآية التي سألتنا عنها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن نجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل تناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يوجد فيه التوحيد وكل هذا واضح محمد الله ٥٥ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول محتمل لكل قول امرئ القيس

وقد أغتدي ومعى القانصان
فبذركنا فقم داجن
أص الضروس حي الضلوع
فأنشأ أظفاره في النسا
فكر إليه بمبراته
فقلل برنج في غيطل
وكل برزاة مقتفر
سميع بصير طلوب نكر
تبوع أريب نشيط أثير
فقلت هبت ألا تنصير
كما خل ظهر اللسان المعجز
كما يستدير الحمار الثمر

٥٥ قال ابن السكيت - القانصان - السائدان - والمربأف الموضع المرتفع ربأف فيه والمقتفر -

(١) وروى سميع بصير - في البيت - الثالث بدل تبوع أريب تمام الابيات

وأركب في الروح خيفاة
لها حافر مثله قصب الولي
وساقان كهابها أصمعا
لها عجز كصفاة المسية
لها مثلان خطانا كما
وساقفة كسحقوق الالباب
لها عنبر كقرون اللسا
٥٥ ركب في يوم ربح وصر

الذي يقتفر آثار الوحش ويبيعها .. وقال غيره - القاصان - البازي والصقر - والفهم -
الكلب الحريص على الصيد يقال ما أشد فقهه أي ما أشد حرسه .. قال الاعشى

يَأْمُ دِيَارَ بَنِي عَامِرٍ وَأَنْتَ بَالِ عَقِيلٍ فَنِمِ

أي مولع - والداجن - الذي يألف الصيد - والسميع - الذي إذا سمع حساً لم يقته
- والبصير - الذي إذا رأى شيئاً من بعد لم يكذبه بصره - والتبوع - الذي إذا تبع
الصيد أدركه ولم يعجز عن لحوقه - والتمكر - المتكر الحاذق بالصيد ويروى تكرر
بالضم .. وقال ابن السكيت وغيره في قوله - فانتب أظفاره في اللسان - أي أنشب
الكلب أظفاره في نسا الثور والسا عرق في الفخذ معروف - فقلت هبت - أي فقلت لا ثور
هبت - الا تنصر - من الكلب قالوا وهذا تهكم منه بالثور واستزاء به والاصل في
التهكم الوقوع على الشيء يقال تهكم البيت إذا وقع بمضه على بعض .. ومعنى - فكر إليه
يعبراه - .. قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلب بعبارة أي بقرنه
.. ومعنى - كما خلى ظور اللسان الحجر - أي طمعه كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو
أن يقطع طرف لسانه أو يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف أمه وذلك إذا كبر

لها جهة كسرة الجرس حذقه الصانع المقتدر

لها منخر كوجار الضباع فنه ترنج اذا تهر *

لها ثن تحوافي المصاب سود يفين اذا ترثر *

وعين لها حدرة يدرة شقت ما قبهما من آخر

اذا أقبلت قلت دبابة من الخضر مغموسة في القدر

وان أدبرت قلت أنفية ملهمة ليس فيها أثر *

وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

وللسوط فيها مجال كما تزل ذو برد منهر *

وتعدو كعدو نجاة الطباء أخطأها الحاذق المقتدر

لها وثبات كصوب السحاب فواد خطاه وواد مطر

واستغنى عن الشرب .. ومعنى - فظال برنج في غيطل - أي ظل الكلب برنج أي بميل
ويمر كالسكران - والفيطل - الشجر الملتف ويكون أيضاً الجلبة والعياج .. وقوله -
كما يستدير الحمار النمر - والنمر الذي يدخل في رأسه ذباب أزرق أو أخضر ^(١) ليطلع
برأسه وينزو فشب الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النمر .. قال ابن مقبل

تَرَى النَّمَرَاتِ الزُّرُقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ

وقال أحمد بن عبيد - القاصان - الفرس وصاحبه والحجة أن الفرس تسمى قانصاً .. قول
عدي بن زيد

يُنْصُكُ الْخَيْلَ وَيَصْطَا ذَاكَ السَّطِيرَ وَلَا يَبْلُغُ لَهُو الْقَنِيصِ

أي لا يمتنع منه قال وقوله - فانتب أظفاره في اللسان - معناه فانتب الكلب أظفاره في لسان
الثور فقلت لصاحب الفرس أو لفلان الممسك للفرس هبت الا تدنو الى الثور فتطمئه
فقد أمسك عليك الكلب قال ومحال أن يكون امرؤ القيس أغرى الثور بقتل كلبه
لأن امرأ القيس يفخر بالصيد ويصفه في أكثر شعره بأنه مزوق منه مظفر كقوله
إذا ما خرجنا قال ولذا نأهلنا تمالوا إلى أن يأتنا الصيْدُ نَحْطِبِ

وكفوفه

(١) قوله - ذباب أخضر وأزرق - الخ قال ابن سيده النمر ذبابة تسقط على الدواب
فتؤذيها حمار نمر وحكي سيويو يعر الى اخواته من اللغات التي تطرد فيما كان ثابته حرقا
من حروف الحلق تقدمت له نظائر قال أبو حنيفة هو ذباب أريد ومنه أخضر والجمع نمر
قال ولا يصير هذا النمر الا الحمار فانه يأتي الحمار فيدخل في منخره فيبرض ويعلك
بجوفه الارض وان سمعت الحمار بطنينه ربضت ودسسن أنوفهن في الارض حذاره
واذا اعتري الحمار قيل حمار نمر .. وقال مرة قد تعرض النمر للاخيل وأشد أبو علي في
تصديق ذلك لابن مقبل يصف فرساً

تري النمرات الأخضر تحت كبانه أحاد ومثنى أصعقتها صواهيله

مُطْمِنٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ كَسَبٌ عَلَى كَبَرٍ

ففعال على هذا أن يقرى الثور بقتل كلبه . قال وتأويله - ألا تنصرو - ألا تدنو من الثور والدليل على أن تنصرو بمعنى تدنو قول الراعي

وَأَفْرَعَنَ فِي وَادِي جَلَامِيدَ بَعْدَهَا عِلَا بَيْدَ سَا فِي الْقَيْظَةِ السَّنَا صِرُ
أى المتدلى . . وقال مفسر بن ربيع بن أبي القيس

فَأَنْتَ لَا تَعْطِي أَمْرًا حَظَّ قَبِيرِهِ وَلَا تَمْلِكُ الشَّقَّ الَّذِي نَأْيُ صِرُهُ

أى دان منه . . ومعنى - ألس الضروس - أى بعض أسنانه تلتصق ببعض - وحيي الضلوع - أى مشرف الضلوع عاليا ويروي حتى الضلوع بالنون أى متحتها ويقال إن الضلوع إذا تقوست كان أوسع لجوفه وأقوي له ويروي أيضاً حتى الضلوع أى ضلوعه خفية داخلة في جنبه . . ومعنى - فظل يرغ في غيطه - فظل الثور يرغ في غيطه بالمطعمه صاحب الدرس وقد يجوز أيضاً أن يكون ترغ الثور لظفر الكلب به ولأنه ألقت أظفاره فيه وكل ذلك محتمل . . وما يحتمل أيضاً على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

قَتَوْضَحَ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا لِمَا سَجَّهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ

(١) - توضح - كشيء أبيض من كشيء حر بالدهناء قرب الحمامة عن امرئ . . وقيل توضح من قرى قرقرى بالحمامة وهي ذرورع ليس لها نخل . . وقال العسكري - مثل شيخ قديم عن مياه العرب فقيل له هل وجدت توضح التى ذكرها امرؤ القيس فقال أما والله لقد جئت في ليلة مظلمة فلو كنت على قم طويلها فلم توجد الى اليوم - والمقراة بالكسر ثم السكون وهو في اللغة شبه حوض ضخم يقرأ فيه من البرأى يجي اليه وجعها المقاري والمقاري أيضاً الجفان التي تقرأ فيها الاضياف . . قال ياقوت والمقراة وتوضح في قول امرئ القيس قربتان من نواحي الحمامة . . وقال العسكري في شرحه بيت امرئ القيس الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين أمرة وأسود العين والبيت من معانيته المشهورة ومطلعها

قفأ نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط الأولى بين الدخول وخومل

قال قوم معناه لم يدرس رسمها للرجل هاتين الرجحين فقط بل لتتابع الرياح والأمطار والدليل على ذلك قوله في البيت الأخير

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ^(١)

وقال آخرون ومعنى لم يعف رسمها لم يدرس فالرسم على هذا القول باق غير دارس . . ومعنى قوله في البيت الأخير - رسم دارس - أى فهل عند رسم يندرس في المستقبل وإن كان الساعة موجوداً غير دارس . . وقال آخرون في معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني أى أنه لم يدرس أثرها لما نسجها بل هي بواق نوابت فتعفن نخزن لها ونخزع عند رؤيتها ولو عفت وأتمت لاسرحنا وهذا مثل قول ابن آخر

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا فَلَا يَسْكُنُ ذَا حَزَنٍ شَيْئَنَا

ومثل قول الآخر

لَيْتَ الذِّبَارَ الَّتِي تَبْقَى لِحُزْنِنَا كَانَتْ تَبِينُ إِذَا مَا أَهْلَهَا بَانُوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول قضاً لهذا إنما هو كقولك درس كتابك

(١) قوله - فهل عند رسم دارس - الخ صدره . . وإن شئت فعبارة مَهْرَاقَةٌ . . ومعنى

- من معول - من مبكى وقيل من مستغاث وقيل من يحمل ومعتمد وقيل في قوله - فهل عند رسم دارس من معول - مذهباً أحدهما أنه مصدر عولت عليه أى اتكلت فلما قال إن شئت فعبارة مَهْرَاقَةٌ صار كأنه قال إنما راحق في البكاء فامعنى اتكالي في شفاء غلبي في رسم دارس لاغناء عنده عنى فسبيل أن أقبل على بكائي ولا أعول في برى غليلي على ما لاغناء عنده وأدخل الفاء في قوله فهل عند لتربط آخر الكلام بأوله فكأنه قال إذا كان شفاءً إنما هو في فيض دمي فسبيل أن لأعول على رسم دارس في دفع حزني وبني أن آخذ في البكاء الذي هو سبب الشفاء والمذهب الآخر أن يكون معول مصدر عولت بمعنى أعولت أى بكيت فيكون معناه فهل عند رسم دارس من إعمال وبكاء وعلى أي الأمرين حملت المعول فدخول الفاء على هل حسن جميل

أى ذهب بعضه وبقي بعض .. وقال أبو بكر العبدى معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله ولم يعف رسمها ما تناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام .. وقال آخرون أراد بقوله لم يعف أى لم يدرس ثم أكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من ممول كما قال زهير

قَفَّ بِالْيَدِ يَارَ الْيَاسِ لَمْ يَعْفُ الْقَدَمُ
بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْيَتِيمُ^(١)
وكما قال آخر

فَلَا تَبْعِدُنْ يَا غَيْرَ عَمْرٍو بَيْنَ مَالِكٍ
بَلَى إِنْ مِنْ زَارِ الْقُبُورِ لَيَبْعِدَا
أراد ليبعدن فابدل الالف من التون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير لا يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب لأنه يمكن أن يحمل على ما ذكرناه من أحد الوجوه المتقدمة من أنه أراد أن رسمها لم يعف ويبطل كله وإن كان قد غيرته الديم والأرواح

(١) البيت مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان وهي إحدى حولياته وبعده

لَا أَدَارِغِيهَا بَعْدِي الْإِنْسُ وَمَا
بَالِدَارٍ لَوْ كُنْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمَ
دَارَ لَأَسْمَاءَ بِالْقَمَرَيْنِ مَائِلَةً
كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرَمَ
وَقَدْ أَرَاهَا حَدِيثًا غَيْرَ مَقْوِيَةٍ
السَّرْمَنِهَا فَوَادَى الْجَفْرِ فَالْمَدَمَ
فَلَا لَكَانَ إِلَى وَادِي الْفَهَارِ فَلَا
شَرَقَ سَلْعَى فَلَا فَيْدَ فَلَا رَهْمَ
شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرَى بَرَكَ بِأَعْيُنِهِمْ
وَالْعَارِيَاتِ وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خَبِمَ
عُومَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ
قَدَّ الْقَرِيَّاتِ فَلَعَنَتُكَانَ فَالْكُرَمَ
كَانَ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ
وَعَبْرَةَ مَاهِمُ لَوْ أَنَّهُمْ أُمُ *
ضَرَبَ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْ لَوْ قَاقِ
فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رِيَاءَهُ النُّظَمَ
عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيَّتَيْنِ وَقَدْ
زَالَ الْهَمَلِجُ بِالْفَرَسَانِ فَالْجَمَ
فَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدُنَا دَارًا يَمَانِيَةً
تُرْعَى الْخُرَيْفُ فَادَى دَارَهَا نَطْلَمَ
أَنْ الْبُخِيلَةَ مَلُومَ حَيْثُ كَانَ دَوْلُ
سَكَنَ الْجَوَادِ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمَ
فَالْقَائِدَ الْخَيْلِ مَشْكُوبًا دَوَابِرَهَا
مِنْهَا الشُّنُونُ وَمِنْهَا الزَّاهِقُ الزَّهَمَ

بعضه وأثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة في حمله لأنه لم يتضمن أثباتاً وتقياً وانما دعاه بأن لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى به غير واجب عليه ولا ثابت فكيف به في البيت الثاني .. وقد يمكن في البيت وجه آخر وهو أن يكون معنى لم يعف رسمها أى لم يزد فيكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتنبه للتأمل بل هو خاف غير لأخ ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس من ممول فلم يتناقض الاول لأنه قد أثبت الدروس له في كلا الموضعين ولا شبهة في أن عناء من حروف الاشداد التي تستعمل تارة في الدروس وتارة في الزيادة والكثرة قال الله تعالى (حتى عفوا) أي كثروا ويقال قد عفنا الشعر أي كثروا وقال الشاعر

وَلَكِنَّا نُعِضُّ السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمَ

أراد كثيرات اللحم بقل قد عفنا وبر البعير اذا زاد ويقال أعفيت الشعر وعفوته اذا كثرت وزدت فيه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تحفى الشوارب وتغنى الحاجي أي توفر وهذا الوجه عندي أشبه بما تقدم

مجلس آخر ٦٨

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءاً كانت أملاً بغياً) الآية فقال من هارون الذي نسبت مريم عليها السلام الى أنها أخته .. ومعلوم أنها لم تكن أختاً لهارون أخى موسى عليهما السلام وما معنى (من كان في المهد صيباً) ولقطة كان تدل على ماضى من الزمان وعيسى عليه السلام في حال قولهم ذلك كان في المهد .. الجواب قلنا أما هارون الذي نسبت اليه مريم عليها السلام فقد قيل فيه أقوال منها ان هارون المذكور في الآية كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالهرم والنشر وفساد الطريقة فلما أنكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي مبرأة منه نسبوها الى هذا الرجل تشبهاً وتمثيلاً وكان تقدير الكلام يا شبهة هارون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير .. ومنها ان هارون هذا كان أخاها لأبها دون أمها

وقيل انه كان أخاها لأبها وأما وكان رجلا معروفا بالصلاح وحسن العارضة والعبادة والتأله .. وقيل انه لم يكن أخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحاً من قومها وأنه لما مات شيع جنازته أربعون ألف رجل كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل فلما أنكروا ماظهر من أمرها قاوا لها يا أخت هارون أي بالشبهة بالصلاح ما كان هذا معروفاً منك ولا كان والدك ممن يفعل القبيح ولا يتطرق عليه الرب .. وعلى قول من قال انه كان أخاها يكون معنى قولهم أنك من أهل بيت الصلاح والساد لأن أبك لم يكن امراً سوء ولا كانت أمك بشياً وأنت مع ذلك أخت هارون المعروف بالصلاح والساد والعفة فكيف آيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك .. ويقوى هذا القول ما رواه المفسرين شعبة .. قال لما أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران قال لي أهلها أليس نبيكم يزعم ان هارون أخو موسى وقد علم الله تعالى ما كان بين موسى وعيسى من التبيين فلم أدر ماأورد عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال لي فهلا قلت انهم كانوا يدعون بأبيائهم والصالحين قبلهم .. ومنها أن يكون معنى يا أخت هارون يامن هي من نسل هارون أخى موسى كما يقال للرجل يا أخا تميم يا أخا بني فلان .. وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى يا أخت هارون قال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هارون الذي ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام .. قال مقاتل تأويل يا أخت هارون يامن هي من نسل هارون كما قال تعالى (والى عاد أخاهم هوداً .. والى ثمود أخاهم صالحاً) يعنى بأخيه انه من نسلهم وجلسهم وكل قول من هذه الأقوال قد اختاره قوم من المفسرين .. فلما قوله تعالى (من كان في المهد صيباً) فهو كلام مبني على التشرط والجزاء مقصود به البهتان والمعنى من يكن في المهد صيباً فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي ووضع المستقبل لأن الشرط لا يشترط الا فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتي زرتك يريد أن تترني أنزلك قال الله تعالى (ان شاء جعل لك خيراً) يعنى ان يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان ههنا معنى صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار في المهد صيباً ويشهد بذلك قول زهير

أَجَزْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً أَوْحِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ

وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد كما قالت العرب كان الحر وكان البرد أي وجداً وحدثاً .. وقال قوم لفظه كان وان أريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أي أنتم كذلك وكذلك قوله تعالى (هل كنتم الا بشرأ رسولاً) وقول الله تعالى (وكان الله عليا حكيماً) وان كان قد قيل في هذه الآية الاخرة غير هذا .. قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمت تعالى ما شاهدوا فأخبرهم تعالى انه لم يزل عليا حكيماً أي فلا تظنوا انه استغفاد علماً وحكمة لم يكن عليهما .. وما يقوى مذهب من وضع لفظه الماضي في موضع الحال والاستقبال قوله تعالى (واذا قال الله يا عيسى بن مريم) وقوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) وقولهم في الدعاء غفر الله لك وأطبل بقاك وما جرى مجرى ذلك ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا أنه لما أمن اللبس وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل .. قال الشاعر

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْفَضَائِلِ مَقْعِدًا

أراد لمن يكون بعدى .. وما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول الصلتان العبدى برقي المغيرة بن المهلب

قُلْ لِلْقَوَائِلِ وَالْفَرَاقِ إِذَا غَزَوْا وَالْبَاكِرِينَ وَلِلْمُجَدِّ الرَّائِحِ^(١)
إِنَّ الشُّجَاعَةَ وَالسَّامَةَ ضَمِنَا قَبْرًا يَمْزُو عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^(٢)

(١) قوله - قل للقوائل - الخ القوائل جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها إلى وطنها - والفراق - جمع غار - والباكرين - جمع باكر يقال بكر بكوراً من باب فعد أسرع في الذهاب من أول النهار - وأجد - في الأمر اجتهد - والرائح - الراجع (٢) قوله - ان الشجاعة والسامحة - الخ هذا مقول القول .. وروى أيضاً ابن السامحة والمروءة - والسامحة - الجود والعطاء والمروءة - آداب نفسانية تحمل مراميها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات يقال مرق الانسان وهو مربي كقرب فهو قريب أي ذو مروءة .. قال الجوهري وقد تشدد في قول مروءة - وضمناً

فَإِذَا مَرَزَتْ بِقَبْرِهِ فَأَعْقَرِ بِهِ كَوْمَ الْمَطِيِّ وَكُلَّ طَرَفٍ سَابِجٍ^(١)
وَأَنْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهِ فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَادِمٌ وَذَبَائِحُ^(٢)

البناء للمفعول متمم لمفعولين . . أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير التثنية . . والثاني قبرا وهو مقلوب لأنه يقل ضمننت الشيء كذا أي جملة محتويا عليه وفي القلب هنا نكتة كأنهما لكثرة ما لا يسعهما القبر فهما اشتغلا على القبر وأحاطا بجوانبه . . ومرو هنا عمرو الشاعران لامرو الروذ وكلاما في إقليم خراسان . . قال ابن خلكان ومن سرته أولاد للهيب أبو فراس النخعي وكان أبوه يقدمه في قتال الجوارح وله معهم وقائع مشهورة أبان فيها عن نجدة وصرامة وكان مع أبيه في خراسان واستقاه يروى الشاعران وتوفي في حياة أبيه سنة اثنين وثلاثين في رجب وهذا البيت استشهد به النحويون على أنه أعاد الضمير إلى المؤننين بضمير المذكورين وكان القياس أن يقول ضمننا وعنده ابن عصفور من قبيل الضرورة

(١) قوله - فإذا مرزت بقبره - النخ - عقر البعير بالسيف من باب ضرب إذا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر في غير القوائم وربما قيل مقره إذا تحرك كذا في المصباح - والكوم - الضم جمع كوماه بالفتح والمد وهي الناقة السينة المولى - ويروى - بدله الجلال بكسر الجيم جمع جلدة بفتحها وهي أدم الأبل لبنا - والطرف - بالكسر الأصيل من الخيل - والسابج - بالوحدة من سبع الفرس إذا جرى يقال فرس سابج إذا جرى بقوة [٢] قوله - وأنضح جوانب قبره - النضح بالحاء المهملة الرش القليل وبالحاء المعجمة الأبل يقال نضح ثوبه إذا بله فهو أباح من الأول . . واختلاف في سبب عقرهم الأبل على القبور فقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الأبل في حياته وبغرة للاضياف واحتجوا بقول الشاعر وأنضح جوانب قبره النخ . . وقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت كما كانوا يذبحون للأسماء وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن الأبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم كانوا يتأرون لهم فيها وقيل إن الأبل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة . . والبيت

معناه فلقد كان

يستشهد به النحويون على أن المضارع وهو يكون مؤنل بالماضي أي ولقد كان لأنه في مرثية ميت وهو إخبار عن شيء وقع ومضى لإخبار عما سيقع لأنه غير ممكن . . قال ابن السجري في أماليه قال أبو الفتح عثمان بن جني قال لي أبو علي سألت يوما أبا بكر بن السراج عن الأفعال فقال يقع بعضها موقع بعض فقال كان ينبغي للأفعال كلها أن تكون مثالا واحدا لأنها لمعنى واحد ولكن خولف بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان فإذا اقترن بالفعل ما يدل عليه من لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض . . قال أبو الفتح وهذا الكلام من أبي بكر عال سديد . . وهذه الأبيات الصحيح أنها لزيد الأعجم يرثي بها المفيرة بن المهلب وقيل المفيرة بن أبي صفرة أخا المهلب وهي من قصيدة أولها قل للوقوف الخ الأبيات الأربعة وبمعناها

وأظهر يزنه وعقد لوائه وأهتف بدعوة مصائب شرايح
آب الجنود ممقلا أو قافلا وأقام رهن حفيرة وضرايح
وأرى المكارم يوم زيل يمشيه زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه الليالي وأصبحت منا القلوب لذلك غير ضاحيح
الآن لما كنت آكل من منى وأفر نابلك عن شباه القارح
ونكملت فيك للرواة كلها وأعنت ذلك بالفعل الصالح
فكفي لنا حزنا بيت حله إحدى المنون فليس عنه ببارح
لعمت منازره وحط سرجه عن كل طامحة وطرف طامح
وإذا بناح على امرئ فتعلمي أن المفيرة فوق نوح النائح
نبكى المفيرة خيلنا ورماحنا وألبا كيات برقة ونصائح
مات المفيرة بعد طول تعرض للموت بين أسنة وصفائح
والقتل ليس الي القتال ولا يرى سبياً يؤخر للشفيق الناصح
• لله در منية فانت به فلقد أراه يرد غرب الجائح

[تأويل خبر] ٥٥ إن سأل سائل فقال كيف يطابق ما روى عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال لا عدوى ولا مطيرة ولا هامة وأنه قيل له عليه الصلاة والسلام إن الثقة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الأبل فقال عليه الصلاة والسلام فن أعدى الأول لما روى عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله

ولقد أراه مجتبا أفراسه
في جوفه ليل يرى أبطاله
يقص الحزونة والسهولة إذ غدى
ولقد أراه مقدما أفراسه
فتبار عادية لذي مرسى الوغى
ليسوا السوانع في الحروب كأنها
وإذا الغراب عن الطعان بدالم
لوعند ذلك قارعه منية
كنت الغيات لأرضا فتركتنا
فألق المقيمة للمقيمة إذ غدت
صفان مختلفان حين تلاقيا
ومسحج كره الكاء زاله
قد زار كبش كشيبة بكشيبة
غيرن دون نسانه وبسانه
سبقت يدك له بعاجل طعنة
واخليل تضيق بالكاء وقد جرت
بالفتنا بالفتنا لك مكانا
نشى بملك لابن عمك جهله
وإذا يصول بك ابن عمك لم يصل
صلح يموت سليمة قبل الرقى
ولقد أراه مجتبا أفراسه
في جوفه ليل يرى أبطاله
يقص الحزونة والسهولة إذ غدى
ولقد أراه مقدما أفراسه
فتبار عادية لذي مرسى الوغى
ليسوا السوانع في الحروب كأنها
وإذا الغراب عن الطعان بدالم
لوعند ذلك قارعه منية
كنت الغيات لأرضا فتركتنا
فألق المقيمة للمقيمة إذ غدت
صفان مختلفان حين تلاقيا
ومسحج كره الكاء زاله
قد زار كبش كشيبة بكشيبة
غيرن دون نسانه وبسانه
سبقت يدك له بعاجل طعنة
واخليل تضيق بالكاء وقد جرت
بالفتنا بالفتنا لك مكانا
نشى بملك لابن عمك جهله
وإذا يصول بك ابن عمك لم يصل
صلح يموت سليمة قبل الرقى

فر من الاجذم فرارك من الأسد ٥٥ وإن رجلا مجنونا أنه ليأبى بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن له عليه الصلاة والسلام ٥٥ وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال الشؤم في المرأة والدار والذابة وظواهر هذه الاخبار متناقضة متنافية فينبوا وجه الجميع بينها ٥٥ الجواب قلنا ان ابن قتيبة قد سأل نفسه عن اختلاف هذه الاخبار وأجاب عن ذلك بما ذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فانه خلط وأتى بما ليس بمرضى ٥٥ قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعاً فإذا وضع موضعه زان الاختلاف قال وللعدي مضيان ٥٥ أحدهما عدوي الجذام فان الجذوم تشتد رائحته حتى يسقم في الحال بحالسيه ومواكلية وكذلك المرأة تكون تحت الجذوم فتضاجعه في شمار واحد فيوصل اليها الأذى وربما جندمت وكذلك ولده يزعون في الكثير اليه وكذلك من كان به سل ودق والأطباء تأمر بأن لا يجالس المسلول والجذوم لا يريدون بذلك معنى العدوى وإنما يريدون بذلك تغير الرائحة وإنما قد يسقم في الحال اشتامها والأطباء أبعد الناس من الايمان بين أو شؤم ٥٥ وكذلك

وإذا الأمور على الرجال تشابعت
فقل السحيل بمرم ذي مرة
وأرى الصعاليق للمغيرة أصبحت
كان الربيع لهم إذا اتجموا الندى
كان المهلب بالغيرة كالذى
فأصاب حمة ما استقى فسقى له
أليم لو يحنل وسط مفازة
إن المهلب ان يزال لها فتي
بالمقربات لوأخا أطالها
متلباً تهفو الكنائس حصوله
ملك أغر متزوج يسموه
رفاع ألوية الحروب الى العدى
وتشوزعت بمفاليق ومفاتيح
دون الرجال بفضل عقل راجع
نبكي على طلق اليدين مساع
وخبت لوامع كل برق لائح
ألقى الدلاء الى قليب المنازع
في حوضه بنوازع ومنازع
فاضت معاطشها بشرب سائح
يمرى قوادم كل حرب لائق
تجتاب سهل سباب ومحامح
منح المنون من التضييع الراشح
طرف الصديق بفض طرف الكاشع
بسمود طير سائح وبوارح

الثقة تكون بالبعير وهو جرب رطب فإذا خالط الابل وحاكها وصل اليها بلقاء الذي يسئل منه وتجرب بماء فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوردن ذوماعة على مصبح قال وقد ذهب قوم الى أنه أراد عليه الصلاة والسلام بذلك أن لا يظن أن الذي نال ابله من ذوات العاعة فيأثم قال وليس هذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا . . . قال وأما المجلس الآخر من العدوي فهو الطاعون ينزل ببئد فيخرج منه خوفا من الطاعون . . . وحكى عن الأصمعي عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون فركب حمرا أو مضى بأهله نحو ستوان فسمع ناديا يحمدهم فقلت فيقول

لَنْ يُسَبِّحَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مِمَّةٍ مَطَارٍ

أَوْ يَأْتِيَ الْحَتَفَ عَلَى مَقْدَارٍ فَلْيُصْبِحِ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

. . . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالبلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال عليه الصلاة والسلام أيضا إذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه الصلاة والسلام لا تخرجوا من البلد إذا كان فيه كأنكم تفتنون أن القرار من قدر الله تعالى يحكم ويريد بقوله عليه الصلاة والسلام إذا كان ببلد فلا تدخلوه من مقامكم بل موضع الذي لا طاعون فيه أسكن لا أنفسكم وأطيب لميتكم قال ومن ذلك المرأة تعرق بالشؤم والدار فينال الرجل مكروها أو جاشحة فيقول أعدتي بشؤمها قال فهذا هو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام لا عدوي . . . قال الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشؤم في المرأة والدار والداية فان هذا يشؤمهم فيه الفاطم على أبي هريرة وأنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فلم يعه . . . وروى ابن قتيبة خبراً ورفعه الى أبي حسان الأصمعي أن رجلين دخلا على عائشة فقالا ان أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الطيرة في المرأة والدار والداية فطارت شفقاً فقالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال عليه الصلاة والسلام كان أهل الجاهلية يقولون ان الطيرة في المرأة والدار والداية ثم قرأت (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم) الآية . . . وروى خبراً يرفعه الى أنس بن مالك قال جاء

رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اننا نزلنا داراً فكثير فيها عددنا وكثر بها أموالنا ثم تحولنا منها الى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا فقال عليه الصلاة والسلام ذروها فهي ذميمة قال ابن قتيبة وهذا ليس ينتقض الحديث الاول وانما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استئصال ظلمها واستيعاش لما نالهم فيها وأمرهم عليه الصلاة والسلام بالتحول منها وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استئصال ما ينالهم السوء فيه وان كان لاسبب له في ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبفض من جرى على يده الشر لهم وان لم يردهم به . . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئاً أكثر من أنه لما أعجزه تأويل الاخبار التي سألت نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوي ولا طيرة ادعى الخصوص فيها ظاهراً للعموم وخص العدوي بشئ دون آخر وكلاهما سواء فيه وأورد تأويلاً يدفعه نص قوله عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الثقة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال عليه الصلاة والسلام فما أعدي الاول تكذيباً بعدوي هذه الثقة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يمدى ويؤثر في الخالط والمزاكل وعول في ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول عليه الصلاة والسلام . . . ومن ظريف أمره أنه قال إن الاطباء ينهون عن بحالة المسلول والجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوي وانما يريدون تفسير الرائحة وانما تسقم من أدمن اشتامها وهذا غلط منه لأن الاطباء انما تنهى عن ذلك خوفاً من العدوي وسبب العدوي عندهم هو اشتام الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوي عند قوم ما يوجب أن لا يكون هذا أيضاً عدوي . . . ولما حكى عن غيره تأويلاً صحيحاً في قوله عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذوماعة على مصبح ادعى ان العيان يدفع وأي عيان معه ونحن نجد كثيراً ممن يخالط الجربي فلا يجرب ونجد أبلاً صحاحاً تخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من أدوائها فكأنه انما يدعي ان العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فما أعدي الاول . . . والوجه عندنا في قول النبي عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذوماعة على مصبح أنه عليه الصلاة والسلام انما ينهي

عن ذلك وإن لم يكن مؤثراً على الحقيقة لأن فاعله كالدخول الضرر على غيره لأن من اعتقد أن ذلك يصدي ويؤثر فأورد على ابنه فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من أن يذم من عامله بذلك فكأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن أذي الناس والتعرض لذهمهم وقد يجوز أيضاً فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من أنهم متى ظنوا ذلك أنموا فنهى عليه الصلاة والسلام عن التعرض لما يؤثم .. ولو نقل ابن قتيبة ما قاله عليه الصلاة والسلام في الطاعون إذا كان يبذل فلا تدخلوه وأمره لمن شكى إليه بالتحويل عنها إلى مهنا لكان قد أصاب لأنه حمل ذلك على أن نجيب البلد أسكن للنفس وأطيب للعيش وكذلك الدار فهذا يمكن في قوله عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذواته على مصح بعينه .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام فر من المجدوم فرارك من الأسد فليس فيه أن ذلك لأجل المدوى وقد يمكن أن يكون لأجل تنريحه واستقذاره وتقور النفس منه وإن ذلك ربما دعى إلى تعبيره والازراء عليه وامتناعه عليه الصلاة والسلام من ادخال المجدوم عليه ليباعه يجوز أيضاً أن يكون القرض فيه غير المدوي بله بعض الأسباب المانعة التي ذكرنا بعضها .. وأما حديث الطاعون والقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله لما عول في غدوى الجناد والجرب على قول الأطباء أن يرجع أيضاً إلى أقوالهم في الطاعون لأنهم يزعمون أن الطاعون الذي يمرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يصدي كعدوى الجرب والجناد والعيان الذي ادعاء ليس هو أكثر من وجوده من يجرب أو يحمض لخاطلة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فأننا نرى عمومته لمن يسكن البلد الذي يكون فيه ويطراً إليه .. فأما الخبر الذي يتضمن أن الشؤم في المرأة والدار والداية فالذي ذكره من الرواية في معناه يزيل الشبهة به على أنه لو لم يكن مهنا رواية في تأويله جاز أن يحمل على أن الذي يتطير به المتطهرون ويتعون الشؤم فيه هو المرأة والدار والداية ولا يكون ذلك أثباتاً للطيرة والشؤم في هذه الأشياء بل على طريق الأخبار بأن الطيرة الثابتة إنما هي فيها لقوة أمرها عند أصحاب الطيرة .. وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمره عليه الصلاة والسلام بانتقاله عنها تأويل قريب وقد كان يجب أن يتهدى إليه عما تقدم

وما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم

مجلس آخر ٦٩

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) الآية .. فقال أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنتم تتمعون من ذلك .. الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالى ولحمل كلامه أولن يكن يكلمه وإذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب إلى غيره من وجعل مما يجوز أن يكون محجوباً فقد يجوز أن يريد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاماً في جسم محجب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فيقال على هذا هو متكلم من وراء حجاب .. وروى عن مجاهد في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) قاله هو داود عليه السلام أوحى في صدره فزير الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام أو نرسى رسولاً وهو جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم .. فأما أبو علي الجبائي فإنه ذكر أن المراد بالآية (وما كان لبشر أن يكلمه الله) الا مثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيههم على ذلك من جهة الخاطر أو التمام أو ما أشبه ذلك على سبيل الوحي .. قال وإنما سمي الله ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاماً لهم على سبيل الاقصاد كما يفصح الرجل منا لصاحبه إذا خاطبه والوحي في اللغة إنما هو ما جرى مجرى الإيحاء والتنبيه على شيء من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية .. قال وعنى بقوله (أو من وراء حجاب) أى يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق الاموسى وحده في كلامه اياه أولاً فأما كلامه اياه في المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه

وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله عز وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلام هو الذي كان معجوباً عن الناس .. وقد يقال أنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعون لأن الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله (أو من وراء حجاب) أن الله تعالى كان (من وراء حجاب) يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة .. قال وعنى بقوله (أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) إرساله ملائكة بكتبه وكلامه إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ليبايعوا به ذلك عباده على سبيل إزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وإزاله سائر الكتب على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لهذا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى عباده وأمرهم به بطاعته ونهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى عليه السلام وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكره الله تعالى في أول الآية لأنه قد أفصح تعالى لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره تعالى في أول الآية إنما هو تنبيه وخاطر وليس التصريح وهذا الذي ذكره أبو علي أيضاً حديثه والكلام محتمل لما ذكره .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والحفاوة والظهور وقد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره إذا استبعد قلبه واستبعداً فطنته بيني وبينك حجاب وتقول للأمر الذي تستبعد وتستهيب طريقته بيني وبين هذا الأمر حجاب وموانع وسواتر وما يجري مجرى ذلك فيكون معنى الآية أنه تعالى لم يكلم البشر إلا وحياً بأن يختار في قلوبهم أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريد أو يكره منهم فيكون من حيث نسب الدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطباً ومكلاً لعباده بما يدل عليه وجعل تعالى هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا تظاهراً معلوماً لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤثرين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب هناك كناية عن الحفاة وغيره مما يدل عليه الدلالة وليس لأحد أن يقول أن الذي يدل عليه الأجسام هو من صفاته تعالى وأحواله ومراده ولا يقال أنه تعالى متكلم لذاته وذلك أنه غير متنع

على سبيل التجوز أن يقال أنه تعالى بما يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليسدل على مراده ويرشد إليه أنه متكلم لنا ومخاطب ولهذا لا يمتنع المسلمون من أن يقولوا أنه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما أَرَادَهُ وهكذا يقولون فيمن فعل فعلاً يدل على أمر من الأمور قد خاطبنا فلان بما فعل كذا بكذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يجرونها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نورد أمثاله ونظائره [قال الترمذي المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم من مستحسن ما قيل في الذب قول أسامة بن

خارجة بن حنن الخزاعي

وَلَقَدْ أَلَمْنَا بِمَا لِنَقَرِيهِ	بَادِيَ الشَّامِ عَارِفِ الْكَسْبِ
يَدْعُو النَّاسَ أَنْ تَأْلَ عَاقِبَتَهُ	مَنْ مَطْمَ غِبَاً إِلَى غِبِ
وَعَاوَجِي تَبِيلَتَهُ وَالْحَقُّ	بِالصُّلْبِ بَعْدَ لُذُونَةِ الصُّلْبِ
يَا صَدِّقَ سَيِّدِكَ مَا صَنَعْتَ بِهَا	جَمَعْتَ مِنْ شَبِّ إِلَى دَبِّ
لَوْ كُنْتَ ذَالِبَ قَبِيْشٍ بِهِ	لَفَعَلْتَ فِعْلَ الرَّمْذِيِّ اللَّبِّ
وَجَمَعْتَ صَالِحَ مَا احْتَرَفْتَ وَمَا	جَمَعْتَ مِنْ تَبِّ إِلَى تَبِّ
وَأَطْلَعْتَ شَغْباً تَدِلُّ بِهِ	فَلَقَدْ مَتَّيْتَ بِغَايَةِ الشُّغْبِ
إِذَا كَانَ قَبْرُ مَنْ صُلِّيَ تَعَصَى بِهَا	مَشْحُودَةً وَرَكَابِ الرُّكْبِ
فَاغْمِزْ إِلَى أَهْلِ الْوَقْرِ فَمَا	يُجَشَّاءُ غَيْرُ مَقْرَمِصِ الدُّرْبِ
أَحْسَبْتَنَا مَنْ تَطِيفُ بِهِ	فَاخْتَرَبَهَا لِلْأَمْنِ وَالْخِصْبِ
وَيَسْمِيرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا سَبَبِ	أَنِّي وَشَعْبُكَ لَيْسَ مِنْ شُعْبِي
لَمَّا رَأَى أَنَّ لَيْسَ نَافِعُهُ	جَدُّ تَهَاوَنَ صَادِقِ الْأَرْبِ

والعج الحاحاً لحاجته شكوى الضرير ومزجر الكلب
 يادي التكليح يشكي سغباً وأنا بن قاتل شدة السغب
 فرأيت أن قد نلت بأذى من بعد مثلية ومن سب
 ورأيت حقاً أن أضيفه إذ أم سلمي وأتقي حزني
 فوَقَفْتُ مُتَمَاماً أَوَّلُهَا مَهْنَةً ذِي رَوْقِي عَصَبٍ
 فَمَرَضَتْهُ فِي سَاقِ أَسْنِهَا فَاحْتَادَ بَيْنَ الْحَاذِ وَالْكَمْبِ
 قَرَرْتُهَا لِمَالِهِ جَزْراً عَمْدًا وَعَلَقَ رَحْلَهَا صَحْبِي

ذكر ذنباً طرقة ليلاً ٥٥ وقوله - محارف الكسب - مثل ضربه أي لا يبقى له نسب الا
 شيء يكتسبه ٥٥ وقوله - يدعو القنا ان نال علقته - أي ان وجد ما يتعلق به من طعام
 - غباً الى غب - أي من يومين فذلك عنده القنا - والغبلة ما يبقى في البطن من طعام
 أو علف ٥٥ ومعنى طوي ثيمته ذهب بها وأراد أنه لم يبق في بطنه مما يسكه - واللدونة -
 اللين فأراد أنه ألحق بقية طعامه بصابه بعد أن لان ما صاب منها ثم أقبل على الذئب
 كالعادل له فقال ما صنعت بما جمعت من شب الى دب وهذان إسمان للشباب والهرم
 لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا ٥٥ والمعنى فيهما هو مذ كنت شاباً الى أن دببت على
 العصا ثم قال له لو كنت ذالِبٌ لجمعت ما نصيبه ٥٥ ومعنى - احترفت - اكتسبت ٥٥ ومعنى -
 من نهب الى نهب - أي من غدوتك على الغنم الى العدووة الاخرى ٥٥ ثم قال ان كان
 تعرضك شعباً علينا فقد متبت بغاية الشغب أي اننا ننفرك وتقاتلك وليس ههنا ما تقرب
 عليه وإنما معنا - مناصلة - أي سيوف مشعورة وركابنا التي تمتلئها فاعمد الى أهل الوقر
 - والوقر - القطيع من الغنم ولا يسمى وقيراً الا اذا كان فيه حمار يقول فمليك بموضع
 الغنم فانما يخشاك الراعي - المقرص - الذي يتخذ القرموصة واحله المكان المضيق وهو
 ههنا حفيرة يحفرها الراعي في الرمل من شدة الحر للشاة الكريمة الضيقة حتى اذا بركت
 كان ضرعها في القرموصة ٥٥ ومعنى - شعبك ليس من شعبي - أي لست من جنسي ولا

شكلى - والأرب - الخديمة عند الحاجة - وشكوى - الضرير الذي قد مسه الضر -
 ومزجر الكلب - أي هو منا قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذا زجرته أي اذا
 غصاته لدى جنباته - والسغب - الجوع ٥٥ وأراد بقوله - وأنا ابن قاتل شدة السغب -
 أي أنا ابن من كان يقري ويطم ٥٥ ثم رجع فقال رأيت بعد ما سبته وغضضته بالأذى
 والعدم ان أضيفه وأقربه لأنه ضيف وان كان ذنباً فوَقَفْتُ أنظر في ركابي وأختار
 أسنمها والاعتيام الاختيار وأزاولها ألبسها - والحاذان - حدث الفخذين اللذين يليان
 الذئب وخبر أن رحل المطية الذي عقرها علقه بعض أصحابه على مطية أخرى ٥٥ وقال
 النجاشي يذكر ذنباً

وماء كلون الفسل قد عاداً آجنا قَلِيلٌ بِهِ الْأَصْوَاتُ فِي بَلَدٍ غَجَلٍ (١)
 وَجَدْتُ عَلَيْهِ الذَّئْبُ يَعْوِي كَأَنَّهُ خَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ (٢)
 قَعْلَتُ لَهُ يَذِئِبُ هَلْ لَكَ فِي قَتِي يُوَاسِي بِلَا مِنْ عَلَيْكَ وَلَا يَجُلُ (٣)
 فَقَالَ هَذَاكَ اللَّهُ لِلرَّشْدِ إِنَّمَا دَعَوْتُ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعَ قَبْلِي (٤)

(١) قوله - وماء كلون الفسل - الخ الواو في وماء واووب والفسل بكسر الفين
 المعجزة ما يفسد به الرأس من سدر وخطمي ونحو ذلك ٥٥ يريد أن ذلك الماء كان متغير
 اللون من طول المكث مخضراً ومصفراً ونحوهما - والآجن - البلد وكسر الجيم الماء المتغير
 العلم واللون ٥٥ وقوله - قليل به الأصوات - يريد أنه قفر لاجيوان فيه - والبلد -
 الأرض والمكان - والحل - الجذب وهو انقطاع المطر ويس الأرض من الكلال
 (٢) قوله - كأنه خليع - الخليع الذي خلمه أهله لجناياته وتبرؤا منه
 (٣) قوله - قعلت له ياذيب هل لك - الخ يقول هل لك في أخ يعني نفسه يواسيك
 من طعامه بغير من ولا يجل

(٤) قوله - فقال له الذئب قد دعوتني الى شيء لم يفعله السباع
 قبل من مؤاكلة بني آدم وهذا لا يمكنني فعله ولست بأبيه ولا أستطيعه ولكن ان كان
 في مائك الذي معك فضل عما تحتاج اليه فاسقني منه وهذا الكلام وضحه النجاشي على

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَا كَيْلًا سَقَى إِنْ كَانَ مَا وَكَذَا فَفَضَّلُ^(١)
 قُلْتُ عَلَيْكَ الْحَوْضُ إِنِّي تَرَكْتُهُ فِي صَنْعِهِ فَضَّلُ الْقُلُوبُ مِنَ السَّبِيلِ^(٢)
 فَطَرِبَ يَسْتَعْوِي ذُنَابًا كَثِيرَةً وَعَدْتُ وَكُلُّ مَنْ هَوَاهُ عَلَى شَغْلٍ
 وَرَوَى أَنَّ الْفَرْدَقِ زُلَّ بِالْقَرِيبِينَ لَمَرَاهُ بِأَعْلَى نَارِهِ ذَنْبٌ فَابْصِرْهُ مَقْبَعًا يَصِي دَمْعُ الْفَرْدَقِ
 مَسْلُوخَةً لَمْ يَمِ إِلَيْهِ يَدٌ فَكَلَّمَهَا لَمْ يَمِ إِلَيْهِ بِمَا بَقِيَ فَأَكَلَهُ فَلَمَّا شَبِعَ وَلَّى عَنْهُ فَقَالَ
 وَلَيْلَةً بَيْنَا بِالْقَرِيبِينَ مَضَاقِنَا عَلَى الزَّادِ وَمَوْثِي الذَّرَاعِينَ أَطْلَسُ
 تَلَمَسْنَا حَتَّى أَتَانَا وَلَمْ يَزَلْ لَدُنْ فَطَمَنَتْ أُمُّهُ يَتَلَمَسُ
 فَلَوْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَنَا كَانَ دَائِبًا لَا لَبَسَتْهُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
 وَلَكِنْ تَنَحَّ جَنَبَةً بَعْدَ مَا دَنَا فَكَانَ كَقَابِ الْقَوْمِ وَأَهْوَأَتْهُ

لسان الذئب كأنه اعتقد فيه أنه لو كان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول وأشار بهذا
 إلى تعسف القولات التي لا مذهب فيها فهتدى الذئب إلى مظانه فيها لاعتقاده لها
 [١] قوله - فلست بآتيه - الخ البيت يستشهد به النحويون على أن حذف النون من
 لكن لإلغاء الساكنين ضرورة تشبها بالتصوين أو بحرف اللد والقبين من حيث كانت
 ساكنة وفيها لغة وهي فضل صوت في الحرف كما أن حرف المد واللين ساكن والمد فضل
 صوت وكذا أورد سيبويه في باب ضرورة الشعر من أول كتابه قال الاعلم بحذف النون
 لإلغاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن وكان وجه الكلام أن يكسر لإلغاء الساكنين
 شبهها في الحذف بحرف اللد واللين إذا سكنت وسكن ما بعدها نحو يغزو العدو ويقضي
 الحق ويخشي الله

[٢] قوله - فقلت عليك الحوض - الخ عليك اسم فعل بمعنى الزم والحوض مفعوله
 - والصقو - بفتح الصاد المهملة وكسرها وسكون الفين المعجمة الجانب المائل - والسجل -
 بفتح السين المهملة وسكون الجيم الدلو العظيمة - وطرب - في صوته بالشد يد رجعه ومده

فَقَاسَمْتُهُ نَفْسَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَقِيَّةَ زَادِي وَالرَّكَابِ نَفْسُ
 وَكَانَ ابْنُ لَيْلَى إِذْ قَرَى الذَّيْبَ زَادَهُ عَلَى طَارِقِ الظُّلُمَاءِ لَا يَتَعَبَسُ
 وَلَا بِنِ عَقَاءِ الْفَزَارَى وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ نَجْرَةَ وَقِيلَ نَجْرَةُ بِالضَّمِّ الْآيَاتُ الْمَشْهُورَةُ فِي الذَّنْبِ وَهِيَ
 وَأَعْوَجَّ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ كَأَنَّهُ بَدَى الشَّبْتِ سَيْدَ آخِرِ اللَّيْلِ جَائِعُ
 بَعَى كَسْبَهُ أَطْرَافَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ وَلَيْسَ بِهِ ضَلَعٌ مِنَ الْخَمْسِ ظَالِعُ
 فَلَمَّا نَاهُ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ جُنُوبَ الْمَلَأَ وَأَيَّاسْتُهُ الْمَطَامِعُ
 طَوَى نَفْسَهُ طَيَّ الْحَرِيرِ كَأَنَّهُ حَوَى حَيَّةً فِي رُبُوءَةٍ فَهُوَ هَاجِعُ
 فَلَمَّا أَصَابَتْ مَنَّةُ الشَّمْسِ حَكْمَهُ بِأَعْصَلٍ فِي أَنْيَابِهِ الشَّمُّ نَاقِعُ
 وَفَكَكْتُ لِحْيَتَهُ فَلَمَّا تَمَادَا صَاحَى ثُمَّ أَقْفَى وَالْبِلَادُ بِلَاقِعُ
 وَهُمْ بِأَمْرِ ثُمَّ أَرْمَعَ غَيْرُهُ وَإِنْ ضَاقَ رِزْقٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعُ
 وَعَارَضَ أَطْرَافَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ رَجَاعُ غَدِيرِ هَزَّةِ الرِّيحِ رَائِعُ

وَأَخْرَجَ فِي الذَّنْبِ

فَقُلْتُ تَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ نَائِمٍ إِلَى مُسْتَقِيلٍ بِالْحَبَابَةِ أَنْبِيَا
 بَعِيدُ الْمَطَافِ لَا يُبِيدُ عَلَى الْعَنَاءِ وَلَا يَأْتِي مَا اسْتَطَاعَ إِلَّا تَكْسِبَا

معنى - أنيب - غلبت الباب - لأنام إليه - أي لا أني به من ذلك استعنت إلى فلان
 إذا لم تأت إليه . . ومعنى - لا يبسد على العناء - أي لا يلتئم مطما وهو شعبان
 . . ولحميد بن ثور في الذئب

فَطَلَّ بِرَاعِي الْجَيْشِ حَتَّى أَفْيَيْتُ خُبَاشٌ وَحَالَتْ دُونَهُنَّ الْأَجَارِعُ
 إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَاةَ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ^(١)

[١] قوله - رأيت غياة - الخ . . النياية بفتح الفين المعجمة وبياتين آخر الحروف
 (١٦ - إلى رابع)

خَفِيفُ الْعِمَا إِلَّا مَصِيرًا بَيْلَهُ دَمُ الْجَوْفِ أَوْ سَوْرٌ مِنَ الْحَوْشِ نَافِعٌ
هُوَ الْبَعْلُ الَّذِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي لَهُ صُحْبَةٌ وَهُوَ السَّدُّ الْمُنَارِعُ
يَتَأَمُّ بِأَحَدِي مَقْلَبِيهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْمَنَابِقُ بِقَطَانٍ هَاجِعٌ^(١)

تخففتين وهي كل شيء أثقل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والفترة والطامة ونحو ذلك
[١] قوله - يتأمن بأحدى مقلبي - الخ يتأمن غير مبتدأ محذوف أي هو يتأمن والباء
في بأحدى يتعلق به .. وقوله يتقى عطف على قوله يتأمن وبأخرى يتعلق به والتاليان معول
يتقى ويروي ويتقى بأخرى الأماضي .. وقوله فهو مبتدأ وقوله يقطان خبره وهاجع
خبر بعد خبر ويروي يقطان تأني لكونه يخالف أبيات القصيدة فالتعني هو حذر أو هو
هاجع بين البقعة والمجموع .. والأبيات من قصيدة أولها

إذا نال من بهم التخيصة غرة على غفلة فيما يرى وهو طالع
تقوم ولو كان أينما أفرحت به إذا حب أرواح الشتاء الزمازع
فقامت تعنى ساعة أمان عليها من الدهر قاسمها الكلاب الطوالع
وأنة لمشكت وهو أطعمه مثال إلى الأرض متى إليه الأكارع
طوي البطن الأمان مصير بيله دم الجوف أوسور من الحوش نافع
تري طريقه بسلامت علاما كما اهتر عود الشيعة المتتابع
إذا خاف جوراً من مدور من به قصائبه والجباب المتواسع
وإن بات وحشاً ليلة لم يسق بها فزانا ولم يصيح بها وهو غاشع
ويسرى لساعات من الليل فرة بهاب السرى فيها الخاضع التوازع
وإن حدود أرض عليه فاته يعزة أخرى طيب النفس قانع
يتأمن بأحدى مقلبي ويتقى بأخرى للتأني فهو يقطان هاجع
إذا قام التي بوجه قدر طوله ومسد منه صلبه وهو تابع
وفكك حبه فلما أعادها صأى ثم أقى والبلاد يلاقع
إذا ما غدي يوماً وأيت غياينة من الطير ينظر الذي هو صانع

هكذا أورد بعض الرواة هذه القصيدة وبعضها مدرج في قصيدة ابن علقمة الفزاري
وابن علقمة متأخر عن حيد بن ثور رضي الله عنه

وصف ذنباً يتبع الجبش طمعا في أن يخلف رجلا يب عليه لأنه من بين السباع
لا يرغب في القتلى ولا يكاد يأكل إلا ما قرسه وخباش - اسم غصبة^(١) .. وقال بعضهم
وليس يعرفون أن خباش اسم من أسماء الشمس وأخبر أن الطير تبعه لتصيب غائلا
- والصبر - المعاء^(٢) - والبعل - الدهش

مجلس آخر ٧٠

[تأويل آية] .. أن سأل سائل عن قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكه
ربه) أي قوله (وأنا أول المؤمنين) .. وقال ماثكرون من أن تكون هذه الآية دالة
على جواز الرؤية عليه جل وعلا لأنها لو لم تخبر لم يسألها موسى عليه السلام كما لا يجوز
أن يسأل اتحاد العاصية والولد ولو كانت الرؤية أيضاً مستحيلة لم يعاقبها بأمر يصح
أن يقع وهو استقرار الجبل وإذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه فوجب أن
تكون الرؤية أيضاً صحيحة في حكم ما علق به .. وقوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل)
يعتني جواز الحجاب عليه تعالى لأن التجلي هو الظهور وما لا يكتون إلا بعد
الاحتجاب والاستتار .. الجواب قلنا أول ما نقوله أنه ليس في مشقة التي دلالة على
صحة وقوعه ولا جوازه لأن السائل قد سأل عن الصحيح والحال مع العلم وفقد العلم
[١] قوله - وخباش اسم غصبة وليس يعرفون أن خباش اسم من أسماء الشمس
.. قلت لم تعقب على أحد هذين التفسيرين لغيره وذكر ياقوت في المعجم أن خباشة بالخاء
للهمة سوق من أسواق العرب في الجاهلية وفيه أيضاً في باب الخاء للمعجمة خباش نخل
لبنى يشكر بالجماعة

[٢] قوله - والصبر المعاء ووزنه فعيل والجمع مصران مثل رغيف ورقفات
والصاوين جمع الجمع وأبيه أصلية .. وقال بعضهم مصير إنما هو مفعول من صار إليه
الطعام وإنما قالوا مصران كما قالوا في سيل الماء مسلان شبهوا مفعلاً بفعل .. وقوله - نافع -
بالنون من تقع الماء العطش تقوفاً أي سكنه

والاغراض مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولا محاباتها عن هذه المسئلة أجوبة . . منها وهو الأول والأقوي أن يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سأله لقومه فقد روى أنهم طلبوا ذلك منه والخوف فاجلبهم بانها لا تجوز عليه تعالى فلم يمتنعوا بجوابه وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم ذلك وغلب في ظنه أن الجواب اذا ورد من جهته جل وعز كان أحسن للشبهة وأبلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بحضور منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل وأجيب بما يدل على أن الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب أشياء . . منها قوله تعالى (يثلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) الآية . . ومنها قوله تعالى (واذ قلتم يا موسى إن نؤمن لك حتى ترى الله جبهة) الآية . . ومنها قوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة قال رب) الآية لأن إضافة ذلك الى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجهلهم ولا أنهم سألوا ما لا يجوز عليه تعالى . . ومنها ذكر الجبهة في الرؤية وهي لا تليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري على ما ستذكره في الجواب الثاني . . ومنها قوله (انظر اليك) لأننا اذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يحمل قوله انظر اليك على حقيقته واذا حملت الآية على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام ويصير تقديره أرني انظر الى الآيات التي عندها أمرك ضرورة . . ويمكن في هذا الوجه الاخير خاصة أن يقال اذا كان المذهب الصحيح عنكم هو ان النظر على الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالى انظر اليك حقيقة في جواب من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه . . فان قلتم لا يمنع أن يكونوا التمسوا الرؤية التي يكون معها النظر والتعديق الى الجهة فسأل عليه الصلاة والسلام على حسب ما طلبوا . . قبله لكم هذا يتضح فرقكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضيه الجسمانية بان تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لأن الشك الذي لا يمنع من معرفة حجة السمع إنما هو في الرؤية التي لا يكون معها انظر فلا يقتضي التشبيه . . فان قلتم الذي يمنع من معرفة السمع إنما يحمل ذكر النظر

فيه على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لأن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه . . قلنا فكأنكم عدلتم من مجاز الى مجاز فلا قوة في هذا الوجه والوجه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى وليس لاحد أن يقول لو كان عليه الصلاة والسلام إنما سأل الرؤية لقومه لم يضاف السؤال الى نفسه فيقول أرني انظر اليك ولا كان الجواب مختصاً به وهو قوله تعالى (لن تراني) وذلك لأنه غير ممنوع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع أن المسئلة كانت من أجل الغير إذ كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة . . فلماذا يقول أحدنا اذا شفع في حاجة غيره لا مشفوع اليه أسئلك أن تفعل في كذا وكذا ونحییق الي كذا وكذا ويحسن أن يقول المشفوع اليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وإنما حسن هذا لأن السائل في المسئلة اغراضاً وان رجعت الى الغير فتحقق بها وتكلفه كشكفه اذا اختصه ولم يبعده . . فان قيل كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسماً وما أشبهه حتى شكوا فيه . . قلنا إنما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سأل عنه لأن مع الشك في جواز الرؤية التي لا يقتضي كونه جسماً يمكن معرفة السمع وأنه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في تحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم . . وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالاته عليه وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك سلباً للكافرين في الدين وان ورود الجواب يكون لطفاً لهم في النظر في الادلة وإصابة الحق منها غير أن من أجاب بذلك شرط أن يبين في مسئلة علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً . . والجواب الثاني في الآية أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يعلم نفسه ضرورة بانظار بعض أعلام الآخرة التي تنسطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخفف المحنة عليه بذلك كما سأل

ابراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى طلباً للتخفيف عليه بذلك وإن كان قد صرف ذلك قبل أن يراه والسؤال أن وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية تعبد العلم كما يفيد الادراك بالبصر وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به فقال له جلد وعن (إن تراني) أي إن تلمني على هذا الوجه الذي التفتته في ثم أكد تعالى ذلك بأن أظهر في الجبل من آياته ومعجائبه ما دل به على أن اظهار ما تقوم به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وسبيله لا يجوز وأن الحكمة تمنع منه... والوجه الأول أولي لما ذكرناه من الوجوه ولأنه لا يخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكاً في أن للمعرفة ضرورية لا تمنع حصولها في الدنيا أو علماً بذلك فإن كان شاكاً فهذا مما لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الشك فيها يرجع إلى أصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم سلام الله عليهم لاسيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة ببعض أمنهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا أبلغ في التفتير عنهم من كل شيء يمنع منهم وأن كان علماً فلا وجه لسؤاله إلا أن يقال أنه سأل لقومه فيعود إلى معنى الجواب الأول... والجواب الثالث في الآية ما حكى عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال يجوز أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسأله ذلك كان شاكاً في جواز الرؤية على الله تعالى لسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا قال وليس شك في ذلك بما منع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شك في جواز الرؤية على بعض ملا يرى من الاعراض في أنه غير محلي بما يحتاج إليه في معرفته تعالى... قال ولا يمنع أن يكون غلظه في ذلك ذنباً صغيراً وتكون التوبة الواقعة منه لأجل ذلك وهذا الجواب بعيد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبهاً وإن كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فإن الشك في ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بشوا إليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون الذي صلى الله عليه وسلم شاكاً فيه وغيره عارفاً به مع رجوعه إلى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وهذا أقوى في التفتير وأزيد على كل ماوجب أن يجنبه الأنبياء عليهم السلام... فإن قيل فمن أي شيء كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين... قلنا أما من ذهب إلى أن

المسئلة كانت لقومه فإنه يقول إنما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه فلم يؤذن له فيه وإيس الأنبياء ذلك لأنه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون تركاجابهم إليه منفراً عنهم ومن ذهب إلى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول أنه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم والأولى أن يقال في توبته عليه الصلاة والسلام أنه ليس في الآية ما يقتضي أن تكون التوبة وقعت من المسئلة أو من أمر يرجع اليها وقد يجوز أن يكون ذلك منه إما لذنوب صغير تقدم تلك الحال أو لعدم التوبة فلا يرجع إلى سؤال الله تعالى الرؤيا أو ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى واظهار الانقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب صغير وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضافاً إلى ما قلناه من مآلها وتوقفاً على ما استعمله ودعوى به عند الشدائد ونزول الاحوال وتنبية القوم الخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فإن الأنبياء عليهم السلام وإن لم يقع منهم القبيح عندما فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع ذلك عنه إلى التوبة من الاستقالة... فاما قوله تعالى (فلما تحلى ربه للجبل) فإن التحلى هنا هو التعريف والاعلام والاطهار لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام جلي أي واضح طاهر وكقول الشاعر

تجلى لنا بالمشرفة والقنا وقد كان عن وقع الأسنة نائياً

أراد أن تدبره دل عليه حتى علم أنه المدبر له وإن كان نائياً عن وقع الاسنة فأقام ما ظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلى منه... وفي قوله تعالى للجبل وجهان... أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى (واسأل القرية... وما بكت عليهم السماء والارض) وقد عارضنا بما أظهره من الآيات إنما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالى غير جائزة... والوجه الآخر أن يكون المعنى للجبل أي بالجبل فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي به وكما يقول أخذتكم لجرمكم أي بجرمكم ولما كانت الآية الدالة على منع ما مثل فيه إنما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف التجلي إليه وقد استدل

بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفي الرؤية
تقياً لما يقوله تعالى (لن تراني) ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي
علينا أنه لم يستقر وهذه طريقة للعرب معروفة في تهديد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم
أنه لا يكون كقولهم لا نلتك ما شاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ رَجَوْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْغَيْرُ كَالْبَيْنِ الْخَلِيبِ

وما يجري هذا الجري قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)
وليس لأحد أن يقول إذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعالى
فيجب أن تكون الرؤية معلقة به أيضاً في مقدوره تعالى بأنه لو كان الغرض بذلك التبعيد
لعلقه بأمر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بأمر يستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط
وذلك أن تشبيه الشيء بغيره لا يجب أن يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية
باستقرار الجبل وقد علم أنه لا يستقر علم أن الرؤية وما عدا ذلك من ككون الرؤية
مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها خارج عن ماهو الغرض في التشبيه
على أنه لما علق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكاً
وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين يجري جواز الرؤية في الاستحالة وليس
يجب في كل معلق بغيره أن يجري مجراه في سائر وجوهه حتى إذا كان أحدهما مع انتفاء
مستحيلاً كان الآخر بمثابة مستحيلاً لأن تعليق دخول الكفار الجنة إنما علق بولوج
الجمل في سم الخياط ودخول الكفار الجنة لم يكن مستحيلاً بل معلوم أن الأول في
المقدور وإن كان لا يجب والثاني ليس فيه المقدور وهذه الجملة كافية في تأويل هذه الآية
وبيان ما فيها والحمد لله وحده

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وأني لاستجيد قول أبي العاص بن خزام
ابن عبد الله بن قتادة المازني

وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ قَدْ بَانَ عَنِّي رَمِيتُ بِفَقْدِهِ وَهُوَ الْحَيِّبُ
فَلَمْ أَبْدِ الَّذِي تَحْتَوِ ضُلُوعِي عَلَيْهِ وَإِنِّي لَأَنَا الْكَثِيبُ

خَافَةَ أَنْ يَرَانِي مُسْتَكِينًا عَدُوٌّ لَا يُشَابُهُ قَرِيبُ
فِيَسْمَتَ كَاشِحٍ وَيَظُنُّ أَنِّي جَزُوعٌ عِنْدَ نَائِبَةِ تَنُوبُ
فَبَعْدَكَ شَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طَرَفًا إِلَيَّ وَزَابَنِي دَهْرٌ مُرِيبُ
معنى - شدت الأعداء طرفاً أي نظرت إلى نظراً شديداً فظهر الغضب من عيونها
وَأَتَكَّرْتُ الزَّمَانَ وَكُلُّ أَهْلِي وَهَرَّتَنِي لَقِيَّتِكَ السَّكَلِبُ

يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد

وَكُنْتُ تَقَطُّعُ الْأَبْصَارُ دُونِي وَإِنْ وَغَرَّتْ مِنَ الْغَيْظِ الْقُلُوبُ
وَيَسْتَعْنِي مِنَ الْأَعْدَاءِ أَنِّي وَإِنْ رَغَمُوا لَمْخَشِي مَهِيبُ
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ يَوْمِكَ كَانَ يَوْمًا بَدَتْ فِيهِ النُّجُومُ فَمَا تَغِيبُ
وَلَيْلٍ مَا أَنَامُ بِهِ طَوِيلٍ كَأَنِّي لِلنُّجُومِ بِهِ رَقِيبُ
وَمَا يَكُ جَائِئِيَا لَا بُدَّ مِنْهُ إِلَيْكَ فَسَوْفَ تَجْلِبُهُ الْجُلُوبُ

مجلس آخر ٧١

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها)
إلى قوله (تعلقون) .. فقال كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكر البقرة والأمر بذبحها وقد
كان ينبغي أن يتقدمه لأنه إنما أمر الله تعالى بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل فكيف
أمر تعالى ذكر السبب عن المسبب وبني الكلام بناء يقتضي أنه كان بعده ولم قال تعالى
(واذ قتلتم نفساً) والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة
بالقتل والقاتل بينها واحد وإلى أي شيء وقعت الإشارة بقوله تعالى (كذلك يحيى الله
الموتى) .. الجواب قيل له أما قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً) ففيه وجهان .. أولهما أن
تكون هذه الآية وإن تأخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة
ويكون التأويل واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فسأتم موسى عليه السلام فقال لكم ان الله
(١٧ - أمالي رابع)

بأمرهم أن يذبحوا بقرة فأخر المقدم وقدم المؤخر .. ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير .. ومثله (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قبيحاً) .. وقال الشاعر
 إِنَّ الْفَرْزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ ^(١)

أراد طالت الأوعال فليس تنالها .. ومثله

طَالَفَ الْخَيَالُ وَأَيَّنَ مِنْكَ لِمَامَا فَأَرْجَعَ لِرَوْثِكَ بِالسَّلَامِ سَلَامَا

أراد طالاف الخيال فلما وأين منك لماما .. والوجه الثاني أن يكون وجه تأخير قوله تعالى (وأذ قتلتم نفساً) أنه معلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله

(١) قوله .. طالت فليس تنالها الأوعال .. أي طالت الأوعال يعني فاقها في الطول يقال طال فلان فهو طويل وقيل على وزن فعل بضم العين تجيء الوصفة منه على فعليل وهو لازم .. وأما قولهم إن بشرأ قد طلع العين ورجحك الدخول فأنما ما ضمنا معنى بلغ العين ووسمكم الدخول وأما طاله ففعل بالفتح ولا يكون بالقسم لأن فعله لا يتعدى كما تقدم والبيت من هذا النوع قال سيدي أحمد تحت الرواف في طويل لأنه لم يجيء على الفعل لأنك لو بنيت على الفعل قلت طائل وأما هو كفعيل يعني به مفعول وقد جاء على الأصل فاعل فعله نحو غيوط فمسداً أجدر .. قال وأما تحت الرواف في طوال اصحبها في الواحد فتوال من طويل كوار من حاورت والبيت لسبيح بن رباح الزنجي ويقال وراح بن سبيح قاله حين غضب لما قال جرير في الفرزدق

لا تطلبن خؤولة من تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

فقال سبيح أو رباح

الزنج لو لا قيتهم في صفهم لا قيت ثم جعاجعاً أبطالا

مابل كلب بن كليب سبنا أن لم يوازن حاجباً وعقلا

ان الفرزدق صخرة عادية الخ .. وبعض الرواة ينسب للأخطال ويدخله في قصيدته

التي يهجو بها جريراً ومطلعها

كذبك عينك أم رأيت بواسط غاس الظلام من الرباب خيالاً

وفلان غامل

البقرة إنما هو بعد الذبح فكأنه تعالى قال (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لأنكم قتلتم نفساً فاذارأتم فيها) فأنما كم بأن تضربوه ببعضها لينكشف أمره فلما إخراج الخطاب تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) لأن الأمر بضرب المقتول ببعض يخرج ما يتوجه إلى الجميع مع أن القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء والأجداد وخطاب المشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم قتل بنو نعيم كذا وقتل بنو فلان فلاناً وإن كان القاتل والفاعل واحداً من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي وأبي العباس نعلب فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في وصفهم وأمدح لهم إذا قاتلوا وقتلوا بعد أن يقتل بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم .. وقد قيل أنه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لما كان الخطاب جرى عليهما بلغظ الجمع كما قال تعالى (وكنا لحكمهم شاهدين) يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الأول أولى وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان واحداً .. ومعنى (فاذارأتم) فندارأتم أي ندافعهم وأتى بعضهم القتيل على بعض يقتل دارأتم فلاناً إذا دافقته وداريته إذا لاينته وداريته إذا خلته ويقال أدرا القوم إذا تدافعوا والهاء في قوله فاذارأتم فيها تعود إلى النفس .. وقيل أنها تعود على القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن قتلتم يدل على المصدر والقتلة من المصادر تدل عليها الأفعال ورجوع الهاء إلى النفس أولى وأشبه بالظاهر .. فلما قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) فالإشارة وقعت إلى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضائه البقرة لأنه روي أنه قام حياً وأوداجه تشعب دما فقال قتلى فلان ونبه الله تعالى بسند الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما أنكروه مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الأموات لأنهم قالوا إذا كنا عظاماً ورفاتاً الآية فأنبهم الله تعالى بأن الذي أنكروه واستبعدوه هين عليه غير متعذر في إتساع قدرته وكان مما ضرب تعالى لهم من الأمثال ونبيههم عليه من الأدلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حياً وأراد تعالى أني إذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة وبأس قومه من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم وردذته حياً خاطباً

باسم قائله فكذلك فاعلموا ان احياء جميع الاموات عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر
علي وهذا بين لمن تأمله . [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن الشعر المشهور
بالجودة في ذم الدنيا والنزك كبر بصانها قول نسي بن جري يرثي أخاه مالكا

ذَكَرْتُ أَخِي الْخَوَلُ بَعْدَ بَاسٍ فَهَاجَ عَلَيَّ ذِكْرُهُ أَشْتِيَاقِي
فَلَا أَتَى أَخِي مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِخْوَانِي بِأَقْرَبَةِ الْعِتَاقِي
يَجْرُونَ الْفِصَالِ عَلَى الْغَدَايِ بُرُوقُ الْحُزْنِ مِنْ كَتَفِي إِبَاقِي
وَيَمْلُونَ السَّيَاءَ إِذَا أَتَوْهُ بِضَمْرِ الْخَيْلِ وَالشَّوْلِ الْخِفَاقِي
إِذَا اتَّصَلُوا وَقَالُوا يَا آلَ غَوْتٍ وَرَاحُوا فِي الْمُجَبَّرَةِ الرَّفَاقِي
أَجَابَكَ كُلُّ أَزْوَجٍ شَمْرِي رَخِيَ الْبَالُ مِنْطَلِقِ الْخِفَاقِي
أَنَسُ صَالِحُونَ نَشَأَتْ فِيهِمْ فَأَدُوا بَعْدَ الْإِفِّ وَالْإِسَاقِي
مَضَوْا السَّبِيلَ وَلَبِثُ عَنْهُمْ وَلَكِنْ لَا مَحَالَةَ مِنْ لَعَاقِي
كَذَا الْإِلَفِّ الَّذِي أَذْلَجَنِي عَنْهُ فَجِنِّ وَلَا يَتَوَقَّ إِلَى مَتَاقِي
أَرَى الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَمِيتُ فِيهَا مَوْلِيَةً نَبِيًّا لِلْإِنْفِلَاقِي
أَعَاذِلُ قَدْ بَقِيَتْ بَقَاءُ قَيْسٍ وَمَا حَيَّ عَلَى الدُّنْيَا بِيَاقِي
كَأَنَّ الشَّيْبَ وَالْأَحْدَاثَ تَجْرِي إِلَى نَفْسِ الْقَتْلِ فَرَسًا سَبَاقِي
فَإِمَّا الشَّيْبُ يَدْرِكُهُ وَإِمَّا يَلَاقِي حَتْفَهُ فِيمَا يَلَاقِي
فَإِنَّ تِلْكَ لَتَنِي بِالشَّيْبِ أُمِيتُ شَيْطَ الْأَوْنِ وَاصِحَةَ الْمَسَاقِي
فَقَدْ أَغْدُو بِدَاجِيَةِ أَرَايِ بِهَا الْمُتَطَاعَاتِ مِنَ الرُّوَاقِي
إِلَى كَأَنِّي ظَبَاءُ قَهْرٍ بَرَهِي أَوْ يَبَاعِجِي فِتَاقِي

(١) - سهرقي - فتح أوله وسكون نايه وبعد الهاء بلام واحدة خبرا في الصمان في ديار بني تميم

يُرَاهُ مَنَ الْجِبَالِ بِمَقَرِّ وَصَلٍ وَلَيْسَ جِبَالُ وَصَلِي بِالرِّمَاقِي
وَعَهْدُ الْغَايَاتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ وَقَتُّ عَنْهُ الْجَمَاعُ ثَلُ مَسْتَدَاقِي
كَجَلْبِ السُّوءِ يُغَيِّبُ مَنْ رَأَاهُ وَلَا يَشْفِي الْحَوَائِمَ مِنْ لَمَاقِي
فَلَا يَبْعُدُ مَصَابِي فِي الْمَوَاقِي وَإِشْرَافُ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَصْفَاقِي
وَعَبْرَةُ الْقَتَامِ جَلَوْتُ عَنِّي بِمَجْلَى الطَّرْفِ سَالِمَةِ الْمَاقِي
وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى سَمِعْتُ النَّصْبَ بِالْقَلْبِ الْعِتَاقِي
وَكَمْ قَاسَيْتُ مِنْ سَنَةِ جَمَادٍ تَمَضُّ الْأَحْمَ . أَدُونِ الْعِرَاقِي
إِذَا أَفْنَيْتَهَا بَدَلْتُ أُخْرَى أَعْدُ شُهُورَهَا عَدَّ الْأَوَاقِي
وَأَفْنَيْتَنِي الشُّهُورُ وَلَيْسَ تَفْنِي وَتَعْدَادُ الْأَهْلَةِ وَالْمَحَاقِي
وَمَا سَبَقَ الْحَوَادِثُ لَيْتُ غَابَ يَجْرِي لِعِزِّهِ جُزُرُ الرَّفَاقِي
وَلَا يَطْلُ لَعَادِي الْخَيْلُ مِنْهُ فِرَارَ الطَّيْرِ مِنْ بَرْدِ الْبَاقِي

وأحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله

يَا بَكْرُ مَا رَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا أَتَكَرُّوا إِلَّا وَلِلدَّوْتِ فِي آثَارِهِمْ حَادِي
يَا كَعْبُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا تَقَرَّبُ أَجَالًا لِمَعَادِي

ولأي الصنافية في هذا المعنى

إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي مِنَ الْعَيْشِ مُدَّتِي فَإِنَّ بُكَاءَ الْبَاكِاتِ قَلِيلُ
سَيَعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي وَتَنَسَّى وَدَّتِي وَيَتَحَدَّثُ بِمُدَى الْخَلِيلِ الْخَلِيلُ
أَجَلُكَ قَوْمٌ حِينَ صُرْتُ إِلَى الْغِنَا وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعِيُونِ جَلِيلُ

وليس الغنا إلا غنى زين الفتى
ولم يفتقر يوماً وإن كان معدداً
إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبته
أرى علل الدنيا على كثرة
والتي وإن أصبحت بالموت موقناً
على أمل دون اليقين طويلاً

وقد أحسن البحترى في قوله في هذا المعنى

أخي متى خاصمت نفسك فاحشده
أرى علل الأشياء متى ولا أرى السجع إلا علة للفرق
أرى العيش ظلاً وثلك الشمس قلة

فكسر في ابتداء العيش كيك أو في
أرى الدهر غولاً للثوب وإثنا
فلا تتبع الماضي سؤالك لم أغني
ولم أرك الدنيا خليفة صاحب
تراها عنايا وهي صنعة واحد
فحسبها صنفاً لطيف وأخرق

• • وقد قيل إن السبب في خروج البحترى من بغداد في آخر أيامه كان هذه الأبيات
لأن بعض أعدائه شفع عليه بأنه شوى من حيث قال فتعصبها صنفاً لطيف وأخرق
وكانت العامة حينئذ غالبية على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه أبي الفوت قم يا بني حتى
نعافى عنا هذه الشائنة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود بفرج ولم يعد • • وأحسن
أيضاً غاية الاحسان في قوله

أغنى الخطوب فلماً جئن ماري
فيما أسير أو أحكمنا تأدي

إن تلتبس تمر أخلاف الخطوب وإن

تلبث مع الدهر تسمع بالأعاجيب^(١)

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي ومطلعها

أنا ركي أنت أم مفرى بتعدي ولأنى في الهوى إن كان يزري بي
عمر الغواني لقديين من كذب هضيمة في محب غير محبوب
إذا مددنا إلى أعراضه سيباً وقين من كرهه الشبان بالشيب
أمقلت بك من زهد المومنين من مرهق بواذى الشيب مقروب
يخون به من أعاليه على أود حنوا لثفاف جرى فوق الأنايب
أم هل مع الحب حلم لا تسفه صباة أو عزاء غير مغلوب
قضيت من طلي للقائيات وقد شأوني حاجة في نفس يعقوب
لم أركلنر الاغفال ساعة من الحبايق لم تحفظ من الذيب
وأريد القطار بلفاك السراب به بعد التريض مبيض الجلايب

أغنى الخطوب • • البيتان وبسدهما

ومنها
ألى أين جعفر خاضت ركائنا
خطار كل مهول الخرق مرهوب
نوط آمالنا منه على ملك
مردد في صريح الجد ملسوب
تحتضن الباب أما آذن النقرى
أو فانت لميون الوفد محجوب
ومنها
خلائق كسوار المزن موفية
على البلاد بتصبيح وتأويب
يتهمن بالقلل لا تعطى النهوش به
أعناق مجفرة الهوج الهراجيب
في كل أرض وقوم من سعائيه
أسكوب عارفة من بعد أسكوب
لم بث في حاضر النهرين من فقل
ملقي على حاضر النهرين مصبوب
يلاً أفواه مداحيه من حسب
على السماكين والسرير مسعوب
نلقى إليه المعالي قصد أوجهها
كالبيت يقصد أماً بالحجابيب
معطي من الجد مزداداً برغبته
يجرى على سنن منه وأسلوب

وفي قوله

مَنْ تَسْتَرْزِقُ فَضْلاً مِنَ الْعَمْرِ تَعْرِفُ بِسَجْدَتِكَ مِنْ شَهِدِ الْخُطُوبِ وَصَاحِبِهَا
تَشِدُّ بِنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَمْعِهَا وَغَوْلُ الْأَفَاعِي لَهُ مِنْ لُعَابِهَا
يُسَرُّ بِعُمَرَانِ الدِّيَارِ مُضَلَّلُ وَعُمَرَانُا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ يَحْيِهَا وَكَيْفَ أَرْضَائِهَا أَوْ أَنْ ذَهَابِهَا
أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ مِنَ الدَّهْرِ زَاغٍ مِنْ تَخَيَّرُ آرَاءَ الْحَجِيِّ وَاتَّخَايَهَا
سَيِّدِيكَ أَوْ يَتُوكَ أَنْكَ مَحَلْسُ إِلَى شَقَّةٍ يُبْكِيكَ مِنْ بَعْدِ مَا يَبَا
وَهَلْ أَنْتَ مِنْ مَرْمُوسَةٍ طَالَ أَخْذُهَا مِنَ الْأَرْضِ الْأَحْفَنَةِ مِنْ تَرَابِهَا^(١)

كالمعين منومة بالحسن تبعه والأثف يتبع أعلى منتهى العليب
ما آفك منتضياً في قرى ووغى على الكواهل تدمي والعرايق
قد سرفني برحجل من عداوته بعد الذي اختبطت من سطوة الماوب
ساروا مع الناس حيث الناس أزفلة في جودهم من مردوس ومربوب
ولو تناهت بنو شيبان عنه إذا لم ينجسوا وقع ذي حدين مذروب
ما زادها الثغر منه غير تعرية وبعدها من رضاء غير ثيب
(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها صاعدا ومطالعها

معاد من الأيام تعديتنا بها وإبعادها بالالف بعد اقترابها
وما تملأ الآفاق من فيض غيرة وليس الهوى البادي لفيض انكسارها
غوى رأى نفس لا ترى أن وجدها بتلك القواني شقة من عذابها
وحظك من ليلى ولا حظ عندنا سوي صدها من غادة واجتبابها
يفات من تأليف شعبي وشعبها تنامي شبابي وابتداء شبابها
هم الناس إلا أن شمساً تكشفت بعصرها وانها في شبابها

• • وجدت الآمدى يروى هذا البيت أنك محبس بالباء • • وتفسير ذلك أن المعنى أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا من قولك أحببت فرساً في سبيل الله وأحبست داري أي وقفها والرواية المشهورة أنك محبس باللام^(١) • • والمعنى أنك منتهى لا للرحيل ومتخذ حلياً بوضع تحت الرجل وهذا أشبه بالمعنى الذي قصده البعترى وأولى بأن يختاره مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه

مجلس آخر ٧٢

[تأويل آية] • • ان سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) إلى قوله (تعالى الله عما يشركون) • • فقال ليس ظاهر هذه الآية يقتضى جواز الشرك بالله على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله تعالى (جعلناه شركاء فيما آتاهما) يرجع اليهما • • الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحواء عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله تعالى (هو الذي خلقكم) ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد آدم عليه السلام في قوله (فلما آتاهما صالحاً) وأراد بالصلاح الاستواء في الاعضاء والمعنى فلما آتاهما ولدأ صالحاً والمراد بهذا المجلس دون الواحد وان كان اللفظ لفظ وحدة والمعنى فلما آتاهما جنساً من الاولاد صالحين • • وإذا كان الامر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله تعالى (جعلناه شركاء) إلى ولدهما وقد تقدم ذكرهم • • فان قيل إنما وجب رده إلى آدم وحواء عليهما السلام لأجل الثبوتية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا ذكرهما عليهما السلام • • قلنا ان جعلنا هذا ترجيحاً في رجوعه اليهما جاز أيضاً أن يجعل قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون)

[١] - قلت والبيت في ديوان شعره

سيدريك أو يتوك أنك محلس إلى شقة بيليك بعد ما يبا

(١٨ - أمالي رابع)

وجهاً مقرباً لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز أيضاً أن يكون أشار في التثنية الى الذكور والاناث من ولد آدم عليه السلام والي جاسين منهم خسلت التثنية لذلك على أنه اذا تقدم في الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الاحكام وعلم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب وده الى الآخر .. واذا علمنا أن آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجوز عود الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولد آدم عليه السلام .. وذكر أبو علي الجبائي في هذا ما نحن نورده على وجهه .. قال انما عني بهذا ان الله تعالى خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الاضمار في قوله تعالى خلقكم انما عني به بني آدم عليه السلام والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لأنه خلق حواء من آدم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ويقال من طيبته فرجعوا جميعاً الى أصلهم خلقوا من آدم عليه السلام .. وبين ذلك بقوله تعالى (وخلق منها زوجها) لأنه عني به انه خلق من هذا النفس زوجها وزوجها هي حواء عليها السلام .. وعني بقوله تعالى (فلما تشاها حملت حملاً خفيفاً) وحملها هو حملها منه في ابتداء الحمل لأنه في ذلك الوقت خفيف عليها .. ومعنى قوله تعالى (ففرت به) ان سرورها بهذا الحمل في ذلك الوقت وتصرفها به كان عليها سهلاً خفيفاً فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله تعالى (أثقلت دعوا الله) فثقل عليها عند ذلك للثني والحركة .. وعني بقوله تعالى (دعوا الله ربهما) انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتينا يارب اسلاً صالحاً لنكونن من الشاكرين لنعمتكم علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد تؤلسهما في الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين اذا غاب أحدهما بقي الآخر مستوحشاً بلا مؤنس فلما آتاها نسل صالحاً معافي وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لها لأن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى فقال انها ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد .. وعني بقوله تعالى (فلما آتاها صالحاً جمالاه شركاء فيما آتاها) أي إن هذا النسل الصالح الذي هم ذكر وأنثى جمالاه شركاء فيما آتاها من نعمة وأضاف بعد تلك التسمية الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والاورثان ولم يعن بقوله تعالى جمالاً آدم وحواء عليهما السلام لأن آدم لا يجوز عليه

الشرك لأنه بُني من أنبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن ينق أحدنا بما يؤديه النبي عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى عز وجل لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يؤخذ بأخباره فصيح بهذا ان الاضمار في قوله تعالى (جمالاه شركاء) انما يعني به النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لأنهم كانوا ذكراً وأنثى فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل تعالى الاخبار عنهما كالأخبار عن الاثنين اذ كانا صنفين .. وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون) فيمن عز وجل ان الذين جعلوا لله شركاءهم جماعة فلم يزلوا يعمل لضمائرهم لضمائر الجماعة فقال تعالى يشركون مضي كلام أبي علي .. وقد قيل في قوله تعالى (فلما آتاها صالحاً) مضافاً الى الوجه المتقدم الذي هو انه أراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو انه لو أراد الصلاح في الدين لكان الكلام أيضاً مستقيماً لأن الصالح في الدين قد يجوز أن يكفر بقدر صلاحه فيكون في حال صالحاً وفي أخرى مشركاً وهذا لا يتنافى .. وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب الي غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواء ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم عليه السلام وحواء عليها السلام الى ولدهما بقوله تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لنؤمنوا بالله ورسوله) فانصرف عن مخاطبة الرسول الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال (وتزروه وتوقروه) يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ثم قال (وتسبحوه) وهو يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل ببعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلي

يَا لَيْفَ تَقْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَيَبَاضُ وَجْهَكَ لِاتِّرَابِ الْأَعْفَرِ
وَلَمْ يَقُلْ وَيَبَاضُ وَجْهَهُ .. وقال كثير
أَسِيحِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِمَلُومَةٍ لَدَيْنَا وَلَا مَقِيلَةَ إِن تَقَلَّتْ^(١)

(١) قوله - أسوي - بنا أو أحسن - أورده صاحب الكشف عند قوله تعالى (اتفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبله منكم) على تساوي الاتفاقين في عدم القبول كما

خطاب ثم ترك الخطاب .. وقال آخر

فدي لك يا فتى وجميع أهلي وما لي إنني منه أناني

سأوى كثير بين الاحسان والاساءة في عدم القوم والشك في مثل ذلك الظاهر لقي تفاوت الحال بتفاوت فعل الخطاب كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أهمل العمل ومقلية بمعنى مبيعة من القلي وهو البغض .. والبيت من قصيدته المشهورة .. روي أن عبد الملك سأله عن أعجب خبر له مع عزة فقال يأمر المؤمنين حبوت سنة وحج زوج عزة معها ولم يعلم أحداً بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بإتياع سمن تسليح به فلما دارقته جعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلى وهي لا تعلم أنها غيمي وكنت أرى سوماً فلما رأيتها جعلت أبري حتى وألظ البها حتى برمت ذراعاً وأنا لا أعلم به والد ثم يجري فلما علمت ذلك دخلت إلى فاسكت يدي وجعلت تمسح الدم يثوبها وكان عندي نهي سمن حلفت أنأخذه فأخذه وساء زوجها فلما رأي الدم سألها عن خبره فكانت حتى حلفت عليها لتصدقته فصدقته فضرها وحلف عليها لتشتري فوجس فوقفت على وقالت لي وهي تبكي أين الزانية ومطلع القصيدة

خليل هذا ربيع عزة فاعقلا
ومساربا كان قد من جلدنا
ولا نياساً أن يحسب الله هنكنا
وما كنت أدري قبل عزة ما ليكي
وقد حلفت جهداً بما نعت له
أناديك ما حج الطعيج وكبرت
وكانت لتقطع العمود بيني وبينها
فقلت لها يا من ككل مصيبة
ولم يبق السان من الحب مبيعة
كأنني أنادي بصخرة حين أعرضت

ولم يقل منك أناني .. ووجدت أبا مسلم بن بحر يحمل هذه الآية على أن الخطاب في جميعها غير متعلق بحواء وآدم عليه السلام ويجعل الهاء في تفشائها والكنابة في دعوا

سأوحا فما تفكك إلا بحيلة
أياحت حتى لم يرعه الناس قبلها
فليت قلوبهم عند عزة قيدت
وغودرو في الحلى للقيمين رحلها
وكنت كذري رجلين رجله صبيحة
وكنت كذات الطلع لما تحاملت
أريد التسواء عندها وأعطها
فأأنصت أما النساء فبغضت
يكلتها القيران شتى وما بها
حبناً مريضاً غير داء مخامر
ووالله ما قاربت إلا تباعدت
فإن تكن العتي فاعلها ومرحياً
وإن تكن الأخرى فإن وراءها
خليل انت الحاجبة طلعت
فلا يبعدن وسمه لعزة أصبحت
أسيء بنا أو أحسن لا ملومة
ولكن أملي وأذكرني من مودة
وإني وإن حدثت لئن وصادق
فما أنا بالداهي لعزة بالجوى
فلا يحسب الواشون أن صباقي
فأصبحت قد أبليت من دغها
ووالله ثم الله ما حله قبلها

فمن دل منها ذلك الوصل ملت
وحلت تلاعاً لم تكن قبل حلت
بجمل ضعيف غر منها فضلت
وكان لها باغ سواي فبليت
ورجل يرى فيها الزمان فتلت
على ظلعها بعد الضار استقلت
إذا ما أطلنا عندها المكث ملت
الينا وأما بالنوال فتلت *
هواني ولكن للمليك استذلت
لعزة من أعراضنا ما استعلت
بصرم ولا أكرت إلا أقلت
وحقت لها العتي لدينا وقالت
مناوح لو أصرى بها العيس كالت
قلوبكم وناقى قد أكلت
بعاقبة أسباه قد تولت *
لدينا ولا مقلية أن قتلت *
لناخلة كانت لديك فضلت
عليها بما كانت الينا أزلت
ولا شامت أن نعلم عزة زلت
بعزة كانت غمرة فتعجلت
كما أدفت هيام ثم استقبلت
ولا بعده من خلة حيث حلت

الله وبهما وآتاهما ساحلًا واجمعتين الى من أشرك ولم يتعلق بآدم وحواء عليهما السلام من الخطاب الا قوله (خلقكم من نفس واحدة) لأن الاشارة في قوله (خلقكم من نفس واحدة) الى الخلق عامة .. وكذلك قوله تعالى (وجعل منها زوجها) .. ثم خص منها بعضهم كقوله تعالى (هو الذي يستركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فخطب الجماعة بالنسيير في البر والبحر ثم خص ركب البحر بقوله تعالى (وجرين بهم بريح طيبة) كذلك هذه الآية أخبرت عن جملة أمر البشر فانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام .. ثم دعي الذكر اي الذي سأل الله تعالى مآسأل فلما أعطاه إياه ادعى الشركاء في غيبته .. وقيل جائز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصاً اذ كان كل بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة .. ويجوز أن يكون المعنى في قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يجيء كثيراً في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والمعنى فاجلدوا كل واحد ثمانين جلدة وقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) فلكل نفس زوج وهو منها أى من جاسها فلما تغني كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً وهو ماء الفحل فرت به أي مارت والور والتردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما أثقلت

وما مر من يوم على كبومها	وان عظمت أيام أخرى وجلت
فاضعت بأعلى شامق من فؤاده	فلا القلب يسلاها ولا العين مات
فياغبياً للقلب كيف اغتراله	ولانفس لما وطنت كيف ذلت
واتي وتهمي بي بكرة بعدما	تخلت عما بيننا وتخلت *
لكاثر تجي ظل الهامة كلها	نبوأ منها للمقبل اضمحلت
صكائي وابها سعادة محمل	رجاها فلما جاوزته استهات
فان سأل الواشون فيها حيرتها	فقل نفس حر سليت فتسلت

أى قلعه حملها أى بصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً دعوا الله أى الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لن آتينا صالحاً لنكون من الشاكرين فلما آتاهما أى أعطاهما مأسألاً من الولد الصالح لسبب ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون .. وقال قوم بمعنى جعله له شركاء أى طلبا من الله أمثلاً للولد الصالح فشركا بين الطالبين وتكون الماهة في قوله تعالى له واجمة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجري مجرى قول القائل طلبت مني درهماً فلما أعطيتك أشركته بآخر أي طلبت آخر مضافاً اليه وعلى هذا الوجه لا يمنع أن يكون قوله تعالى جعلاً وخطاب كله متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام

مجلس آخر ٧٣

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (قال أتعبدون ما تخشون والله خلقكم وما تعملون) .. فقال ليس ظاهر هذا القول يقتضى انه خالق لأعمال العباد لان ماهزنا بمعنى الذى فكانه قال خلقكم وخلق أعمالكم .. الجواب قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله تعالى وما تعملون أى وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناماً ويعبدونها .. قالوا وغير متكرران يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما انه قد أراد ما ذكرناه بقوله تعالى وتعبدون ما تخشون لانه لم يرد تعالى انكم تعبدون تحتكم الذى هو فعلكم بل أراد ما تعملون فيه التمتع وكما قال تعالى في عصى موسى عليه السلام تلتفت مايا فكون وتلتفت ما صنعوا وانما أراد تعالى ان العصى تلتفت الحبال التي أظهرها سحرهم فيها وهي التي حملها صنعهم وافكهم فقال تعالى ما صنعوا ومايا فكون وأراد تعالى ما صنعوا فيه ومايا فكون فيه ومثله قوله تعالى (يعملون له ما يشاء من محاريب) وانما أراد المعمل فيه دون العمل وهذا في الاستعمال أيضاً سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وفي الخياخيل هذا عمل الصانع وان كانت الاجسام التي أشير اليها ليست أعمالاً لهم وانما عملوا فيها فحين اجراء هذه العبارة .. فان قيل كل الذى ذكرتموه وان استعمل في وجه المجاز والاتساع لان العمل في الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل

دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع .. قلنا ليس اسلم لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواء لان القائل اذا قال هذا التوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا أحدًا قط يقول في التوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله على فلان فالاول أولى بأن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون الاصل في الحقيقة ما ذكرناه ثم انتقل ذلك بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار أخص به وبما لا يستفاد من الكلام سواء كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد والاعتبار في المفهوم من الألفاظ الا بما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل فوجب أن يكون المفهوم .. والظاهر من الآية ما ذكرناه على أننا لو سلمنا ان ذلك مجاز لوجب المنصير اليه من وجوه .. منها ما يشهد به ظاهر الآية وبقتضيه ولا يسوغ سواء .. ومنها ما يقتضيه الأدلة الفاطمة الخارجة عن الآية .. فن ذلك انه تعالى أخرج الكلام مخرج التبعين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم .. فقال (أتعبدون ما تختون والله خلقكم وما تعملون) ومتى لم يكن قوله تعالى (وما تسمعون) المراد به ما يعملون فيه لم يصير تقدير الكلام أتعبدون الأصنام التي تختونها والله خلقكم وخلق هذه الأصنام التي تعملون بها التعليل والتصور لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ وبسير على ما ذكره المخالف كأنه قال أتعبدون ما تختون والله خلقكم وخلق عبادتكم فأني وجه للتقريع وهذا الى أن يكون عذراً أقرب من يكون لوماً وتوبيخاً اذا خلق عبادتهم للأصنام فأني وجه لومهم عليها وتقريعهم بها على أن قوله تعالى (خلقتكم وما تعملون) بعد قوله تعالى (أتعبدون ما تختون) انما خرج مخرج التعليل لالتماع من عبادة غيره فلا أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله (أتعبدون ما تختون) ومؤثراً في المنع من عبادة غيره فلو افاد غير قوله ما تعملون نفس العمل الذي هو النعت دون المعمول فيه لكان له فائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النعت وانما كانوا يعبدون محل النعت ولأنه كان لا حظ في الكلام لالتماع من عبادة الأصنام فكذلك لو حمل قوله تعالى ما تعملون من أعمال آخر ليست نعتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب القوم والمحب والبعد عن التعاق بما تقدم فلم يبق الا أنه أراد تعالى به خلقكم

وما تعملون فيه النعت فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم .. فان قيل لهم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الأصنام وما تسمعون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك وان كان ما ذكرناه أيضاً لو أريد لكان وجهاً وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذي يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه تعالى فصار لما ذكرناه تأثير .. قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل الاول والمؤثر في المنع من العبادة فلان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه أولى من أن ينصرف الى ما ذكرناه لا يقتضي أكثر من خلقهم دون خالق ما يعبدونه فانه لاشئ أدل على المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد لما ذكرناه أيضاً قوله تعالى في موضع آخر (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونها بما خلقها لا يخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسهم ضرراً ولا عنهم وهذا واضح على أنه لو ساء ما ذكرناه ما ذكرناه في التعاق بالأول لم يسف حله على ما دعوه لأن فيه عذراً لهم في الفعل الذي عنفوا وقرعوا من أجله وقبيح أن يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم بما يبرئهم على ما تقدم على أننا لا نسلم ان من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من حمله أفعالهم القبيح ومن فعل القبيح لا يكون إلهاً ولا تحق له العبادة فخرج ما ذكرناه من أن يكون مؤثراً باضراره في العبادة على أن إضافة العمل اليهم لقوله تعالى يبطل تأويلهم هذه الآية لأنه لو كان تعالى خالقاً لها لم يكن عملاً لهم لأن العمل انما يكون لمن يحمده ويوجده فكيف يكون عملاً لهم والله خلقهم وهذه مناقضة ثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا أيضاً على ان قوله تعالى (وما تعملون) يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال أن يقول تعالى اني خالق للمعدوم .. فان قالوا الانتظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي كأنه تعالى قال والله خلقكم وما عملتم .. قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيت انكم متمسكون به وليس أنتم بأن تعملوا عنه بأولي منا بل نحن أحق لأننا نعدل عنه بدلالة وأنتم تعدلون بغير حجة .. فان قيل فأنتم

أيضاً تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي . . قلنا لا يحتاج نحن في تأويلنا إلى ذلك لأننا إذا حملنا قوله تعالى (وما تعملون) على الأصنام المعمول فيها . . ومعلوم أن الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن يقول تعالى إني خلقتها ولا يجوز أن يقول إني خلقت ما سبق من العمل في المستقبل على أنه تعالى لو أراد بذلك أعمالهم لا عملوا فيه على ما دعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأن الخلق هو التقدير والتقدير وليس يتمتع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعال غيره إذا قدره ودبره ألا ترى أنهم يقولون خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها وما به نستحق عليها من الجزاء وليس يتمتع أن يقال أنه خالق للأعمال على هذا المعنى إذا ارتفع الإبهام وفهم المراد فهذا كله تقتضيه الآية ولو لم يكن في الآية شيء كما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى (وما تعملون) على خلق نفس الأعمال لوجب أن نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه بالدالة العقلية الدالة على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأعمالنا وإن تصرفنا محدث منا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح والحمد لله تعالى والله . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإلى

لأستحسن لبعض نسخ أبي أمية قولها

ألم ترنا غيبنا ماؤنا زماناً فظننا نكذ البشارا
فلما عدا الماء أوطانها وجف الثماد قصارت حرارا
وضجت إلي ربها في السماء رؤس المصاة تناجي السرازا
وفتحت الأرض أفواهها عجيح الجمال وردن الجفارا
ليسنا لدى عطف لينة على اليأس أثابنا والخيمازا
وقلنا أعيروا الندى حمة وسير والحفاظ وموئنا حرارا

فإن الندى لمي مرة فرد إلى أهله ما استمارا
فبينما نوطن أحشاءنا أضاء لنا عارض فاستطارا
فأقبل بزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء المشارا
نمني وتضحك حافاته خلال النعام وتبكي مرارا
كأننا نضي لنا حررة تشد إزارا وتلقي إزارا
فلما خشنا بأن لا نجى وأن لا يكون فرار فرارا
أشار إليه أمرو فوفا هلم فأم إلى ما أشارا

وأشد أبو هنان لولادة الهرمية

لولا اتقاء الله فمت بفخر لا يبلغ الثقلان فيه مقامي
بأبوة في الجاهلية سادة بدوا الملاء أمراء في الإسلام
جادوا فسادوا ما تبين أذاهم لندهم فضل على الأقوام
لقد اتقىوا في السوددين وأنجوا بنجاية الأخوال والأعمام
قوم إذا سكتوا تكلم مجدهم عنهم فاخرس دون كل كلام

وقالت امرأة من بني سعد بن بكر

أيا أخوي المازي ملامة أ عندك يا الله من مثل مايا
سألتك يا الله ألا جعلتما مكان الأذى واللوم أن تأوياليا
أيا أمنا حب الهلاي قاتلي شطون النومي يحتل عرضا يماينا
أشم كفصن البان جمدة مرجل شغفت به لو كان شيئا مدناينا
فإن لم أوسد سا عدي بمدحمة غلاما هلايا فشت بناينا

تَكَلْتُ أَيُّ إِن كُنْتُ دُقْتُ كَرِيْقِهِ سَلَفًا وَلَا مَاءَ الْقَامَةِ غَادِيَا
أَلَمْ كَثِيرًا لَمَّةً ثُمَّ شَمَرَتْ بِهِ خَلَّةٌ يَطْلُبْنَ بَرْقًا بَيَانِيَا

ولصاحبة الهلالية أيضاً

وإِنِّي لَأَهْوَى الْقَصْدَ ثُمَّ يَرُدُّنِي عَنْ الْقَصْدِ مَيْلَاةُ الْبَوَى فَأَمِيلُ
فَمَا وَجَدُ مَسْجُونٍ بِصُنْعَاءِ مَوْتِي بِسَاقِيهِ مِنْ حَبْسِ الْأَمِيرِ كَبُولُ
وَمَا لَيْلٌ مَوْلَى مُسْلِمٍ بِحَيْرَةٍ لَهُ بَعْدَ مَا نَامَ الْعَيُونُ عَوِيلُ
يَا كَثَرَ مِنِّي لَوْعَةٌ يَوْمَ رَأَيْتِي قَرِيقَ حَبِيبٍ مَالِيهِ سَبِيلُ

ولعمرة بنت العجلان أخت عمرو ذي الكلب بن عجلان الكاهن ترى أختها عمرا وقد كان في بعض عروانه نائما فوثب اليه فمران فأكلاه فوجدت قبيحة ففهم صلاحه فادعت قتله في

سَأَلْتُ بِعَمْرٍو أَخِي صَحْبَهُ فَأَنْظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّوَالَا^(١)
وَقَالُوا أَيْبَحَ لَهُ نَائِمَا أَعْرَ السَّبَاعِ عَلَيْهِ أَحَالَا^(٢)

[٧] قوله - ولعمرة بنت العجلان الخ - قلت لسباعية لاخته جنوب - وقوله فوثب اليه فمران فأكلاه - قال صاحب زهر الآداب قال عمر بن شبة كان عمرو هذا يفتروا فبما لم يعجب منهم لوضعوا له رجداً على الماء فأغلقوه فقتلوه ثم مروا باخته جنوب فقالوا لطلبتنا أخاك فقلت إن طليتموه لتجدنه متبعاً وإن وسقتموه لتجدنه مريباً وإن دعوتهم لتجدنه مريباً والله إن سلبتموه لتجدونه لا تجدون ثيابه دامية ولا حجرتهم حامية ولرب ندى منكم قد افترشه ونهب قد احتوشه وضرب قد احترشه - ثم قالت هذه الايات انشبي [٢] قولها - سألت بعمرو - الباه بمعنى غن وأخي عطف بيان - وصحبه - مفعول سألت وهو مضاف الى ضمير عمرو ونصب جمع صاحب - وأظله في - هديني قبحه وشده - يقال أظنح الامر أظناطاً وفطن فظاعة اذا جاوز الحد في القبح [٣] قولها - أيبح له الخ - أيبح مجهول أتاح الله له بالثأنة والحاء المهملة بمعنى

أَيْبَحَ لَهُ نَمْرًا أَجْبَلُ فَنَالَا لَعْمَرُكَ مِنْهُ مَنَالَا^(١)
فَأَقْسَمْتُ يَا عَمْرٍو لَوْ نَبَّاهُ إِذَا نَبَّاهُ مِنْكَ أَمْرًا عُضَالَا^(٢)
إِذَا نَبَّاهُ لَيْتَ هَرِيْسَةَ مَقْبِيْنَا مَقْبِيْدَا نَفُوسًا وَمَالَا^(٣)
هَزْبَرَا قُرُوسًا لِأَعْدَائِهِ هَمُورًا إِذَا لَقِيَ الْقِرْنَ صَالَا^(٤)
هَامًا مَعَ تَصَرُّفِ رَبِّبِ الْمَنُونِ مِنْ الْأَرْضِ رُكْنًا ثَبِيْتًا أَمَالَا^(٥)

قضى وقدر والهاء قوله لعمرو - ونائما حاله نائم وأمر السباع - نائب فاعل أيبح وهو من العرارة بالعين والراء للمبتلين وهو سوء الخلق - وأحال - بالحاء المهملة - قال السكري أي ركب عليه فقتله وأكله

[١] قولها - أيبح له نمرأ أجبل - أي قدر له ونمرأ مني نمر مضاف الى أجبل جمع جبل وتصحفت هذه الكلمة على المعنى فقال قولها نمرأ جيبيل - أي نمران من جيش أي سبعان من جيش والنمر السبع والجيبيل يفتح الجيم وسكون الباء وفتح الهزرة وهو الضبع هذا كلامه وهو تحريف قطعاً

[٢] قولها - فأقسمت يا عمرو الخ - هذا التثاق من الغيبة الى الحضور وضمير الثاني في نيباه للثمرين - وروى - داه عضالا - أي شديداً أعياء الاطباء

[٣] قولها - ليت هريسة - قال الجوهرى المريس والعريسة مأوى الأسد - والمفيد - معناه معطى الفائدة كذا ورد بالمضين - ومفيت - بالناء - قال السكري أي مهلك النفوس والمال وتصحفت هذه الكلمة على المعنى فرواها بالقاف - وقال مقبينا أي مقتدرا كالذي يعطي كل رجل قوته - ويقال المقيت الحافظ لشيء والشاهد له والنفوس يرجع الى المقيت والمال يرجع الى المفيد هذا كلامه

[٤] وقولها - هزبرا قروساً الخ - الهزبر الاسد الضخم الشديد - والفروس - الكثير الافتراس للمصيد - وهصورا - من المصمر وهو الجذب والأخذ بقوة - والقرن - بالكسر كفؤك في الشجاعة أو عام - وصال على قرنه سطلا

(٥) قولها - هام مع تصرف ربب المنون الخ - ربب المنون حوادث الدهر - قال

هَـا يَوْمَ حَمَّ لَهُ يَوْمُهُ وَقَالَ أَخْوَفُهُمْ بَطَلًا وَقَالَ^(١)
 وَقَالُوا قَتَلْنَاهُ فِي غَارَةٍ بَآيَةٍ مَا إِن وَرَيْنَا الثَّبَالَ^(٢)
 فَهَلَّا وَمِنْ قَبْلِ رَبِّ الْمُنُونِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا وَكُنْتُمْ رِجَالًا
 وَقَدْ عَلِمْتُمْ فَمَنْ يَوْمَ الْإِقَاءِ بِأَنَّهُمْ لَكَ كَكَاثُوا نَفَالًا
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْسُوا بِهِ فَيُخَلُّوا النَّسَاءَ لَهُ وَالْحِجَالَا^(٣)
 وَلَمْ يَتَرَوْا بِمُحُولِ السِّنِّ بِهِ فَيَكُونُوا عَلَيْهِ حِيَالًا
 وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُجْتَدُونَ إِذَا غَبَرَ أَفْقٌ وَهَبَتْ شِمَالَا^(٤)

السكري ثبت ثابت .. وروي غيره بدله شديداً

[١] قولها - هـا يوم حم له يومه - الخ .. قال السكري هما تعني الفريخ - وح -
 قفى وقدر - وقاله - بالقاء أى أخطأ رجل قائل الرأى وقيل أى ضعيف الرأى وفهم -
 قبلة ولهذا منعه الصرف كذا قال عبد القادر .. والبيت لا يخفى أنه مكسور وهو
 ساقط من المعنى

[٢] قولها - وقالوا قتلناه - روى ثعلب بدل قالوا .. قال السكري نهزأ بهم - والآية -
 العلامة - والنبال - السهام - ورجله - قال السكري هو الرجل يقال رجل ورجله أى
 يسكون الجهم وضده - وروى غيره فذاً بدل رجلاً - والفذ - بالقاء والذال المعجمة هو
 الفرد - والنفال - الغنائم جمع نفل بفتحين وهي الغنيمة

[٣] وقولها - كأنهم لم يحسوا به - الخ من حسست باظهر من باب تعب أى علمته
 وشعرت به - ويخولوا - من أخايتهم أى جعلته خالياً - والحجبال - جمع عجلة بالتحريك
 وهو بيت يزبن بالثياب والاسرة والستور

[٤] قولها - وقد علم الضيف والمجتدون - الخ المجتدون - هم الطالبون الجدا وهي
 العطية .. وروي المرملون بدل قولها المجتدون - والمرملون - من أرمل القوم اذا فقد
 زادهم وفاعله هبت ضمير الريح وان لم يجر لها ذكر لفهمها من قولها اذا غبر أفق فان

وَحَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا الْمُرْضِعَاتُ وَلَمْ تَرَ عَيْنَ لِمَزْنٍ بِلَالَا^(١)
 بِأَنَّكَ كُنْتَ الرِّبِيعَ الْمُغِيثَ لَنْ يُغْتَرَبِكَ وَكُنْتَ الشِّمَالَا^(٢)

اغبراه انما يكون في الشتاء لكثرة الامطار واختلاف الرياح - والشمال - بالفتح ويكسر
 ربح تهب من ناحية القطب وهو حال وانما خصت هذا الوقت بالذكر لانه وقت تقبل
 فيه الأرزاق وتقطع السبل وينتل فيه الضيف فالجود فيه غاية لا تدرك

[١] قولها - وحلت عن أولادها المرضعات الخ .. قال أبو حنيفة انما حلت
 أولادها من الاعواز لم يجذن قوتها واغبرار الأفق من الجذب وأراد هبت الريح شمالا وهي
 تضر وان لم تذكر لكثرة ما ذكر كراشيه - والمزن - السحاب - والبلال - بالكسر البلل

[٢] قولها - بأنك كنت الربيع - الخ الربيع هنا ربيع الزمان .. قال ابن قتيبة في باب
 ما يرضه الناس غير موضحه وهو أول كتابه أدب الكاتب ومن ذلك الربيع يذهب الناس
 الى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والنور ولا يعرفون الربيع غيره
 والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعله الربيع الفصل الذي تدرك فيه النمار وهو
 الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعده الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه
 العامة الربيع ثم فصل القيظ الذي بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب
 من يسمى الفصل الذي تدرك فيه النمار وهو الخريف الربيع الاول .. ويسمى الفصل
 الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكماة والنور الربيع الثاني وكلامهم مجمعون على أن الخريف
 هو الربيع اه .. قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين
 لأنهم كانوا يجمعون حلول الشمس برأس الحمل أول الزمان وشبابه وأما العرب فانهم
 جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الاربعة وسماه الربيع .. وأما
 حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم
 ربيعان وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد وأما
 الربيعان من الشهور فلا خلاف بينهم انهما اثنان ربيع الاول وربيع الآخر انتهى
 - والقيظ - المعطر والكلا - بفتح كاء - بفتح كاء السماء والمراد به هذا توصفه بالربيع وهو الحميد بفتح

وَحَرَقَ تَجَاوَزَتْ تَجَهُّوْلُهُ بَوْجَاءَ حَرْفِ تَشْكِي الْكَلَالَا^(١)
فَكُنْتُ النَّهَارَ بِهِ شَمْسُهُ وَكُنْتُ دُجِي اللَّيْلِ فِيهِ هَلَالَا
وَحَيْلٍ سَمَتْ لَكَ فُرْسَانُهَا فَوَلَّوْا وَلَمْ يَسْتَقِلُّوا قِبَالَا
وَكُلُّ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَرَدْتَهُمْ مِنْكَ بِأَثْوَا وَجَالَا^(٢)

الميم وضمها في القاموس مرع الوادي ثمانية الراء مراعاة كلاً كما مرع - والنخل - بكسر
الثالثة - قال الدينوري هو الذخير وقال غيره هو الفيض والمقيث - من الاغاة - ومن
يعتريك - أي من يقصدك - وروى

بانك ربيع وغيث مرئ وأنك هناك تكون النخالا
والبيت يستشهد به النحويون في باب أن الخففة من الثقيلة وهو من الضرورة لأن اسم
ان الخففة شرطه أن يكون ضميراً محذوفاً - قال ابن هشام وربما ثبت وأنشد البيت
وهو مختص بالضرورة على الأصح وشرط خبرها أن يكون جملة ولا يجوز افراده إلا
إذا ذكر الاسم فيجوز الأمران وقد اجتمعا في البيت - وقال في التصريح ان البيت
ضرورة من وجهين عند ابن الحاجب كونه غير ضمير الشأن وكونه مذكوراً وعند
ابن مالك من وجه واحد وهو كونه مذكوراً - قلت وروى عن ابن مالك أنه
قال إذا أمكن جعل الضمير المحذوف ضمير حاضر أو غائب غير الشأن فهو أولى -
وعن أبي حيان أنه قال لا يلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعض أصحابنا بل إذا أمكن
تقديره بغيره قدر

[١] قولها - وخرق - الواو فيه واو رب وهو بفتح الخاء المعجمة الفلاة الواسة
تخرق فيها الرياح وهو مجرور رب المضمر أو الواو المعوضة عنها - ويجوز قوله - الذي لا يسلك
- والوجه - بالجم النافذة الشديدة - والحرف - الضامرة الصلبة - وتشكى - مضارع أصله
تشكى بتامين - والكلال - الأعياء

[٢] قولها - وكل قبيل وإن لم تكن إلح - وروى كم بدل كل والقيل هنا جمع قبيلة
- والوجل - جمع وجل بفتح فكسر وهو الخائف من الرجل بفتحين وهو الخوف

مجلس آخر ٧٤

[تأويل آية] - ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت
أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يقويكم هو ربكم)^(١) - فقال أوليس ظاهر

[١] قوله - تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) الآية - في هذه
الآية خلاف فن النحويين من جعل الشرط الثاني معترضاً بين الشرط الأول وجوابه
المقدر ومنهم من قال ليست من هذا الباب - قالوا وحجتنا على ذلك أنا نقدر
جواب الشرط الأول تالياً له مدلولاً عليه بما تقدم عليه وجواب الثاني كذلك مدلولاً
عليه بالشرط الأول وجوابه المتقدمين عليه فيكون التقدير ان أردت أن أنصح لكم فلا
ينفعكم نصحي ان كان الله يريد أن يقويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم
نصحي - واعلم ان الشرط اذا دخل على شرط فتارة يكون بمطلف وتارة يكون بغيره
فاذا كان بمطلف فاطلق ابن مالك ان الجواب لأولها لسبقه وفصله غيره فقال ان كان
المطلف بالواو فالجواب لها لأن الواو للجمع نحو ان تأتي وان تحسن الى أحسن اليك
وان كان المطلف بأو فالجواب لأحدهما لأن أو لأحد الشيئين نحو ان جاء زيد أو إن
جاءت هند فأكرمه أو فأكرمها وان كان المطلف بالفاء فالجواب الثاني والثاني وجوابه
جواب للأول وان كان بغير عطف فالجواب لأولها والشرط الثاني مقيد للأول
كتقيد بحال واقعة موقعه كقولهم

ان تستفيثوا بنا ان تذرنا وتجيدوا منا معا قلل عز زانها ككرم
فتجيدوا جواب ان تستفيثوا وان تذرنا بالبناء للمفعول مقيد للأول على معنى ان
تستفيثوا بنا مفعورين تجيدوا - ومن فروع المسئلة وهي اعتراض شرط في شرط
ماذا قال لامرأته ان أكلت إن شربت فأنت طالق فلا تطلق على الأصح إلا اذا شربت
ثم أكلت لأن التقدير عليه ان شربت فان أكلت فأنت طالق فالثاني أول والأول ثان
وعلى مقابلة لا تطلق الا اذا أكلت ثم شربت لان التقدير عليه ان أكلت فان شربت
فأنت طالق فالأول أول والثاني ثان - واعلم ان تصحيح الأول هو على مذهب
(٢٠ - امالي رابع)

هذه الآية يقتضي ان نصح النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفك الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والقواية وهذا بخلاف مذهبكم . . قلنا ليس في ظاهر الآية ما يقتضيه خلاف مذهبنا لأنه تعالى انه لم يقل انه فعل القواية وأرادها وإنما أخبر أن نصح النبي عليه الصلاة والسلام لا ينفك ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك أو جواز وقوعها لادلالة عليه في الظاهر على أن القواية هنا الحية وحرمات الثواب ويشبه بصحة ما ذكرناه في هذه القطة قول الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرَ رَجُلٍ تَحْتَ أَمْرِ
وَمَنْ يَتَوَلَّى يَتَمَدَّمْ عَلَى النَّاسِ لَا تَمَامًا^(١)

الشاعرية والحقيقة ووجهه ان الحاجب بأنه لا يصح أن يكون الجواب للشرطين معاً والا توارد معمولان على معمول واحد ولا تغيرها والا لزم ذكر ما دخل له في ربط الجزاء وترك ما له دخل ولا لثاني لأنه يلزم حينئذ أن يكون الثاني وجوابه جواب الأول فتجب القاء ولا فاء وحذفها شاذ أو ضرورة فتعين أن يكون جواباً للأول والأول وجوابه دليل جواب الثاني . . قال الدماميني ومذهب مالك الطلاق سواء أنت بالشرطين مرتين كما هو في القطة أو عكست الترتيب . . قال وبعض أصحابنا بوجه ذلك بأنه على حذف واو العطف كما في قول الشاعر

كيف أصبحت كيف أصبحت
يغرس الود في فسؤاد الغيب

. . ثم قال ولا أدري وجه اشتراط أهل المذهبين يعني مذهبي الشافعية والمالكية في وقوع الطلاق فعلمنا لمجموع الأمرين مع أنه يمكن أن يكون جواب الأول محذوفاً لدلالة جواب الثاني ولا محذور في حذف الجواب بل هو أسهل من تقديرهم لما فيه من الحذف والفصل بين الشرط الأول وجوابه بالشرط الثاني

(١) البيت - من قصيدة للمرقش الأصغر واسمه ربيعة بن سفيان والمرقش الأكبر عمه وهو عم طرفة بن العبد وهذه القصيدة يقولها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت المنذر ووليدتها بنت المجعلان ومطلعا

ألا يا سلمى لا صبر لي عنك فاطما
ولا أبداً ما دام وصلك دائماً

فكأنه تعالى قال ان كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفككم نصحي دامت مقيمين على ما أنتم عليه الا أن تطيعوا وتوبوا وقد سمي الله تعالى العقاب غياً . . فقال تعالى (فسوف يلقون غياً) وما قبل هذه الآية يشهد

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة

نرايت لنا يوم الرحيل بوارد

سقاء حبي للزمن من مهالك

أرتك بذات الضال منها معاصيا

بحا قلبه عنها على أن ذكره

تصغر خليلي هل ترى من طعائن

تعملن من جو الوريفة بعدنا

تحلين يا قوتنا وشوقاً وصيفة

سلكن القرى والجزع تحدى جاهلهم

ألا حيداً وجهاً تربنا بياضه

والى لا تنحني قطيعة جالسا

والى لا تنحنيك والخرق يبتنا

والى وان كنت قلوبى لراحم

ألا يا سلمى بالكوكب الطلق فاطما

ألا يا سلمى ثم اسلمي إن حاجتي

أطلم لأوت النساء ببسلة

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله

وآلى جناب حافة فاطمة

فمن يلقى خيراً بحمد الناس أمره

ألم تر أن المرء يجندم كفه

أمن حلم أصبحت تمسكت واجاً

وهن بنا خوص بخان ناعماً

وعذب الدنيا لم يكن متراكماً

من الشمس رواء وباباً سواجاً

وخداً أسيلاً كالوذنية ناعماً

إذا خطر دارت به الأرض قائماً

خرجن سراعا واقتعدن للقائماً

تعالى النار واجترعن الصراخاً

وجزعا ظفصاريا ودرأ نوائماً

ووركن قواً واجترعن الحارماً

ومسددلات كالمثاني فواحماً

خيمصاً وأستحي قطيعة طاعماً

مخافة أن تأتي أخلي صارماً

بها وينفى يافطيم المراجاً

وان لم يكن صرف النوى مثلاًماً

اليك فردى من نوالك فاطما

وأنت باخرى لا تبغضك هائماً

ويبعد عليه لاهالة ظلاماً

ففسك ول الاوم ان كنت لائماً

ومن يغو لا يعدم على اني لائماً

ويجشم من لوم الصديق المجانماً

وقد تمعرتي الاحلام من كان نائماً

عما ذكرناه وان القوم استعملوا عقاب الله تعالى (فقالوا يا نوح قد جادلنا فأكثر
جدالنا الى قوله (ولا ينفعكم نصحي) فالخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله تعالى أن ينزل
به العذاب ولا يغني عنه شيئاً .. وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعلق بأنه كان في قوم
نوح عليه السلام طائفة تقول بالجبر فذهبهم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم وقال
لم على طريق الانكار والتمجيد من قولهم ان كان القول كما تقولون من أن الله يفعل
فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحاً وأنتم على ذلك لا تنفعون
به وهذا جيد .. وروى عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال
المعنى فيها ان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه
وآمنتم به لأن من حكم الله تعالى أن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب وهذا كله واضح
في زوال الشبهة بالآية .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل
في صفة المصلوب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين
وحرقة وصلبه

ما زال سر الكفر بين صلوعه
ناراً يساور جسمة من حرها
طار لها شعل يهتد لها
فصلن منه كل تجمع مفصل
مشوبة رقت لأعظم مشرك
صلي لها حيا وكان وقودها
وكذلك أهل النار في الدنيا هم
يامشهداً صدوت بفرحتهم إلى
رمقوا أعالي جذعه فكأنما

حتى اضطلى سر الزناد الواري
لهب كما عصرت شق إزار
أزكانه هذا بنير غبار
وقلمن فائرة بكل قفار
ما كان يرفع ضوءها للاري
ميتا ويدخلها مع الكفار
يوم القيامة جل أهل النار
أمصارها القصوي بنو الأمصار
رمقوا الهلال عشة الإفطار

وأسنشقوا منه قناراً نشره
وتحدوا من هلكه كحديث من
قد كان بؤاه الخليفة جانباً
فسقاء ماء الخفض غير مصرود
ولقد شفى الأحشاء من رحاها
ثانيه في كبد السماء ولم يكن
فكأنما ابتدأ لكيما يطويها
سود اللباس كأنما تسجت لهم
بكر وأوسروا في متون صراير
لا يرحون ومن رآهم خالهم
كادوا النبوة والهدى تنقطت
من عنبر دفر ومسك داري
بالبدو عن متابع الأمطار
من قلبه حرماً على الأقدار
وانامة في الأمن غير غوار
أن صار بابك جارماً زيار
كائنين ثان إذ هما في النار^(١)
عن باطس خبراً من الأخبار
أيدي السوم مدارعاً من قار
قيدت لهم من مربط التجار
أبدأ علي سفر من الأسفار
أعناقهم في ذلك المضار

(١) قوله ولم يكن كائنين ثان الخ .. قد غلط بعض الفضلاء أبا تمام في هذا التركيب
قال لأنه إنما يقال ثانی اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة ولا يقال اثنين ثان ولا ثلاثة
ثالث ولا أربعة رابع .. وأجاب بعضهم بأن في الكلام تقدماً وتأخيراً وتغايلاً للتركيب
وتفسيراً وهو ان التقدير ولم يكن كائنين إذ هما في النار ثان والمراد أنه لم يكن كهذه القضية
قضية أخرى .. وقال بعضهم إن ثانیه خبر ثان لصار ولكن جعل من قبيل اعط
القوس بارها في ترك النصب اذ هو خبر لمبتدأ محذوف ولم يكن بمعنى لم يصر لقريضة
سياق ان صار وثان اسمه وثبوته عوض عن الضمير المضاف اليه وكائنين خبره وفيه
مضاف محذوف والمآل ولم يصر ثانیه كثنائي اثنين إذ هما في النار لأنهم تجاوروا في العلو
لا في القور والغرض ان يصف مصلوبه بالارتفاع لكن في الصلب وهو من التكم المايح

وله يذ كر صلب بابك

لَمَّا قَضَى رَمَضَانُ مِنْهُ قَضَاءُهُ شَالَتْ بِهِ الْأَيَّامُ فِي شَوَّالٍ
 مَازَالَ مَقُولُ الْمَرْمَةِ سَادِرًا حَتَّى غَدَا فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ
 مُسْتَبْسِلًا لِلْمَوْتِ طَوْفًا مِنْ دَمٍ لَمَّا اسْتَبَانَ فِظَاطَةَ الْخَلْخَالِ
 أَهْدَى لِمَنْ الْجَذْعَ مَتْنِيهِ كَذَا مِنْ عَافٍ مَتْنِ الْأَسْمَرِ الصَّالِ
 لَا كَعَبٍ أَسْفَلَ مُوَضِعًا مِنْ كَعْبِهِ مَعَ أَنَّهُ مِنْ كُلِّ كَعْبٍ عَالِ
 سَامٍ كَأَنَّ الْعِزَّ يَجْدِبُ ضَبْعَهُ وَسُمُوهُ مِنْ ذِلَّةٍ وَسِفَالِ
 مُتَفَرِّغٌ أَبَدًا وَلَيْسَ بِفَارِغٍ مَنْ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْأَشْفَالِ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . ومن عجيب الأمور ان أبا العباس أحمد ابن عبد الله بن عمار يشد هذه الأبيات للمفرطة في الحسن في جملة مفاتيح أبي تمام وما خرجه بزعمه من سقطه وغلطه ويقول في عقبها ولم نسمع في شعر وصف فيه مصلوب باغت من هذا الوصف وأين كان عن مثل إبراهيم بن المهدي يصف صلب بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

مَازَالَ يَغْنِفُ بِالنُّعَى فَتَقَرَّهَا عِنْدَ الْعُمُوطِ وَوَافَتْهُ الْأَرَاصِيدُ
 حَتَّى عَلَى حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مَجْتَمِعًا كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ
 يَابِقَةٌ ضَرِبَتْ فِيهَا عَلَاوَتُهُ وَعَنْقُهُ وَذَوَتْ أَغْصَانُهُ الْمِيدُ
 بَوْرَكَتِ أَرْضَاوُاطَانَا بَارَكَةً مَا عَنَّاكَ فِي الْأَرْضِ لِلتَّقْدِيسِ تَعْمِيدُ
 لَوْ تَقَدَّرَ الْأَرْضُ حُبْنُكَ الْبِلَادُفَلَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا حَجَجَ جَلْمُودُ
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا بَيْتُكَ إِلَّا حِينَ أَبْصَرَهُ فِي زِيٍّ وَهُوَ فَوْقَ الْفِيلِ مَصْفُودُ
 كَذَاقَةِ النَّخْرِ تَزْهِي تَحْتَ زِينَتِهَا وَحَدَّ شَقَرَتِهَا لِلنَّخْرِ مَحْدُودُ

مَا كَانَ أَحْسَنَ قَوْلَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَيْوَمُ بَابِكَ هَذَا أَمْ هُوَ الْعِيدُ
 صَبَّرَتْ جَنَّتُهُ جِيدًا لِبَاسِقَةٍ جَرْدَاءَ وَالرَّأْسُ مِنْهُ مَالُهُ جِيدُ
 فَأَضْ يَلْعَبُ هُوجُ الْعَا صِفَاتِ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ صَلْبِيَا طَرْفُهُ عُودُ
 كَأَنَّهُ شَلُو كَبْشٍ وَالْمَوِيُّ لَهُ نُورُ شَاوِيَةٍ وَالْجَذْعُ سَفُودُ

. . . وكان لا ينبغي أن يطعن على أبيات أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات وبطريق في تقرؤها وليت من جهل شيئاً عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أستر عليه وأولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك واطراد اللسج . . . وأبيات ابن المهدي مضطربة الالفاظ مختلفة اللسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يجوز أن يوضع اليد عليه الا قوله

حَتَّى عَلَا حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مَجْتَمِعًا كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ

وبعد البيت الأخير وان كان بارد الالفاظ فقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله

مَازَالَ يَغْنِفُ بِالنُّعَى وَيَغْمِطُهَا حَتَّى اسْتَقْلَّ بِهِ عُودُ عَلَى عُودِ
 نَصَبَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الظُّنُونُ بِهِ وَيَحْسُدُ الطُّيَرُ فِيهِ أَضْبَعُ الْبِيدِ

ولابحترى في هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أولها

لَا دِمْنَةً بَاوَى حَبْتٍ وَلَا طَلَّلَ يَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسْلُ
 إِنَّ عَزْدَمَكَ فِي آيِ الرُّسُومِ فَلَمْ يَصْبُ عَلَيْهَا فَعِنْدِي أَدْمَعُ بُلَلُ
 هَلْ أَنْتَ يَوْمًا مُعِيرِي نَظْرَةٍ قَدَرِي فِي رَمْلِ يَبْرِينَ عَيْرَ اسْتِيرْ هَارِمُلُ
 حَسُوا النَّوَى بِجِدَاةٍ مَالِهَا وَمَطْنُ غَيْرِ النَّوَى وَجَمَالُ مَالِهَا عَقْلُ

يقول فيها

أَمْسَى يَرُدُّ حَرِيقَ الشَّمْسِ جَانِبُهُ عَنْ بَابِكَ وَهِيَ فِي الْبَاقِينَ تَشْتَعِلُ

بِحِمْلَةِ الْبَرْدِ مِنْ أَقْصَى الثُّغُورِ إِلَى
بِئْسَ مَنْ رَأَى مَنْكَوسًا تَجَاذِبُهُ
تَقَاوُثُوا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمُنْخَفِضٍ
رَدَّ الْبَحِيرُ لِحَاظَهُمْ بَعْدَ شَعْلَتِهَا
تَمَّا لَهُ حَابِلُ الْآسَادِ فِي لَمَعِ
حَالِي الدَّرَاعِينَ وَالسَّاقِينَ لَوْصَدَّتْ
مِنْ تَحْتِ مَطْبَقِ أَرْضِ الشَّامِ فِي تَفْرِ
غَابِوَعَيْنِ الْأَرْضِ أَنَايَ قِيَّةٍ وَهُمْ
فِيهَا أَفْصَلَ إِلَّا الْكُتُبَ وَالرُّسُلَ

وله في هذا المعنى

مَا زِلْتُ تَقْرَعُ بَابَ بَابِكَ يَا لَقْنِي
حَتَّى أَخَذْتُ بِفَصْلِ سَيْفِكَ عَنَوَةً
أَخْلَيْتَ مِنِّي الدُّوْهِي فَرَارُهُ
لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَوْفُ أَسْلِكَ مَطْمًا
فَتَرَاهُ مَطْرَدًا عَلَى أَعْوَادِهِ
مُسْتَشْرِفًا لِلشَّمْسِ مُتَنَصِّبًا لَهَا
وَزُرُورُهُ فِي غَارَةِ شَعْوَاهُ
مِنَّةُ الَّذِي أَعْيَى عَلَى الْأَمْرَاءِ
وَلَصْنَتُهُ عَلَمَا بِسَامِرَاءِ
لِلطَّبِيرِ فِي عَوْدٍ وَلَا إِبْدَاءِ
مِثْلَ اطْرَادِ كَوَاكِبِ الْجَوَازِ
فِي أَخْرِيَاتِ الْحَدَقِ كَالْحَرِيَاءِ

مجلس آخر ٧٥

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الآية .. فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية .. والظاهر يقتضي أنه أنزل الجميع فيه .. وما المعنى في قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وهل أراد الإقامة والحضور الذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والادراك .. الجواب أما قوله تعالى (أنزل فيه القرآن) فقد قال قوم المراد به أنه تعالى أنزل القرآن حجة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق أنزاله على نبيه عليه الصلاة والسلام بحسب ما تدعو الحاجة إليه .. وقال آخرون المراد بقوله تعالى (أنزل فيه القرآن) أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه معنى في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وأنزل الله في الحمر كذا وكذا يريد في تحريمها .. وهذا الجواب إنما حرب متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله تعالى القرآن إذا كان يقتضي ظاهره أنزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يخص إيجاب الصوم لشهر رمضان وإن أكثره خالف من ذلك .. فان قيل المراد بذلك أنه أنزل في فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه .. قيل له لا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيء من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة في بمعنى في فرضه وإيجاب صومه .. والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وإنما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكانه قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه) هذا الجنس من الكلام فأشياء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول ان الالف واللام هنا لا يكونان إلا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المعينة للاستغراق الجنس لم يجب أن يكون هنا بهذه الصفة لأن هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة

من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة إلى المجلس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم كالتناقض لقرضه والثاني لمراده ألا ترى أن القائل إذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الأمير اليوم المخصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه إلا محض المجلس والطبقة من غير خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه أنني لم أرد عموماً ولا خصوصاً وإنما أريد أنه يأكل هذا المجلس من الطعام ويشرب هذا المجلس من الشراب فن فهم من كلامي العموم والخصوص فهو بعينه من فهم مرادي .. وأرى كثيراً من الناس يغالطون في هذا الموضع فيظنون أن الإشارة إلى المجلس من غير إرادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى يحملوا قول من قال أردت المجلس في كل موضع وهذا بعيد ممن يظنه لأنه كما أن العموم والخصوص مفهومان في بعض بهذه الألفاظ فكذلك الإشارة إلى المجلس والطبقة من غير إرادة عموم ولا خصوص مفهومة مميزة وقد ذكرنا أمثلة ذلك .. فأما قوله تعالى (فن شهد منكم الشهر فليصمه) فأكثر للفسرين حملوه على أن المراد من شهد منكم الشهر من كان مقبياً في بلد قدير مسافر وأبو على حمله على أن المراد به فن أدرك الشهر وشاهداه وبلغ إليه وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد إلى معنى الإدراك والتشاهدة .. وقد طعن قوم على تأويل أبي على وقالوا ليس يحمل الكلام إلا الوجه الأول وليس الأمر على ما ظنوه لأن الكلام يحمل الوجهين معاً فإن كان للقول الأول ترجيح ومزية على الثاني من حيث يحتاج في الثاني من الاضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في الأول لأن قول الأول لا يحتاج إلى اضمار الإقامة وارتفاع السفر لأن قوله تعالى شهد يقتضي الإقامة وإنما يحتاج إلى اضمار باقي الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك .. وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما أضمرناه في القول الأول إلى اضمار الإقامة ويكون التقدير فن شهد الشهر وهو متيقم مطابق بالغ إلى سائر الشروط فن هذا الوجه كان الأول أقوى وليس لاحد أن يقول أن شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على إقامة وذلك أن الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد إذا أطلق ولم يضاف أفاد الإقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب

والمسافر وإن كانوا ربما أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففي إطلاق شهد دلالة على الإقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا العباس بن عمار يعيب على أبي تمام في قوله

لما استحر الوداع المحض وانصرفت أو آخر الصبر ولي كاطماً وجماً
رأيت أحسن مرثي وأقبحه مستجيبين لي التوديع والتمنا

قال أبو العباس وهذا قد ذم مثله على شاعر متقدم وهو أن جمع بين كنين إحداها لا تناسب الأخرى وهو قول الكهيت

وقد رأيتاً بها حوراً منعمة رُوداً تكامل فيها الدل والشب

[١] الأبيات من قصيدته يمدح بها اسحاق بن إبراهيم الصمعي ومطلعها
أصغى إلى البين مفرأ فلاجرما إن النوي أسأرت في عقله لما
أسعنى سرهم أيام فرقمهم هل كنت تعرف سر أبورث الصما
نأوا فظلت لوشك البين مقلته نندي نجيماً ويندي جسمه سفا
أظله البين حتى أنه رجل لومات من شغفه بالين ماعلما
أما وقد كنتن الخدور ضجي فابعد الله دماً بعدها أكتما
لما استحر الوداع البين .. ومنها

لم يبلغ قوم وإن كانوا ذوي رحم إلا رأى السيف أدنى منهم رحماً
مشت قلوب أناس في صدورهم لما رأوك تمتى نحوهم قدما
أمطرهم عزماً لورميت بها يوم الكربة ركن الدهر لاندما
إذا هم تكهوا كانت لهم عقلاً وأنهم جمعوا كانت لهم لجلاً
حق انتهكت بحمد السيف أنفسهم جزاء ما انتهكوا من قبلك الحرماً
زال جبال شروى من كتابهم خوفاً وما زلت أقداماً ولا قدماً
لما محضت الأمانى التي احتلبوا عادت هموماً وكانت قبلهم همما

•• قيل له أخوات وبلغت يقولك - الدل والشلب - ألا قلت كقول ذي الرمة
يَبْضَاءُ فِي شَفْتَيْهَا حَوَّةٌ لَمْسٌ وَفِي اللَّائِثِ وَفِي أُنْيَابِهَا شَبٌّ^(١)

قال فقال الطائي

•• مُسْتَجِيمِينَ لِي التَّوْدِيْعَ وَالْعَمَاءَ ••

جعل للنظر القبيح للتوديع ولا يستجيب وإنما يستقبح عاقبته وهي الفراق
وجعل للنظر الحسن أصابعه عند الإشارة ونسبه بالعمم ولم يذكر الأنامل المختصة
قال وإنما سمع قول الجنون

وَيَبْدِي الْحَصِي مِنْهَا إِذَا قَدَقْتُ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ^(٢)

[١] قوله - يَبْضَاءُ يروي لباه في شفتيها الخ - ولباه لعلاه من اللب وهو معرفة
في باطن الشفة وهو مستحسن يدل امرأة لباه وظل للثبث أسود •• وقوله -
حوة - يضم الحاء المهملة وتشديد الواو وهي أيضاً حرة في الشفتين تضرب إلى
السواد •• وقوله - لَمْسٌ - بفتح اللام والسين المهملة وفي آخره سين مهملة وهو أيضاً
سورة في باطن الشفة يقال امرأة لعساء •• وقوله - وفي اللثات - بكسر اللام وتخفيف
الثاء المثلثة جمع لثة وهي معروفة •• وقوله - شَبٌّ - بفتح الشين المعجمة والثون ••
قال الأصمعي الشب برد وعذوبة في الاستان ويقال هو تحديد الاستان ودقها والبيت
يستشهد به النحويون على أن لعساً يدل غاط من حوة وهو حجة على المبرد حيث يدعي
أنه لا يوجد في كلام العرب يدل الغاط لاقى النظم ولا في القدر وإنما يقع في لفظ الغلاط ••
وأجاب بعضهم عن هذا بأن قوله لَمْسٌ مصدر وصلت به الحوة تقديره حوة لعساء كما
يقال حكم عدل وقول فصل أي عادل وفاسل ويقال إن في البيت تعديماً وتأخيراً للتعديرو
لباه في شفتيها حوة وفي اللثات لعس وفي أنيابها شب •• والبيت من قصيدته المشهورة التي أولها
ما بال عينك منها المساء ينسكب كأنه من كل مفرقة سرب

وقد استشهد هشام بن عبد الملك فأنشده إياها فأمر بدحجه لأنه كان يعينه رومن

[٢] قوله - ويبدى الحصي منها الخ •• وقوله

قال وهذا الأصل استعاره الناس من بعد •• قال الشاعر

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا يَبْرُؤُ أَطْرَافَ الْأَكْفِ عَنَّا^(١)

ولم أر ليلى غير موقفة ساعة بخيف متى ترمي جبار الحصب
وبعد •• ألا إن ما ترمين بألم مالك صدى أنبا تذهب به الريح يذهب

[١] قوله - النشر مسك الخ •• البيت من قصيدة للمرقش الأكبر وتقدمت منها
أبيات •• ومنها

•• يَهْلِكُ وَاللهُ وَيَخَافُ •• لود وكل ذي أب بينم
وَالْوَالِدَاتِ يَسْتَقْدِنُ عَنِّي ثم على المقدار من تعقم
مَا ذُنُوبُنَا فِي أَنْ غَزَا مَلَكٌ من آل جفنة حازم مرغم
مُقَابِلَ بَيْنِ الْعَوَانِكِ وَالْأَ خائف لا تكس ولا توأم
عَارِبٍ وَاسْتَعْمَى قَرَابَةِ ليس لهم ما يحاز نعم *
بَعْضِ مَعَالِيَتِ وَجُوهِهِمْ ليست مياه بحارهم بعمم
فَأَقْبَضَ مِثْلَ الْمَسْرِ بِقَدَمِهِ جيش كفلان الشريف لهم
إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لَذَلِكَ كَمَا ينسل من خرشائه الأرقم
فَحَنُّ أَخْوَالِكَ عَمْرُكَ وَالْخَا ل له معاطم وحرم *
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ مَطَاعِهِمْ كسب الخنا ونهكة الحرم
إِنْ يَخْضِبُوا يَخْضِبُوا بِخَضِيمِهِمْ أو يجسديوا فهم به ألأم
عَلِمَ تَرَى الطَّيْرَ دَوَاخِلَ فِي بيوتهم معهم ترثم *
وَيَخْرُجُ الدِّخَانُ مِنْ خِلَالِ السِّتْرِ ركلون الكودن الأصحم
حَتَّى إِذَا مَا الْأَرْضُ زِينَهَا النَّبْرُ ت وجن روضها وأكم
ذَاقُوا نَادِمَةً فَلَوْ أَكَلُوا الْخَطَا بان لم يوجد له علقم
لَكُنَّا قَوْمٌ أَهَابُ بِنَا في قومنا عفاة وكرم
أَمْوَالَنَا اتَّقِ النُّفُوسَ بِهَا من كل ما ينفى إليه الذم

قال وأضرب أبو نواس في قوله

تسكي قنذري الذر من مازها وتظلم الوزد بمتاب

قال فلم يحسن هذا العلاج أن يستعمل شيئاً من محاسن القائلين .. [قال الشريف الرضي] رضي الله عنه وهذا غلط من ابن عمار وسق على أبي تمام لأن الكمية جمع بين شئين متباينين وهما الذر وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشلب وهو يرد الأستان فيطاق عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شئين غير متفرقين لأن التوديع إنما أشار به إلى ما أشارت إليه بأصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك أصابعها بالعلم والعلم نبت أصابعه غضة دقاق شبه الأصابع .. وقيل إن العلم واحدة غضة وهي العصاة الصغيرة البيضاء وهي أشبه نبت الأصابع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين .. وقيل إن العلم نبت له نور أحمر يشبه به الأصابع الخضوية فوجه حسن قوله التوديع والعلم أن التوديع كان بالأصابع التي تشبه العلم جميعاً بينهما ذلك ولا حاجة إلى ذكر الأناهل الخفية على ما ظن أبو العباس بل ذكر المشبه أحسن وأصح من أن يقول التوديع والأناهل التي تشبه العلم .. فأما قوله أن التوديع لا يستقيم وإنما يستقيم ما قبله خطأ ومطالبة الشاعر بالأصابع مثله الشعراء لأن التوديع إذا كان منذراً بالفراق وبعد الدار وغيبه المحبوب لا محالة أنه مكروه مستقيم .. وقوله مستقيم طاقته صحيح إلا أن ما بعده ونحوه لما كان عند حضوره مشفقاً مذكوراً عاد الإكراه والاستعجاب إليه ونحن نعلم أن الناس يشكروهم ويستحبون تناول الأشياء اللذة من الأغذية وغيرها إذا علموا ما في عواقبها من المكروه فإن من قدم إليه طعام مسموم وأعلم بذلك يشكره ويستبجح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وإن كان ملداً في الحال ولم يزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهرها منه لما يتصور فيه من ألم الفارقة وغصص الوحشة وهذا

لا يبعد الله التلب والفا رات إذ قال الخيس نس
والعدوبين الجلسين إذا ولي العنى وقد تنادى الم
بأنى الشباب الاقورين ولا تفتط أخاك أن يقال حكم

معروف مشهور .. وقد قال فيه أبو تمام

ألفه التحبيب كم افترق أظلل فسكان داعية أجناع
وليس فرحة الأوباب إلا لموقوف على ترجح الوداع

لجعل للوداع ترجحاً يابل فرح الأياب وهذا صحيح .. فأما قول جرير

أتسني إذ فوَّقَ عنا سليبي يفرع بشامة سفي البشام

والدعا للبشام وهو شجر بالسقي لأنها ودعت عنه فسر يتودعها .. وقول الشاعر

من يسكن بذكر الوداع فاني أشبهه لموضع التسليم

إن فيه إعتاقه لوداع وانتظاراً اعتاقه لقُدوم

فمن شأن الشعراء أن يتعرقوا في المعاني بحسب أضرابهم وقصودهم إذا رأى أحدهم

[١] قوله - أتسني الج - هو من فصيدة طويلة يذم فيها قلب وبهجو الاخطاء

.. وأولها قوله

مق كان الحليم بذى طلوح سقيت الغيت أينما الحليم

ومنها بعضي من تحبب عزيزي من زيلته لسان

ومن أمسى وأصبح لأرأه ويطرقني إذا جمع التيام

ومنها غوي الشعراء بعضهم لبعض على فقد أصابعهم انتقام

كأنهم الثعالب حين تلقى مزيراً في العرين له انتقام

إذا أقلت صافقة عليهم رأوا أخرى تحرق فاستهاموا

فصاعلم المسامع أو خصي وآخر عظم هامته حطام

إذا شاؤا مددت لهم حضاراً وتقريباً مخالطة غدام

ومنها قضى لي أن أصل خندقي وعصب في عواقبه السمام

إذا ما خندف زحرت وقيس فان جبال عزي لأرام

هم حدبوا على ومكنوني بأفيع لا يزال به المقام

مدح شيء قصد الى احسن اوصافه فذكرها وأشار بها حتى كأنه لا وصف له الا ذلك الوصف الحسن فاذا أراد ذمه قصد الى أقبح أحواله فذكرها حتى كأنه لا شيء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده وطرا ترى أحدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر مافيه من وقار وخشوع وان العمر منه أطول وما أشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف مافيه من الادناء الى الاجل وأنه أدخل الانوان وأبغضها الى النساء وما أشبه ذلك وهذه سياهم في كل شيء وصفوه ولمدحهم موضعهم ولذمهم موضعهم فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الدار قد ذهب مذهباً صحيحاً كما إن من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان يسيراً قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً .. ومن غلط ابن عمار التبيح قوله بعد أن أنشد شعر المجنون وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعده .. فقال الشاعر

الذَّشْرُ مِسْكٌ وَالْجَوْهُ دَنَا نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَسَمٌ

وهذا الشعر للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر كانا جميعاً على عهد ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الفسلة

جلس آخر ٧٦

[تأويل آية] .. إن سأله سائل عن قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) الآية .. فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وإنما اختص به محمد عليه الصلاة والسلام .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولاً أن يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة ولا يكون إسماً وهنا للقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته لفظه كما قال تعالى (الكتاب والحكمة) وان كانت الحكمة بما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام .. ويستشهد على هذا

الوجه بقول طرفة

فَمَا لِي أَرَانِي وَأَبْنَى عَمِّي مَا لَكَا مَتَى أَذُنُ مِنْهُ يَنَّا عَنِّي وَيَبْعُدُ
فلحق ببعده على يئنا وهو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين .. وقال عدي بن زيد
وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِزَاهِشِيهِ وَالْفَا قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينَا

والذين الكذب .. وثانها أن يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى عليه السلام وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين لأن الله تعالى قد فرق بينهم في أمور كثيرة منها أنه نجى هؤلاء وغرق أولئك .. وثالثها أن يكون الكتاب عبارة عن التوراة والإنجيل والفرقان انفراق البحر الذي أوتيته موسى عليه السلام .. ورابعها أن يكون الفرقان القرآن المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ويكون المعنى في ذلك وآتينا موسى التوراة والتعديق والايان بالفرقان الذي هو القرآن لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ومبشراً ببعثه وساغ حذف التوراة والايان والتعديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان مقامه كما سأل في قوله تعالى (وأسأل القرية) وهو يريد أهل القرية .. وخامسها أن يكون المراد الفرقان ويكون تقدير الكلام (وإذ آتينا موسى الكتاب) الذي هو التوراة وآتينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الفرقان لحذف ما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَفْئَهُ وَعَيْنِيهِ إِنْ هُوَ لَهُ وَفَرٌ^(١)

[١] قوله - تراه كأن الله يجدع أفئته - أي يقطعها - والمولى - هنا المراد به الجار أو الساحب - وكان - بروي بدله - وثاب بالثالثة أي رجع من بعد ذهابه - والوفر - بفتح الواو وسكون الفاء وفي آخره راء مهملة وهو المال الكثير .. ويروي ذر وهو بالمعنى الاول وهذا في ذم شخص حاسد يحسد جاره إذا رجع من سفره بمال كثير فيصير من شدة حسده كأن الله يجدع أفئته ويقطع عينيه .. والبيت يستشهد به النحاة على حذف العائد المعطوف وإبقاء معموله إذ التقدير وفقاً عليه كما في قوله تعالى (والذين سبوا الدار والايان من قبلهم) أي واعتقدوا الايمان والبيت لفرقان بن بدر (٢٢ - امالي رابع)

أراد ويقف عليه لأن الجذع لا يكون بالعين واكتفى بجمع عن يفتأ .. وقال الشاعر
تَسْمَعُ لِلْأَحْشَاءِ مِنْهُ لَفْطًا وَلِلْيَدَيْنِ حَشَاءً وَبَدَا
أى وتري لليدين لأن الحشاة والبدة لا يسمعان وإنما يريان .. وقال الآخر
عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا^(١)

أراد وسقيتها ماء بارداً فدل علفت على سقيت .. وقال الآخر

يَأَلَيْتَ بِمَلِكٍ قَدْ غَدَا مَقْلَدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

أراد حاملاً رُحْمًا .. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا بكر بن الأنباري يقول إن الاستشهاد بهذه الأبيات لا يجوز على هذا الوجه لأن الأبيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون اسم .. والأمر وإن كان على ما قاله رضي الله عنه ونسبه الجاحظ لحاكم بن الصليمان وقبله

ومولى كوفى الزريقان ديبه كما دملت ساق بهاض بها كسر
إذا ما أحوالت والجياثر فوقها مضى الحول لا يرمين ولا جبر
البيت .. وبعد .. ترى النثر قد أفنى دوائر وجهه كفتب الكندي أفنى يرثه الحفر

[١] قوله .. علفتها تبناً الخ .. هذا الرجز يستشهد به النحاة في باب المفعول معه ويقولون إن الماء معطوف على التبن فلا يصح أن الواو في قوله وماء للدمية والمصاحبة لا تعد أم معنى للمصاحبة ولا يشارك قوله وماء فيها قبله فتعين أن يتعصب بفعل مضارع على عليه سياق الكلام وهو أن يقال التقدير علفتها تبناً وسقيتها ماء .. وقال ابن عصفور أنهم ذهبوا إلى أن الاسم الذي بعد الواو معطوف على الاسم الذي قبلها ويكون العامل في الاسم الذي قبل الواو قد ضمن في ذلك معنى يتسلط على الاسمين فيضمن علفتها معنى أطعمتها لأنه إذا علفها فقد أطعمها فكأنه قال أطعمتها تبناً وماء ويقال أطعمته ماء .. قال الله تعالى (ومن لم يطعمه فإنه مني) .. وروى

لما حطمت الرجل عنها وأردا علفتها تبناً وماء بارداً

ورواية الأصل أشهر ولا يعرف قائله ونسبه بعضهم لذي الرمة وليس في ديوانه

في الاسم والفعل فإن موضع الاستشهاد صحيح لأن الاكتفاء في الأبيات بفعل عن فعل إنما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر فافتضاء حذف تمويلاً على أن المراد مفهوم غير متببس ولا مشتبك وهذا المعنى قائم في الآية وإن كان المحذوف إنما ليس قد زال والشبهة قد أمنت في المراد بهذا الحذف لحسن لأن الفرقان إذا كان إنما للقرآن وكان من المعلوم أن القرآن إنما أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام دون موسى عليه السلام استغنى عن أن يقال وآتينا محمداً صلى الله عليه وسلم القرآن كما استغنى الشاعر أن يقول ويقف عليه وتري لليدين حشاة وبدداً وما شاكل ذلك .. إلا أنه يمكن أن يقال فيها استشهاد به في جميع الأبيات مما لا يمكن أن يقال مثله في الآية وهو أن يقال أنه محذوف ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لأنه لما قال - نراه كأن الله يجذع أنه - وكان معنى الجذع هو الأفساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعليه فكأنه قال كأن الله يجذع أنه أى يفسده ويشوهه ثم قال وعليه وكذلك لما كان السامع للفظ الأحشاء علماً به عطف على المعنى فقال وليدين حشاة وبدداً أى أنه يفهم هذا وذلك معاً وكذلك لما كان في قوله علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لأنه مما يفهم به وكذلك لما كان المتقيد للسيف حاملاً له^(١) جاز [١] قوله - لما كان المتقيد للسيف حاملاً له الخ - عبارة بعض العلماء لأن التقيد نوع من الحمل قال ولأجل هذا الذي ذكرناه من حكم العطف بالوار قلنا في قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) في قراءة من خفض الأرجل إذ الأرجل تفسل والرؤوس تمسح ولم يوجب عطفاً على الرؤوس أن تكون ممسوحة كسح الرؤوس لأن العرب تستعمل المسح على مضمين أحدهما التضع والآخر الفسل حتى روى أبو زيد تمسحت لأصالة أي توشأت .. وقال الرازي * أشليت عزي ومسحت قعي * أولد أنه غلبه ليحلب فيه فلما كان المسح نوعين أوجبتنا لكل عضو ما يليق به إذ كانت واو العطاف كما قلنا إنما توجب الاشتراك في نوع الفعل وجلسه لافي كيته ولا في كيته فالتضع والمسح جميعهما جنس التطهارة كما جمع تقلد السيف وحمل الرمح جنس التأهب للحرب والتساح

أن يعطى عليه الرخ المحمول وهذا أولى في العلم على الاستشهاد بهذه الآيات مما ذكره ابن الأنباري . . [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال أخبرنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد بن صفوان الأهمشي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري قال قاله جالساً على كرسي في بركة ماؤها إلى الكعبين فدعاني بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان الوط بطني وأحب إلى فقلت يا أمير المؤمنين إن حملك لا يضيق عنه فلو صنعت عن جرمه فقال يا خالد إن خالد أدل فأمل وأوجف فأحجفت ولم يدع راجع مرجعاً ولا لمودة موضعاً ثم قال ألا أخبرك عنه يا بن صفوان قلت نعم قال إنه ما بدائي بسؤال حاجة من قدم العراق حتى أكون أنا الذي أبدأ بها قال خالد فذاك أحرى أن ترجع إليه . . فقال مثلاً

إِذَا تَصَرَّفْتَ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ يَوْجِبُهُ آخِرُ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

ثم قال حاجتك يا بن صفوان قلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق ثم قال ولم وفهم العبادة أحدثها ففهمتك عليها أم لبلاء حسن أبيته عند أمير المؤمنين أم لماذا يا بن صفوان إذا يكثر السؤال ولا يحتل ذلك بيت المال قال فقلت يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك أنت والله كما قال أخو خزاعة

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ قَرَابَةُ قُرْبَى أَوْ صَدِيقٌ تَوَاقَفَهُ

وَمَنْتَ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ

فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزوين الامساك له قال أحببت أن يمنع غيري كما منعتي فيكثر من يلومه . . [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وكان خالد مشهوراً بالبلاغة وحسن العبارة . . وبالسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص ابن معاوية بن عمرو بن الهذيل قلت لخالد يا أبا صفوان اني لا أكره أن تموت وأنت من أسر أهل البصرة فلا يسبكك إلا الاماء قال فابقي امرأة قلت منها لي أطلبها لك قال بكرأ

كثيباً أو ثيباً بكر لا ضرعاً صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتجبن ولم تمن فتدجن قد نشأت في نعمة وأدركتها خصاصة فأذ بها الغنى وأدركها الفقر حبي من جاملها أن تكون قعدة من بعيد مبيدة من قريب وحبي من حسنها أن تكون واسطة قومها ترضى مني بالسنة أن عشت أكرمها وإن مت وورثها لا ترفع رأسها إلى السماء نظراً ولا تضمه إلى الأرض سقوطاً فقلت يا أبا صفوان إن الناس في طلب هذمه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها . . وكان يقول إن المرأة لو خضت بحملها وقلت مؤثماً مترك الاثم فيها للكرام يثمة لية ولكن ثقل حملها وعظمت مؤثماً فاجتباها الكرام وحاد عنها الاثم . . وكان خالد من أشح الناس وأبخلهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم أما والله لاطلما أغرت في البلاد وأنجحت والله لأطيلن ضجعتك ولأدين صرعتك . . قال وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دانتاً فقال يا سيحان الله أنعملي مثلي دانتاً فقال له لو أعطاك كل رجل من بني تميم مثل ما أعطيتك لرحت بمال عظيم . . وسأله رجل فأعطاه درهما فاستقله فقال يا أحمق أما علمت إن الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم . . وكان يقول والله ما تطيب نفسي بأفاق درهم الا درهماً قرعت به باب الجنة أو درهماً اشتريت به موزاً . . وقال لأن يكون لي ابن يحب الخمر أحب الي من أن يكون لي ابن يحب الله . . لأنه متى طلب الله وجده والخمر يفقده أحياناً . . وكان يقول من كان ماله كفافاً فليس يفتى ولا فقير لأن الثابتة اذا نزلت به أجيحت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غنى . . وكان يقول لأن يكون لاحدكم جار يخاف أن ينقب عليه بيته خير من أن يكون له جار من التجار لا يشاء أن يعطيه مالا ويكتب به عليه صكاً لا فعل

مجلس آخر ٧٧

[تأويل آية] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (انه يحبزك الذي يقولون فانه لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) . . فقال كيف يخبر تعالى أنهم لا يكذبون

ثبته عليه الصلاة والسلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والصدوق عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول الله بآيات الله يصدقون وهل الجاهل بآيات الله إلا تكذيب ثبته عليه الصلاة والسلام .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولاً أن يكون انما اني تكذبتهم بملوكهم ثم ثانياً واعتقاداً وأن كانوا مظهرين بالفواهم التكذيب لأننا نعلم أنه كان في المخالفين له عليه الصلاة والسلام من يعلم صدقه ولا يتكر بقلبه حقه وهو مع ذلك معاند فيظهر بخلاف ما يبطن .. وقال تعالى (وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .. وما يشهد لهؤلاء الوجوه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد اللدني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل لمصادقه أبو جهل فقبل له يا أبا الحكم أصالح هذا الصابي فقال والله اني لا علم أنه لي ولكن متى كنا تبعاً لبي عبد مناف قلنا لا والله الآية .. وفي خبر آخر أن الأخاش بن سريق خلا بأبي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني من محمد صلى الله عليه وسلم أصدق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريب أحد غيري وتبرك بسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك والله ان محمداً صادق وما كاذب محمد فقط ولكن إذا ذهب بنو قصى بالقوى والحماية والسقاية والندوة والنبوة ماذا يكون لسائر قريش .. وعلى الوجه الأول يكتفون معنى فانهم لا يكذبونك أي لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتكفون من إبطال ما جئت به برهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لأن القائل يقول فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولي وانما يريد أنه لا يمكن من إقامة دليل على كذبه ومن حجة على دفع قوله وأن كان يمكن من التكذيب بلسانه وفيه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به .. وروى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالتحذيف فانهم لا يكذبونك على أن للراهب بها انهم لا يأتون بحقي هو أحق من حقتك .. وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يدك وكل ذلك يقوي هذا الوجه وسليمان بن معن هذه اللفظة مشددة ترجع الى معناها مخففة .. والوجه الثاني أن يكون معنى الآية انهم لا يصدقونك ولا ينفونك متقولا كما يقولون قائلته فما أجابته أي لم أجده جباناً

وسأنت فما أكفبت أي لم أكذب .. وقال الأعمش

أنوي ونصرت ليلة ليبروداً فمضى وأخلف من قتيلة وعقداً

أي صادق منها خلف المواعيد .. ومثله قولهم أصمعت القوم إذا صادقهم صدأ وأخلفت الموضع إذا صادقته خالياً .. وقال الشاعر

أبيت مع الحداث ليلى قلم ابن فأخلفت فاستجتمعت عند خلأيا

أي أصبت مكاناً خالياً .. ومثله لميمان بن أبي خافة

ليس أنياباً له لو أجمنا أوسعن من أشداه المضارباً

يعني بأوسعن - أصبت منابت واسعة فبين فيها .. وقال عمرو بن برة

تخالفت أقوام علي ليسمعوا وجروا على الحرب إذا ناسايم

[١] قوله - إذا أنا سائم - الرواية المشهورة سالم يدل سائم .. والبيت من قصيدة يقولها عمرو بن برة أو برة الله كور وكان أغار عليه رجل من مراد فأخذ خيله وأبلة فذهب بها فاقى عمرو سلمي وكانت بنت سبدهم وعن رأيها كانوا يسامون فأخبرها أن حرباً للمرادى أغار على أبلة وخيله فذات الخفون والوميض والشفق صكالا حريش والقلة والحضيض إن حرباً تتبع الحيز سيد مزيز ذو مقل حرز غير أي أرى الجملة منتظر منه بعثة بطيئة الجيرة فاعز ولا تشك فاعز عمرو واستاق كل شيء فاقى حريم بعد ذلك يطلب إلي عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه فامتنع ووجع حريم أنهي .. وروى من غير هذا الوجه أن الذي أغار عليه حريم الهذلي وإن عمراً أي امرأة كان يحدث إليها بقل لها سلمي فأخبرها بالقصة وأنه يريد الغارة عليه فقال له ويحك لا تعرض لتفقات حريم فاقى أخافه عليك تخالفها وأغار عليه وهذا القول الأخير أسوب ومطلع القصيدة

قول سليبي لا تعرض لتنفه ولبك عن ليل الصماليك نائم
وكيف ينائم الليل من جل ماله حسام كلون للملح أبيض صارم
غموض إذا غاض الكريمة لم يدع لها طمعاً طوع البمين مسالزم

يقال - أسمن - بنو فلان إذا رعت ابلهم فصادقوا فيها سمناً * وقال أبو النجم * يقان
لرائد أعشبت أنزل أي أسبت مكاناً معشياً * وقال ذو الرمة

تُرِيكَ بَيَاضَ لَبَنِيهَا وَوَجْهًا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَ^(١)

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الحلى المسلم
إذا الليل أوجيوا كغير ظلامه وصاح من الإفراط يوم جواثم
ومال بأعصاب الكرى غالباته فاني على أمر الغواية حازم
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة مادام للضيف قائم
نحالف أقوام على ليسلوا وجروا على الحرب إذا أنا سالم
أما اليوم أدعي للموادة بعدما أجبل على الحلى المذاكي الصلادم
فان حرباً إذ رجاً أن أردّها ويذهب مالي يابنة القيد حالم
مق تجمع القلب الذكي وصارما وأنا حياً تجنبك المظالم
مق تطالب المال المنع بالقنا تمش ماجداً أو تخترمك المخارم
وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذايك همدان ظالم
فلا صلح حتى تدفع الحيل بالقنا وتضرب بالببيض الرقاق الجاحم
ولأنا حتى نقسم الحرب جهرة عبيدة يوما والحروب غواشم
أسبق على عمرو بن نهمان غارتى وما يشبه اليقظان من هونائم
إذا جر مولانا علينا جريرة صبرنا لها إنا كرام دعائم
* ونصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجرؤم عليه وجارم

[١] أففق قرن الشمس - أصاب فتقاً من السحاب قبدامنه * والبيت من قصيدة

يمدح بها بلال بن أبي بردة ويهده

أصاب خصاصة قبدال كليلأ كلا وأنفل جانباً أنفلالا
ومها بني لك أهل بيتك يا بن قيس وأنت تزيدهم شرفاً جلالا

أي وجه فتقاً من السحاب وليس لاحد أن يحمل هذا الوجه مختصاً بالفراة بالتخفيف
دون التشديد لأن في الوجهين معاً يمكن هذا الجواب لأن أقامت وفملت يجوزان في
هذا الموضع وأقامت هو الأصل ثم شدتاً كيداً وإفادة لمعنى التكرار وهذا مثل أكرمت
وكرمت وأعظمت وعظمت وأوصيت ووصيت وأبلفت وبلفت وهو كثير * وقال
الله تعالى (فهدى الكافرين أمهاتهم رويداً) إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن
استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر * والوجه الثالث ما حكى الكسائي من
قوله ان المراد أنهم لا يثبتونك الى الكذب فيما أثبت به لأنه كان أميناً صادقاً لم يجروا
عليه كذباً وإنما كانوا يدفعون ما أثبت به ويدعون أنه في نفسه كاذب وفي الناس من
يقوي هذا الوجه وان التوم كانوا يكذبون ما أثبت به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله
تعالى (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقوله تعالى (وكذب به قومك وهو
الحق) ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائي يقرأ فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع
من بين سائر السبعة والباقيون بالتشديد ويذهب ان بين أ كذبه وكذبه فرقاً وان معنى
أ كذب الرجل أنه جاء بكذب ومعنى كذبت أنه كذاب في حديثه وهذا غلط وليس
بين فملت وأقامت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن
التشديد يقتضى التكرار والذأ كيد ومع هذا لا يجوز أن يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما
أثبت به لأن من المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان يستشهد بصحة ما أثبت به وصدقته
وأنه الدين القيم والحق الذي لا يجوز المدول عنه وكيف يجوز أن يكون صادقاً في خبره

مكارم ليس يحصين مدح ولا كذباً أقول ولا اتحالا
أبو موسى غصبك نعم جداً وشيخ الركب خالك نعم خلا
كان الناس حين نمر حق عوانق لم تكن تدع الحجالا
تأبنا ينظرون إلى بلال رفاق الحجج أبصرت الهلالا
فقد رفع الاله بكل أفق لشوئك يا بلال سنأ طوالا
كنوء الشمس ليس به خفاء وأعطيت المسابة والجبالا
سمعت الناس يتجمعون غيئاً فقلت لصيديدنج انجي بلالا

(٢٣ ... اعلى رابع)

وان كان الذي أتى به فاسداً بل إن كان صادقاً فالذي أتى به حق صحيح وان كان الذي أتى به فاسداً فلا بد من أن يكون في شيء من ذلك وهو تأويل من لا يتحقق المعاني ..
والوجه الرابع أن يكون المعنى في قوله تعالى فانهم لا يكذبونك أن تكذيبك راجع اليّ وعائد عليّ ولست المختص به لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى ورائد عليه وهذا كما يقول أحدنا لرسوله امض في كذا فن كذبك فقد كذبتني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله على سبيل التسليّة لنبيه عليه الصلاة والسلام والتعظيم والتفليظ لتكذيبه .. والوجه الخامس أن يريد فانهم لا يكذبونك في الأمر الذي يوافق فيه تكذيبهم وان كذبوك في غيره .. ويمكن في الآية وجه سادس وهو أن يريد تعالى ان جميعهم لا يكذبونك وان كذبك بعضهم فهم الظالمون الذين ذكروا في آخر الآية بأنهم يجحدون بآيات الله وانما سألني نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا القول وعزاه فلا ينكر أن يكون عليه الصلاة والسلام لما استوحش من تكذيبهم له وتلقينهم إياه بالرد عليه وظن أنه لا مسمع له عليه الصلاة والسلام منهم ولا ناصر لدينه فيهم أخبره الله تعالى بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك ويتفق بارشادك وهدايتك وكل هذا واضح والمئة لله .. قال الشريف المرتضى [أرضى الله عنه من جيد الشعر قوله مطرود بن كعب الخزاعي

يأياها الرجل المحول رحله
هباتك أمك لو نزلت عليهم
ضينوك من جوع ومن إقرار

[١] قوله - يأياها الرجل الخ .. روى عن المطالب بن أبي وداعة عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب بني شيبه فر رجل وهو يقول

يأياها الرجل المحول رحله

هباتك أمك لو نزلت برحلهم

.. قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم اليّ ابي بكر فقال هكذا قال الشاعر قال لا والذي يثبك بالحق لكنه قال

الآخذون العهد من آفاقها
والطميمون إذا الرياح تناوحت
والمفضلون إذا المحول تراءفت
والعاطلون غنيهم بغيرهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قرينش بيضة فتلفت
فالمح خالصة لعبد مناف^(١)

.. أما قوله - والراحلون رحلة الإبلان - فكان هاتم صاحب إبلان قرينش الرحلتين وأول من سنها فألف الرحلتين^(٢) في الشتاء الى اليمن والحشة والعراق وفي الصيف الى الشام .. وفي ذلك يقول ابن الزبيري

يأياها الرجل المحول رحله

الخ كما في الاصل .. قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه

[١] وقوله - فالح خالصة لعبد مناف - الملح والمخة صفرة البيض .. قال ابن سيده انما يريدون فص البيضة لأن الملح جوهر والصفرة عرض ولا يصبرون بالعرض عن الجوهر اللهم الا أن تكون العرب سمت مع البيضة صفرة قال وهذا مالاأصرفه وان كانت العامة قد أولعت بذلك وقوله - خالصة - روي أيضاً خالصة وخالصة ولا إشكال في الروايتين الأخيرتين .. قال ابن بري من قال خالصة بالناء فهو في الاصل مصدر كالعافية

[٢] قوله - فألف الرحلتين - الخ كان هاتم وعبد شمس والمطلب ونوفل إخوة وأكبرهم عبد شمس وأصغرهم المطلب والثلاثة السابقون لأب وأم ونوفل أخوهم لأبيهم وهم أول من أخذ لقرينش العصم فانتشروا من الحرم أخذهم هاتم حبلاً من مملوك الشام الروم وغسان وأخذهم عبد شمس حبلاً من النجاشي الأكبر فاختلفوا بذلك السبب الى أرض الحبشة وأخذهم نوفل حبلاً من الاكاسرة فاختلفوا بذلك السبب الى اليمن فخير الله بينهم قرينشاً فسموا الجبرين واختلف في قائل هذه الابيات فقيل هي لمطروود بن كعب الخزاعي وقيل لابن الزبيري وهذا أصح ولم نر من فرقها

عَمْرُ الْعَالَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ
وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ
رَحَلَ الشِّتَاءَ وَرَحَلَةَ الْأَصْيَافِ
فَأَمَّا قَوْلُهُ - مَسْتَوْن - فَمَنْ الَّذِينَ أَصَابَتْهُمْ السَّنَةُ الْمَجْدِبَةُ الشَّدِيدَةُ .. وَقَوْلُهُ -
وَالْخَالِطُونَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ - مِنْ أَحْسَنِ الْكَلَامِ وَأَخْصَرِهِ أَمَّا أَرَادَ أَنَّهُمْ يَفْضُلُونَ عَلَى الْفَقِيرِ
حَتَّى يَعُودَ غَنِيًّا ذَا ثَرَوَةٍ .. وَالْأَحَدُ بْنُ يُونُسَ أَبِيَاتٍ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ يَمْزُجُ بِهَا مَعَ وَلَدِ
سَعْدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ وَكَانَ ظَمَّ حَدِيثًا

أَبْدَاءَ سَفْدٍ لَكُمْ مِنْ مَشْرِ
لَا يَمْرُقُونَ كَرَامَةَ الْأَصْيَافِ
قَوْمٌ لِبَاهِلَةٍ بِنِ يَمُصَّرُ إِنَّهُمْ
تُسَبُّوا حَسِبْتَهُمْ لِيَعْبُدَ مَنَافٍ
فَرَّقُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْمَشَاءِ وَقَرَّبُوا
زَادَا لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِكَافٍ
وَكَأَنِّي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمْ
رَحَلِي نَزَّاتُ بِأَبْرِقِ الْعَرَافِ

غَيْرِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى وَسَبَبُ قَوْلِ ابْنِ الزَّبَيْرِيِّ لَهَا قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِى النَّاسُ أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَكَّةَ
وَعَلَى بَابِ التَّدْوَةِ مَكْتُوبٌ

أَطَى قَصِيًّا عَنِ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرِ وَرَشْوَةً مِثْلَ مَاتَرْنِي السَّقَابِيرِ
وَأَكَلَهَا الْأَحْمَرُ مِثْلًا لِأَخْلَاطِهِ وَقَوْلُهَا رَحَلَتْ غَيْرَ أَنْتَ غَيْرِ

فَانْكُرِ النَّاسَ ذَلِكَ وَقَالُوا مَا قَالُوا إِلَّا ابْنَ الزَّبَيْرِيِّ وَأَجْعَلْ عَلَى ذَلِكَ وَأُبْهَمُ فَشَوْا إِلَى بَنِي
سَهْمٍ وَكَانَ مِمَّا تَنْكَرُ قُرَيْشٌ وَتَمَاتَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَهْجُوَ بَعْضُهَا بَعْضًا فَقَالُوا ابْنُ سَهْمٍ أَدْفَعُوهُ
إِلَيْنَا نَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِنَا قَالُوا وَمَا الْحُكْمُ فِيهِ قَالُوا قَطَعَ لِسَانَهُ قَالُوا فَشَأْنُكُمْ وَاعْلَمُوا وَاللَّهِ
أَنَّهُ لَا يَهْجُونَا رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا قَتَلْنَا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَالزَّبِيرِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ يَوْمَئِذٍ غَائِبٌ نَحْوُ
الْحِجْنِ فَانْجَحَتْ بَنُو قَعْبٍ فِيهِمْ فَقَالُوا لَا نَأْمَنُ الزَّبِيرِيَّ إِذَا بَلَغَهُ مَا قَالَ ابْنُ الزَّبَيْرِيِّ أَنْ يَقُولَ
شَيْئًا فَيُؤْتِي إِلَيْهِ مِثْلَ مَا نَأْتِي إِلَى هَذَا وَكَانُوا أَهْلُ تَنَاصُفٍ فَاجْعَلُوا عَلَى تَخْلِيَّتِهِ خَلْوَهُ وَقِيلَ
لَهُمْ أَسْلَمُوهُ إِلَيْهِمْ فَضَرَبُوهُ وَحَلَقُوا شَعْرَهُ وَرَبَطُوهُ إِلَى مَخْرَجَةٍ بِالْحُجُونِ فَاسْتَفْتَتْ قَوْمَهُ
فَلَمْ يَمْنُوهُ فَعَمِلَ يَمْدُجُ قَصِيًّا وَيَسْتَرْضِيهِمْ فَاطْلَقَهُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مِنْهُمْ وَأَكْرَمُوهُ فَدَخَلَهُمْ
بِهَذَا الشَّعْرِ

يَبْنَا كَذَلِكَ إِذَا أَتَى كِبَرَاؤُهُمْ يَلْحَوْنَ فِي التَّبْدِيرِ وَالْإِسْرَافِ
أَرَادَ - قَرَّنُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْمَشَاءِ - مِنْ بَحْثِهِمْ وَاجْتِصَارِهِمْ فِي الْمَطْعَمِ .. وَيُقَالُ إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ
حَفِظَ وَصَارَ مِنْ أَكْثَرِ مَا يَسْبُحُونَ بِهِ وَيُسَبِّحُ بِهِ قَوْمُهُمْ وَلَرَبِّ مَزْجٍ جَرِّ جَدًّا وَعِثْرَةٍ
الشَّعْرَ لَا تَسْتَقَالُ وَالشَّعْرَ يَسِيرُ بِحَسَبِ جَوْدِهِ .. وَلَقَدْ أَحْسَنَ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ فِي قَوْلِهِ
لَعُونِي وَلَمَّا يَتَعْنَى غَيْرُ شَاءَتِ وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أَصْبَحَتْ مَقَاتِلُهُ
يَقُولُونَ إِنَّ ذَاقَ الرَّذَى مَاتَ شَعْرُهُ وَهَيْبَاتُ عُمَرَ الشَّعْرِ طَوَائِلُهُ
سَأَفْضِي بَيْتَ يَحْمَدَ النَّاسِ أَمْرُهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ حَامَاهُ
يَمُوتُ رَذَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ وَجِدَّةُ يَبْنِي وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ
.. وَلَا خَرَفَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(١)

(١) قَوْلُهُ - وَلَا خَرَفَ فِي هَذَا الْمَعْنَى .. الْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِدَعْبِلِ أَيْضًا وَمَطْلَعُهَا

إِذَا غَزَوْنَا فَعَزَانَا بِأَنْفَرَةٍ وَأَهْلُ سُلَيْمٍ بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ جَرَّتِ
هَيْبَاتُ هَيْبَاتِ بَيْنِ الْمَنْزِلَيْنِ لَقَدْ أَلْغَيْتُ شَوْقِي وَقَدْ طَوَّاتُ مَنَافِي
أُحْبِبْتُ أَهْلِي وَلَمْ أَطْلَمْ بِحَبْسِهِمْ قَالُوا أَنْصَبْتَ جَهْلًا قَوْلَ ذِي بَيْتٍ
لَمْ لِسَانِي بِتَقْرِيطِي وَمُتَدَحِي نَعَمْ وَقَائِي وَمَا تَحْوِيهِ مَقْدَرِي
دَعْنِي أَصْلَ رَحَى إِنْ كُنْتُ قَاطِعَهَا لَا يَدُ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصَّلَاةِ
فَلَحِظْتُ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَى إِنْ لَمْ حَقًّا يَفْرُقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرْتِ
قَوْمِي بَنُو حَمِيرٍ وَالْأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ وَآلُ كَنْدَةَ وَالْأَحْيَاءُ مِنْ عِلَاتِ
ثَبِتَ الْحُلُومُ فَإِنْ سَلَتْ حَنَائِطُهُمْ سَلَوُ السَّيْفِ فَارْدُوا كُلَّ ذِي عَمْتِ
نَفْسِي تَنَافَسِي فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ إِلَى الْمَعَالِي وَلَوْ خَالَفَهَا أَبَتِ
وَكَمْ زَحَتْ طَرِيقَ الْمَوْتِ مَعْرَضًا بِالسَّيْفِ ضَيْقًا فَادَانِي إِلَى السَّعَةِ
قَالَ الْعَوَاذِلُ أَوْدَى الْمَالُ قَاتِلَهُمْ مَا بَيْنَ أَجْرٍ وَغُرْلِي وَبِحَمْدَةٍ
أَفْسَدَتْ مَالًا قَاتِلَ الْمَالِ يَغْدِي إِذَا نَجَّاتَ بِهِ وَالْجُودُ مَصَاحِي

لَا تَعْرِضْنِ بَرْزَخَ لِمَرِيٍّ نَظِينَ مَارَاضَةً قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّقَةِ
قَرُبَ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ مَشْوُومَةٌ لَمْ يُرْزَ إِعَاوَاهَا نَمَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ يَتِيمًا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يَقَالَ لَهُ وَالْيَتِيمُ لَمْ يَمُتْ

مجلس آخر ٧٨

[تأويل آية أخرى] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم لم تكن فتنة إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) الآية .. وعن قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب) الآية .. فقال كيف يقع من أهل الآخرة نفى الشرك عن أنفسهم والقسمة بالله تعالى عليهم كاذبون في ذلك مع أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من التبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولاهم ماجئون هناك إلى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكانذبون) فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التثني لأنهم تنهوا ولم يخبروا .. الجواب قلنا أول ما نقوله أنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قوطم ما كنا مشركين إنما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الإخبار بتناول حال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لأحد أن يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وأنه عقب ذلك بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة لأنه لا يجمع أن يكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم

لَا تَعْرِضْنِ بَرْزَخَ لِمَرِيٍّ نَظِينَ مَارَاضَةً قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّقَةِ
قَرُبَ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ مَشْوُومَةٌ لَمْ يُرْزَ إِعَاوَاهَا نَمَتْ
رَدَ السُّلَى مَسْتَهْمًا بَعْدَ قَطْعَتِهِ كَرَدَ قَافِيَةٍ مِنْ بَعْدِهَا مُضَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ يَتِيمًا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يَقَالَ لَهُ وَالْيَتِيمُ لَمْ يَمُتْ

تتلوها آية تتناول ما يجري في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجبة .. وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لا تدل أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر تعالى عنه في الآية الأولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه أنا نحشرهم في الآخرة ونقول أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم ما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الاقوالم والله ربنا ما كنا مشركين) .. وقد قيل في الآية على تسليم أن هذا القول يقع منهم في الآخرة أن المراد به إنما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد أننا على الحق والهدى .. وقوله تعالى من بعد (أنظر كيف كذبوا على أنفسهم) لم يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل انهم كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا باخبارهم أنهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر إلا أنهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع ذلك في الآخرة لحناه على الدنيا بدلالة أن أهل الآخرة لا يجوز أن يكذبوا لأنهم ماجئون إلى ترك التبيح .. فأما قوله تعالى حاكياً عنهم (ياليتنا نرد) .. وقوله تعالى (فأنهم لكانذبون) فن الناس من حمل الكلام كله على وجه التثني فصرف قوله تعالى وأنهم كاذبون إلى غير الاسم الذي تنوء لأن التثني لا يصح فيه معنى الصدق والكذب لأنهما إنما يدخلان في الأخبار المحضة لأن قول القائل ليت الله رزقني كذا وليت فلانا أعطاني مالا أفعل به كذا وكذا لا يكون كذباً ولا صدقاً وقع ما تنهوا أو لم يقع فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى (وأنهم لكانذبون) مصروقاً إلى حال الدنيا كأنه تعالى قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الإضافة واعتقاد الحق أو يريد أنهم كاذبون أن خبروا عن أنفسهم أنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وإن كان ما كان مما حكى عنهم من التثني ليس بخبر وقد يجوز أن يحمل قوله تعالى (وأنهم لكانذبون) على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى أنهم تمنوا مالا سبيلاً إليه فكذب أهلهم وتهمهم وهذا مشهور في الكلام لأنهم يقولون لمن تمنى ما لا يدرك كذب الملك وأكدي رجائك وما جرى مجرى ذلك .. وقال الشاعر

كَذَبْتُمْ وَيَتَبَّ اللَّهُ لَا تَأْخُذُونَهَا مُرَاعِمَةٌ مَا دَامَ لِلْسَيْفِ قَائِمٌ

٥٥ وقال آخر

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ لَا تَنْكِحُونَهَا بَنِي شَابَ قَرَاهَا نُصْرًا وَتَحَلُّبًا

ولم يرد الكذب في الاقول بل في التخي والامل ٥٥ وليس لأحد أن يقول كيف يجوز من أهل الآخرة مع أن معارفهم ضرورية وأنهم عارفون أن الرجوع لاسبيل اليه أن يمتدوه وذلك أنه غير ممكن أن يتخى المتخى ما يعلم أنه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التخي بما لا يكون وبما قد كان واقوة اختصاص التخي بما يعلم أنه لا يكون غلط قوم فجعلوا إرادة ما علم المرید أنه لا يكون تنبيهاً فهذا الذي ذكرناه وجه في تأويل الآية ٥٥ وفي الناس من جعل بعض الكلام تنبيهاً وبعضه إخباراً وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا فكان تقدير الآية بآيتنا نرد وهذا هو التخي ثم قال من بعده فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاعبروا بما علم الله تعالى أنهم فيه كاذبون وإن لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله ٥٥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا حدثنا الحسن بن عيسى العنبري قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدى قال حدثنا أبو مسهر رجل منا من بني غنم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النخري على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن أبي جنة صديقاً لي على أني كنت أقبضه وأمته في الله فشكا اليّ وقال دخل علينا اليوم رجل أنفته شامياً وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند الرشيد فأذن له الرشيد فدخل فسلم وأجاد فأذن له الرشيد فجلس قال فاجت منته خرافات ياتفس أنا حجازي نخدي شافيت العرب وشافيتي وهذا شامي افتراء أشمر ٥٥ في قال فجلت أرقو نفسي الى أن استشهد هارون فاذا هو والله أفصح الناس فدخلني له حسد فأشده قصيدة فثبت أنها لي وإن على غرماً فقلت له ما هي قال أحفظ منها أبياتاً وهي

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خَضْنَا غِمَارَ الْمَوْتِ مِنْ بَلَدِ شَطِيرِ
بِخُوصِ كَالْأَهْلَةِ خَافَاتِ حَمَلَانَ عَلَى السَّرِيِّ وَعَلَى الْهَجِيرِ
حَمَلَانَ إِلَيْكَ أَمَالًا عِظَامًا وَمِثْلَ الصَّبْحِ وَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ

وَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمُتَبَاهٍ وَغَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ

إِلَى مَنْ لَا يُشِيرُ إِلَى سِوَاهُ إِذَا ذُكِرَ النَّدَى كَفَّ الْمُشِيرِ

قال مروان فوددت أنه قد أخذ جازقي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القواف ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام فأحسن التخلص ٥٥ ورأيت هارون يعجب بذلك فقال

يَدْلُكَ فِي رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ وَمَنْ لَيْسَ بِالنَّيِّبِ السَّيْرِ

فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ وَإِلَّا فَالْنَّدَامَةُ لِلْكَفُورِ^(١)

مَنْتَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى وَكَانَ مِنَ الْحَتُوفِ عَلَى شَفِيرِ

وَقَدْ سَخِطْتَ لِسَخَطِكَ النَّيَّابِ عَلَيْهِ فَحَيَّ خَاتِمَةَ النَّشُورِ

وَلَوْ كَافَأَتِ مَا اجْتَرَحْتَ يَدَاهُ دَلَّغَتْ لَهُ بِقَاصِمَةِ الظُّهُورِ

وَلَكِنْ جَلَّ حِلْمُكَ فَاجْتَبَاهُ عَلَى الْهَفَوَاتِ عَفْوٍ مِنْ قَدِيرِ

فَمَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَجِنْ ذَنْبًا وَقَدْ كَانَ اجْتَنَى حَسَاكَ الصَّدُورِ

وَإِنَّكَ حِينَ تُبْلِغُهُ أَذَاهُ وَإِنْ ظَلَمُوا الْمُحْتَرِقُ الضَّمِيرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا والله معنى كان في نفسي وأدخله بيت المال وحكمه فيه ٥٥ عدنا إلى الخبر قال مروان وكان هارون يتبسم ويكاد يضحك للعطف ما سمع ثم أرمأ اليّ أن أشده فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها

[١] وزيد فيها

وإن قالوا بنو بنت خفي وردوا ما يناسب للذكور
بني بني بنات من تراث مع الأعمام في ورق الزبور
بني حسن ورهط بني حسين عليكم بالسداد من الأمور
فقد دقم قراع بني أبيكم غداة الروع بالبيض الذكور

(٢٤ - أمالي رابع)

خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمُعْتَبِرِ عَادَاتِهِمْ حَقْمُ الْمَنَاقِبِ كُلِّ يَوْمٍ زِحَامٌ^(١)
حتى أتيت على آخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل يعني النخيري بشعري ولا حنن به ٥٥ ثم
أنشده منصور يومئذ

إِنَّ لِحَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى كَنَزِينَ مِنْ أَجْرٍ وَمِنْ بَرٍّ
بَرِيْشٌ مَا بَرِيَّ اللَّيَالِي وَلَا تَرِيْشُ أَيْدِيَهُنَّ مَا يَبْرِي
كَأَنَّمَا الْبَدْرُ عَلَى رَحْلِهِ تَزْمِيكَ مِنْهُ مَقْلَتَا صَقَرٍ

وأنشده أيضاً

وَلَنْ أَضَاعَ لَقَدْ عَهْدَتُكَ حَافِظًا لَوْصِيَّةِ الْمُبَاسِ بِالْأَخْوَالِ
٥٥ قال مروان وأخلق به أن يغلقني وأن يعلو على عنده فاني مارأيت أحسن من تخلصه
إلى ذكر الطالبين ٥٥ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحسيني قال حدثني
يحيى بن الزرع قال حدثني أبو عثمان الجاحظ قال كان منصور النخيري يتأفق الرشيد
ويذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعته وباطنه ومراعاة بذلك على بن أبي
طالب عليه السلام لقول النبي عليه الصلاة والسلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى
إذ وثني به فنهض بعض أعدائه وهو العنابي فقال يا أمير المؤمنين هو الله الذي يقول
مَتَى يَشْفِئِكَ دَمُكَ مِنْ هُمُولٍ وَيَبْرُدَ مَا بَقِيَكَ مِنْ غَلِيلٍ
وأنشده أيضاً

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعُ هَامِلٍ يُعْلِلُونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ

ومصور يصرح في هذه القصيدة بالمجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وأمره أن
يضرب عنق منصور حيث تقع عنقه عليه فقدم الرجل رأس عين من بعد موت منصور
بأيام قلائل ٥٥ قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ أن النخيري كان يذكر هارون في

[١] ٥٥ وبعده وأرضوا بما قسم إله لكم به ودعوا وراثة كل أسيد حام
أي يكون وليس ذلك بكائن لبني البنسات وراثة الاعمام

شعره وهو يعني به أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما أنشده محمد بن الحسن بن دريد النخري
آلَ الرَّسُولِ خِيَارَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ هَارُونَ
رَضِيَتْ حُكْمُكَ لَا أَبْنِي بِهِ بَدَلًا لِأَنَّ حُكْمَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ

٥٥ وروى أن أبا عتيمة الشيعي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت ربيعة وفدًا إلى الرشيد
فهم منصور النخري فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار من يدخل عليه منهم
فاختاروا عدداً بعد عدد إلى أن اختاروا رجلين أحدهما النخيري ليدخله ويسألهما عنهما
وكان النخيري مؤدباً لم يسع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه

بين يدي الرشيد قال لهما قولاً ما يريدان فأنشد النخيري

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَنْعُ

قال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا ٥٥ فقال

إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ

وأنشد القصيدة حتى أتى إلى قوله

رَكِبْتُ مِنَ النَّعْرِ عَادُوا بِأَبْنِ عَمِّهِمْ مِنْ هَاشِمٍ إِذْ أَلَجَ الْأَزْلَمُ الْجَدْعُ
مَتَّوَالِيكَ جَرِي أَنْتَ تَعْرِفُهَا لَمْ يَمْ جَاءَ فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مَطْلَعُ
إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً أَحْلَاكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تُتَجَبَّعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مَتَضَعُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعْلِمَةٌ يَوْمَ الْوُغَى وَالْمَنَابِيَا يَنْتَهِمُ قُرْعُ

حتى أتى إلى آخرها فقال له ويحك ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين أخبرني الديار وأخذت
الأموال وهتك الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وأمره بتلايين ألف درهم واحتبس
عنده وشخص أصحابه بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في الانصراف
فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعُ هَامِلٌ يُمَلِّونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ
تُقْتَلُ ذُرِّيَةُ النَّبِيِّ وَتَرْجُوتُ خُلُودَ الْجَنَانِ لِلْقَاتِلِ
مَا الشُّكُّ عِنْدِي فِي كُفْرِ قَاتِلِهِ لَكِنِّي قَدْ أَشْكُ فِي الْخَاذِلِ

فامتنع الرشيد وأخذ من يقاتله فوجده في بعض الروايات ميتاً وفي أخرى عليلاً لما به
سئل الرسول أن لا يأثم به وأن ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي فعاد بخبر موته . . . ولانصيري
لو كنت أختي معادي حق خشيتي لم تسم عيني إلى الدنيا ولم تنم
لكينني عن طلاب الدين تحبيل والعلم مثل الغني والجهل كالمقدم
يحاولون دخولي في سوادهم لقد أطافوا بصنع غير ملتئم
ما يغلبون النصاري واليهود علي حب القلوب ولا المباد للصنم

مجلس آخر ٧٩

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذا المؤودة سُئِلَتْ بأي ذنب قتلت)
. . . فقال كيف يصح أن يسأل من لا ذنب له ولا عقل فأى فائدة في سؤالها عن ذلك وما
وجه الحكمة فيه وما المؤودة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة . . . الجواب قلنا أما معنى
سئلت ففيه وجهان . . . أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طواب بالحجة في قتلها وسئل
عن قتله لها بأي ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة فالتفتة ههناهم
المسؤولون على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسئول عنها ويجري هذا مجرى قولهم
سألت حتى أي طالبت به ومثله قوله تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) أي
مطالباً به مسؤولاً عنه . . . والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على
تبديل التوبيخ له والتقريع له والتنبية له على أنه لا حجة له في قتلها ويجري هذا
مجري قوله تعالى لعيسى عليه السلام (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون

الله) على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم . . . فإن قيل على هذا الوجه كيف
يخطب ويسأل من لا عقل له ولا فهم . . . فالجواب أن في الناس من زعم أن الغرض
بهذا القول إذا كان تبيكت الفاعل وتنجينه وادخال الغم عليه في ذلك الوقت على سبيل
العقاب لم يمتنع أن يقع وإن لم يكن من المؤودة فهم له لأن الخطاب وإن علق عليها وتوجه
إليها فالغرض في الحقيقة به غيرها قالوا وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلاً من ولده
فأقبل على ولده يقول له ضربت ماذنك وبأي شيء استحل هذا منك فغرضه تبيكت
الظالم لا خطاب الطفل والأولى أن يقال في هذا أن الأطفال وإن كانوا من جهة العقول
لا يجب في وصولهم إلى الأغراض المستحقة أن يكونوا كامل العقول كما يجب مثل ذلك
في الوصول إلى الثواب فإن كان الخبر منظاهراً والأمة متفقة على أنهم في الآخرة وعند
دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الأحوال وإن عقولهم تكون كاملة
فعلى هذا يحسن توجه الخطاب إلى المؤودة لأنها تكون في تلك الحال بمن فهم الخطاب
وتعقله وإن كان الغرض منه التبيكت للقاتل وإقامة الحجة عليه . . . وقد روى عن أمير
المؤمنين عليه السلام وابن عباس ومجي بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحى
ومهران وأبي صالح وجابر بن يزيد أنهم قرؤا ثلث بفتح السين والهمزة واسكان التاء
بأي ذنب قتلت . . . وروى بإسكان اللام وضم التاء الثانية على أن المؤودة موصوفة
بالسؤال والقول بأي ذنب قتلت . . . وروى القطيبي عن مسلم والاعمش عن حفص عن
عاصم قتلت بكسر التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين . . . وروى عن
أبي جعفر المدني قتلت بالنشديد واسكان التاء الثانية . . . وروى عن بعضهم وإذا
المؤودة سئلت بفتح الميم والواو فأما من قرأ سئلت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان
الأذان ذكرناهما من أن الله تعالى أكلها في تلك الحال وأقدها على النطق . . . والوجه
الثالث أن يكون معنى سئلت أي سألتها وطولب بحجتها وانتصف لها من ظالمها فكأنها هي
السائلة تجوزاً واتساعاً ومن قرأ بفتح السين وضم التاء الثانية من قتلت فعلى أنها هي
الخطيبة بذلك ويجوز في هذا الوجه أيضاً قتلت بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة لأنه
اختاره عنها كما يقال سئل زيد بأي ذنب ضرب وبأي ذنب ضربت وقال يقوى هذه

القراءة في مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله يجيء المقتول يوم القيامة وأرداجه تنخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقوله يقول يارب سل هذا فيم قتلني فلما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم في ضم التاء الأخيرة من قتل وبضم السين سثلت فمعناها (وإذا المؤودة سثلت) مانبي فقالت (بأي ذنب قتلت) فاضمر ما سثلت عنه وأضمر قولها وقد تضرع العرب مثل هذا لدلالة الخطاب عليه والارتفاع الأشكال عنه مثل قوله تعالى (وإذا رفع لإربعيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا) أي ويقولان ربنا ونظائره في القرآن كثيرة جداً .. فلما قراءة من قرأ بالتشديد فلما أراد به تكرار الفعل بالمؤودة معنا وإن كان لفظها لفظ واحد فلما أراد به الجلس ولادة التكرار جائزة .. فلما من قرأ المؤودة بفتح الميم والواو فعلى أن المراد الرحم والقربة وأنه يسأل عن سبب قطعها وتضييعها .. قال الله تعالى (قل لعيسى إن توليت أن تحسبوا في الأرض) الآية .. فلما المؤودة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تشد البنات بأن يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) .. وقوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم) ويقال لهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين .. أحدهما أنهم كانوا يقولون إن الإناث بنات الله فالحقوا البنات بالله فهو أحق بهما وأول الأمر الآخر أنهم كانوا يقتلوهن خشية الإملاق قال الله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الآية .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا علي الجبائي وغيره يقول إنما قيل لها مؤودة لأنها تملأ بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم يقولون من المؤودة وأدبها وأدا والفاعل وأد والفاعلة وأدته ومن التفل يقولون أدنى الشيء يؤدي إذا أغنى أوداً .. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك فقال قوم في الخبر الذي ذكرناه أنه ملسوخ بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قيل له إن اليهود يقولون في العزل هو المؤودة المسفري فقال عليه الصلاة والسلام كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلق لم يستطع أن يصرفه وقد يجوز أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ذاك الواد الخفي على طريق التأكيد للترغيب

في طلب السلس وكراهية العزل لا على أنه محظور محرم .. وصحيفة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب وكان ممن فدى المؤدات في الجاهلية ونهى عن قتلها وقيل أنه أحيى ألف مؤودة وقيل دون ذلك .. وقد اخبر الفرزدق بهذا في قوله
وَمِمَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدِ فَلَسَمَ تُوْدَ
وفي قوله

وَمِمَّا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ وَغَالِبَ وَعَمَرُو وَمَنَا حَاجِبُ وَالْأَفَارِغِ

.. وفي ذلك يقول أيضاً

أَنَا ابْنُ عِقَالٍ وَأَبْنُ لَيْلَى وَغَالِبٍ وَفَكَأَكُ الْأَغْلَالِ الْأَسِيرِ الْمُسْكَفِرِ
ليلى - أم غالب - وعقال - هو محمد بن سفيان بن مجاشع - وفكأك الأغلال - ناجية بن عقال - والمسكر - هو الذي كفر وكبل بالحديد

وَكَانَ لَنَا شَيْخَانِ ذُو الْقَبْرِ مِنْهُمَا وَشَيْخَ أَجَارِ النَّاسِ مِنْ كُلِّ مَقْبَرٍ
ذو القبر - غالب وكان يستجار بقبوره والذي أجار الناس من القبر وأحيى الويدة صحيفة علي حين لا تحيي البنات وإذهم
عكوف على الأصنام حول المدور أنا ابن الذي رد المنيّة فضله
وما حسب دافقت عنه بعمور أبي أحد القيسين صغصمة الذي
متي تخلف الجوزاء والنجم يمشير أجار بنات الوائدين ومن يجز
على القبر يعلم أنه غير مخفر وفارق ليلى من نساء آت به
يعالج ربحاً ليها غير مضمير فارق - يعني امرأة ما خضا شهباً بالفارق من الأبل وهي الناقة التي يضربها الحاض
فغارق الأبل وتمضي على وجهها حتى تضع

فَقَالَتْ أَجْرِي مَا وَلَدْتُ فَأَنْتِي أَتَيْتُكَ مِنْ هَزْلِ الْحَمُولَةِ مُتَرِ
رَأَى الْأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَى بِهَا إِلَى خَدَدِ مِنْهَا وَفِي شَرِّ مُحْفَرِ

فَقَالَ لَهَا تَمِي فَأَنْتِ بِدِمَّتِي لِبَنَتِكَ جَارٌ مِنْ أَيْبَا الْقَتَوَرِ

— القَتَوَرُ — السبي الخلق .. قال وأخيراً المرزوقي قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا التلاني عن العباس بن بكار الضبي عن أبي بكر المزدلي .. قال الصولي وحدني القاسم بن إسماعيل عن أبي عثمان المازني عن أبي عبيدة بطرف منه قال وقد سمعته بن ناجية جده القززدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم وكان معصمة منع الواد في الجاهلية فلم يدع يوماً تده وهو يقدر على ذلك فداء لاسلام وقد قلنا في بعض الروايات أربعاً مؤودة وفي أخرى ثلاثاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها أنت وأمي أوسق فقال أوصبك بأهلك وأبيك وأخيتك وأدانيك أدانيك فقال زدني فقال عليه الصلاة والسلام احتفظ ما بين لحيتك ورجليك ثم قال غايه الصلاة والسلام ما نبي يأتي عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يمجعون على غير وجه ولم أدر أين الصواب غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه لم رأيتهم يمدون بياضهم ففكرت أن ربيهم من وجل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم فقد بدت ما قدرت عليه .. وفي رواية أخرى إن معصمة لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع قوله تعالى (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال حبي ما أبالي أن لا أسمع من القرآن غير هذا .. ويقال أنه اجتمع جرير والقززدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك فافترخا فقال المرزوقي أنا ابن عبي الوفي فقال له سليمان أنت ابن عبي الوفي فقال إن جدي أحيا المؤودة وقد قال الله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وقد أحيا جدي اثنين وتسعين مؤودة فبسم سليمان وقال لك مع شعرك لفتيه [تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهي أن يصلي الرجل وهو زناه .. الجواب قلنا الزناه هو الحافن الذي قد ضاق ذرعاً ببوله يقال أزنأ الرجل ببوله فهو يزنيه إزناه .. قال الاخطل فإذا دُفِعتَ إلي زناء قمرها غبراء مظلمة من الأحفار^(١)

[١] البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان وكان عبد الله هذا عمراً

بمعنى ضيق القبر .. ويقال لانات فلاناً فإن منزله زناه فيجزر أن يكون ضيقاً ويجوز أن يكون عسر المرتقي وكلامها يؤل الى المعنى ويقال موضع زناه إذا كان ضيقاً صعباً .. ومن وأول القصيدة

صدع الحليط فشاقتي أجواري ونأوك بعد تقارب ومزار
وكأنما أنا شارب جادت له بصري بصافية الأديم عقار
صرف ثوارت الأماجم جنبها وحمام حائط غوسج يجندار
من مسبل دوجت اليه عيونته وسقاء عازب جدول مزار
حتى إذا ما ألتصحت شمسها وأنا فليس عصاره كعصار
وقصدت من غير هش عوده بال وليس بمحصرم أبكار
وتجردت بعد الهجير ووضرت صهباء تبدأ شربها بقتار
وجداً برملة يوم شرت أهلها للغور أولشقائقي المذكر
وكان ظنن الحى حاشق قربة داني الجنابة مونغ الأثمار
وإذا تكشفت الخدور بدالنا بقر كواكب في ظلال مفسار
وإذا أطلنن من الخدور لحاجة سدوا الخصاص بأوجه أحرار
ولتدحلفت برب موسى جاهداً والبيت ذى الحرمات والاستار
وبكل موشل عليه مسوحه دون السماء مسبح جبار
لاحرن لابن الحليفة مدحة ولا تذفن بها الى الامصار
قرم تمهل في أمية لم يكن فيها بذى ابن ولا خوار
نبئت قتاتك منهم في أسيرة بيض الوجوه مصالت أخيار
جبراء للمعروف حين تراهم حلهاء غير تنابل أشرار
قوم اذا بسط الاله ربيهم دارت رحاه بمسبل درار
واذا أريد بهم عقوبة فاجر مطرت صواعقهم عليه بنار
قوم هم نالوا التمام وأزحفت عنه مذارع آخرين قصار
وأبوك صاحب يوم أذ رحا أبي الحكمان غير تريب وضرار

(٢٥ - رابع امالي)

ذلك قول أبي زيد يصف أسداً

أَبْنُ عَرَسِيَّةٍ عَنَابُهَا أَشْبُ وَدُونُ غَايَتِهِ مُسْتَوْرِدٌ شَرِيعُ
شَابِي الْمُبُوطِ زَنَاءُ الْحَامِيَيْنِ تَنَشَّعَ بَوَادِرُهُ يُحَدِّثُ لَهَا فَرْعٌ^(١)

لما تبعت الضغائن بينهم
وأهل أذ غنط العدو بغياب
حق رأوم ينجب مسكن معلماً
ونسب العيون الى عزيز بابه
ومنها
ووري عليه إذ العيون شزونه
ولقد أناجي النفس لما شفا
بأبي سليمان الذي لولا يد
واذا دفعت الى زناه بلهسا
لولا فواضله غداة القبة
من معتبر حنين لولا أنهم
والشافعون مقيون وجوههم
[١] البينان من قصيدته التي أوها

من مبلغ قومنا الذين أذ جعلوا
حال أفعال أهل الود آونة
أن القواد اليهم شقيق ولع
أعطيهم الجهد متى بنة مألوس

بروي أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه قال له يوماً يا أخا تبع المسيح أسعنا
بعض قولك فقد أثبت أنك تحيد وكان أبو زيد الطائي هذا نصرانياً فأشبهه القصيد
ووصف الأسد فقال عثمان رضى الله عنه بالله فتتو تذكر الأسد ما حيت والله اني
لا أحسبك جباناً هراباً قال كلا يا أمير المؤمنين ولكن رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً
لا يبرح ذكره تجدد ويتردد في قلبى ومذور أنا غير ملوم فقال له عثمان رضى الله عنه وانى
كان ذلك قال خرجت في صياحة أشرف من أبناء قبائل العرب ذوى هيئة وشارحة حسنة ترمى

يمنى - بزناه الحاميين - انه ضيق جاني الوادي - وقوله - متى تنشع بوادره - أى يضيق
بجماعة ممن برده وانما يحدث لها فرج من الأسد - والشاس - القليظ يقال مكان شاس اذا كان
غليظاً ومن ذلك قولهم زناً فلان في الجبل اذا كابد الصعود فيه وهو بزناً في الجبل -
وروى ابن دريد ان قيس بن عاصم المنقري أخذ صبياله برقصه وأم ذلك الصبي منفوسة وهي

بنا المهارى با كساها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الفسافي ملك الشام فأخروا بنا
السير في حجارة القليظ حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت
الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرت الجندب وأضاف العصفور الضب في وكرة وجاوره
في جحره قال قائل أيها الركب غوروا بنا في دوج هذا الوادى واذا واد قد يدي لنا
كثير اللعل دائم الفلل أشجاره مغنية وأطياره ممره خططنا رحلتنا بأصول دوحات
كنهيلات فاصبنا من فضلات الزاد وأنبتنا الماء البارد فانا لنصفح يومنا ونماملته
اذ صر أقصي الخليل أذنيه وغص الأرض بيديه فوالله ما لبث أن جال ثم حمم فبال
ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً فنضمضت الخليل وتكهكت الابل
وتنهوت اليفال فن نافر بشكالة وأهض بمقاله فعلنا أما قد أنبتنا وأنه السبع ففرع
كل واحد منا إلى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا زردفاً أرسالا وأقبل أبو الحارث
من أجنته يتظالع في مشيته كأنه مجنوب أو في عجار صدره نحيط وليلاعه غليظ
وأطرفه وميض ولأوسافه تقيض كأنما يحيط هتياً أو يطأ صريماً وإذا هامة كالجن وخد
كالسن وعينان سجران كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ريلة وطممة رهلة وكند
مقيط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شنة البران إلى مخالب
كالخاجن فضر ببيده فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالهاول مصقولة غير مقلولة
وفم أشدق كالغار الأخرق ثم عطى فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله
مثليه ثم أقى فافشع ثم مثل فا كفهو ثم نجهم فازبأر فلاوذو بيته في الدجاء ما أقيناه
الاباخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقه ثم نفذه نفضة فقضضض متنيه فعمل باخ
في دمه فذمرت أصحابي فبعد لأى ما استقدموا فجهجنا به فكر مقشراً بزبره كأن به

بنت زيد القوارس بن ضرار الضبي قيل يقول له

أشبه أبا أمك أو أشبه عمك ولا تكون كهلوف وكل

زيد على ^(١) - الوكل - الجبان - والهلوف - الحرم السن وهو أيضاً الكبير الحاجة
وأما أراد به هنا الأول

• وأرق إلى الخيرات زناً في الجيل •

فأخذته أنه جعلت تركه • وتقول

أشبه أخي أو أشبه أباكا أما أبي فلن تنال ذاكا

• تقصر عن مثاله بذاكا •

شما حولياً فاحتاج رجلاً أحر ذا حوايا لفضه فضاة ترايت منها مقاصله ثم منهم فقر فر
ثم زفر فبر ثم زار فجزر ثم لحظ فوافه غلت البرق بشار من تحت جفونه عن مثاله
ويبينه فارشت الأيدي واسمكت الأرجل وأطت الأشلاع وارفت الاسباع وشخصت
العيون وتحفت العيون وانزلت المنون فقال له عنان رضى الله عنه أسكت قطع الله لسانك
فقد أرميت قلوب المسلمين

[١] قوله - زيد على • قال في اللسان وعمل اسم رجل وأنشد الرجز • وفي
نوادير أبي زيد وزعموا أن قيس بن عاصم أخذ ابنه حكيماً وأمه منقوسة بنت زيد القوارس
الضبي فرقصه وقال

أشبه أبا أمك أو أشبه عمك ولا تكون كهلوف وكل

بيت في مقعده قد آجبدل وأرق إلى الخيرات زناً في الجيل

أبو حاتم وأبو عنان - عمل - وهو اسم رجل فأخذته منقوسة منه • ثم قالت

أشبه أخي أو أشبه أباكا أما أبي فلن تنال ذاكا

• تقصر أن تناله بذاكا •

ويروي تقصر عن مثاله كذا أنشد أبو زيد

• مجلس آخر ٨٠ •

[تأويل آية •• إن سأل سائل لعن قوله تعالى (وهديناه النجدين) إلى آخر

السورة •• فقال ما تأويل هذه الآية وما معنى ما تضمنته •• الجواب قلنا أما ابتداء
الآية فتد كبر بنم الله تعالى عليهم وما أزاح به عنهم في تكاليفهم وما تفضل به عليهم من
الآلات التي يتوسلون بها إلى منافقهم ويدفعون بها للضار عنهم لأن الحاجة إلى أكثر
المنافع الدينية والدنيوية ماسة فالحاجة إلى العيين للرؤية واللسان للتطبيق والشفتين لحبس
الطعام والشراب وأما كما في القم والتطبيق أيضاً •• فاما - التجديد في لغة العرب فهو
الموضع المرتفع من الأرض والغور الماطب منها وأما سمي للموضع المرتفع من أرض
العرب نجداً لارتفاعه •• واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم إلى
أن المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام
وابن مسعود والحسن وجاعة من المفسرين •• وروى أنه قيل لأمبر المؤمنين على عليه
السلام إن أناساً يقولون في قوله (وهديناه النجدين) انهما التدينان فقال عليه السلام
لاإنهما الخير والشر •• وروى عن الحسن أنه قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أيها الناس انهما نجان نجر الخير ونجر الشر فاجعل نجر الشر أحب اليكم من
نجر الخير •• وروى عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين نديا الأم •• فإن قيل كيف
يكون طريق الشر مرتفعاً كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر •• قلنا
يجوز أن يكون التماسك نجداً لظهوره وبروزه لأن كلف اجتنابه ومعلوم أن الطريقين
جميعاً باديان ظاهران ويجوز أيضاً أن يكون سبي طريق الشر نجداً من حيث يحصل
في اجتناب سلوكه والهدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثله ذلك في سلوك طريق
الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير ••
وقال قوم إنما أراد بالنجدين انابصرناه وصرفناه ماله وعاليه وهديناه إلى طريق استحقاق
الثواب وتبي النجدين على طريق عادة العرب في تسمية الأمرين إذا اتفقا في بعض الوجوه
وأجرى لفظة أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران •• قال الفرزدق

لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ^(١)

ولذلك لفظ كثيرة .. فأما قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) فليس وجهان .. أحدهما أن يكون فلا بمعنى الجحد ويتردأ لم أي لم يقتحم العقبة وأكفر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال - سبحانه (فلا صدق ولا صلي) أي لم يصدق ولم يصل .. وكما قال الخطيب

وإن كانت الشعاع عليهم جزوا بها وإن آمنوا لا كدروها ولا كدوا^(٢)

[١] صدره .. أخذنا بأفاق السماء عليكم

[٢] البيت من قصيدة يمدح بها آل شمس بن لؤي ومطلعها

ألم تفتننا بعد ما هجيت هند	وقد سرن حساً وأتلاب بنا نوحيد
ألا هذا عند وأرض بها عند	وهذا في من دونها التأي واليعد
وهند أي من دونها ذو قوارب	يقص بالبوصي معروف ورد
وان التي كسبنا عن معانير	على عقاب أن سددت كما سقوا
أنت آل شمس بن لؤي وأما	أنهم بها الاحلام والحسب البند
فان الشقي من أعادي صدورهم	وذو الجند من لا توالب ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيداً أناسها	وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقولوا عليهم لا أبا لأبيكم	من الكوم أوسد والسكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا لنا	وان ياعدوا أو فوا وان عقدوا شدوا
فان كانت التعمى عليهم جزوا بها	وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جمل حادث	من الدهر ردوا فضل أحلامكم ودوا
وان قاب عن لؤي يبيض كفتهم	توانى لم تطرز شواربهم يمد
وكيف ولم أعلمهم خذلوكم	على معظم وإن أدرككم قدوا
مطاعين في الوجامكاشيف للدي	بن طسم أبؤهم وبني الجد
فن مبلغ أبناء سعد فقد سي	الى السورة العليا لهم حازم جلد

وقال ما يستعمل هذا اللفظ من غير شكر لفظ لا أنهم يقولون لا جثنى ولا ذرثنى ويدون ما جثنى وان قالوا لا جثنى صالح إلا أن في هذه الآية ما يوجب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فعني التكرار حاصل .. والوجه الآخر أن يكون لاجارية مجرى الدعاء كقولك لا تجا ولا سلم ونحو ذلك .. وقال قوم فلا اقتحم العقبة أي لم لا اقتحم العقبة أو فلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) ولو كان أراد النبي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جداً لأن قوله تعالى فلا خال من لفظ الاستفهام وقبح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع .. وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله ثم قالوا تحبها قلت يهراً عذد الرمل والحصى والثراب^(٣)

رأي مجد أقوام أحبب يحتم على مجدهم لما رأى أنه الجهد
وتعلمنى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

[١] قوله ثم قالوا تحبها - الخ .. البيت يستشهد به النحويون على حذف هذا الاستفهام والاصل أحبها وقوله - يهراً - أي محباً وجزم به ابن مالك في شرح التيسير وأورد البيت شاعداً على نصبه بعامل لازم الأضمار .. وقيل التقدير أحبها حباً يهراً أي محبتي قلبية وأورد الزبير بن يكار البيت بالنقط قلت حتى عدد الرمل الخ .. وقال ابن الأعرابي في نوادر المهور المذكروب وأنشد البيت وقيل معناه جهراً لا أكلم من قولهم التمر الباهر أي الظاهر ضوؤه وقيل معناه نبأ كأنه قال نبأ لهم لما أنكروا عليه حبها لان قوله تحبها على الانكار .. والبيت من قصيدة له يقولها في معشوقته الثريا بنت عبد الله بن الحارث لما صرته ومطلعها

قال في صاحبي لي علم ما بي
أحب القتل أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالمد
ب اذا ما منعت برد الشراب
أزهقت أم نوفل إذ دعها
مهجتي ما لقائني من مناب
حين قالت لها أجبي فنالت
من دعائي قالت أبو الخطاب

فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به التني لم يتصل وقد ثبت انه متصل مع ان المراد به التني لأن قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) معلوف على قوله فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا فلهي انه ما اقتحم العقبة ولا آمن على ما بيناه. فاما المراد بالعقبة فاختلاف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحمها فك رقبة. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المتقون وأنا أريد أن تخفف لتلك العقبة. وروى عن ابن عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروى أيضاً انه قال العقبة هي النار نفسها فعلى الوجه الاول يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها لأن فك رقبة وما أتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعها. وقال آخرون بل العقبة ما ورد مفسراً لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمي ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشتقته عليها وليس يليق بهذا الوجه الجواب الذي ذكرناه في معنى قوله (فلا اقتحم العقبة) والله على وجه الدماء لأن الدعاء لا يحسن الا بالتسبيح له ولا يجوز أن تدعى على أحد بان لا يقع منه ما كلف وفروعه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى على أحد بأن لا يقع منه فهذا الوجه يطابق أن يكون العقبة هي النار نفسها أو عقبة فيها. وقد اختلف الناس في قوله فك رقبة فقرأ على عليه السلام ومجاهد وأهل مكة والحنبل وأبو رجا العطاردي وأبو عمرو بن العلاء والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأوا وأطعم على الفعل دون الاسم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام وعاصم وحزرة ويحيى بن وثاب وسقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة واطعام على المصدر وتوحيث للميم وضما. فنقرأ على الاسم ذهب الى أن جواب الاسم

فاجابت عند الدعاء كما أب

أبرزوها مثل الهامة تهادي

فتبدت حتى اذا جن قلبي

وهي مكنونة تحير منها

سلبني بحاجة المسك عتلى

ومنها

في رجال يرجون حسن الثواب

بين خمس كواعب أتراب

حال دوني ولأند بالثياب

في أديم الخدين عام الشباب

فسلوها ماذا أحل اغتصابي

بالاسم أكثر في الكلام وأحسن من جوابه بالفعل ألا ترى ان المعنى ما ادراك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة واطعام ذلك أحسن من أن يقال هو فك رقبة أو أطعم ومال الفراء الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) لانه فعل قالوا لى أن يتبع فعلاً وليس يمتنع أن نفس اقتحام العقبة وان كان إسما فهو فعل يدل على الاسم مثل قول القائل ما أدراك ما زيد يقول مفسراً يصنع الخير ويفعل المعروف وما أشبه ذلك فيأتي بالافعال - والسغب - الجوع وانما أراد أنه يعلم في يوم ذي جماعة لأن الاطعام فيه أفضل وأكرم. فاما مقربة فعناه يتهاذا قري من قرابة النسب والرحم وهذا حص على تقديم ذى النسب والقربى المحتاجين على الأجانب في الافعال - والمسكين - الفقير الشديد الفقر - والمترية مفعلة من التراب أي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجري مجرى قولهم في الفقير مدقع وهو مأخوذ من الدقع وهو الارض التي لا شيء فيها. وقال قوم ذا مترية أي ذا عيال والمرحة مفعلة من الرحمة وقيل أنه من الرحم وقد يمكن في مترية أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى بل من التقرب الذي هو من الخاصرة فكان المعنى أنه يعلم من خاسرته لصفت من شدة الجوع والضر وهذا أهم في ثامني من الاول وأشبه بقوله تعالى (ذامرية) لان كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر وليس من المبالغة في الوصف بالضر أن يكون قريب النسب والله أعلم براده. قال

الشريف المرتضى أوصى ائمة من طريق المدح ومليحه قول الشاعر

وَكَأَنَّهُ مِنْ وَقْدِهِ عِنْدَ الْقَرَأِ لَوْلَا مَقَامُ الْمَادِحِ الْمُسَكِّمِ

وَكَأَنَّهُ أَخَذَ النَّدَا بِنِيَابِهِ لَوْلَا مَقَالَتُهُ أَطْبَ لِلْمُؤَدِمِ

ومعيار ذلك قول محمد بن عارضة في المعنى

سَهْلُ الْفَنَاءِ إِذَا حَلَّتْ بِيَابِهِ طَلَقَ الْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ الْخُدَامِ

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ^(١)

[١] وقبلهما نعم الفتي جمعت به اخوانه يوم البقيع حيوات الايام

والايات لسببها أبو تمام في مختار شعر القبائل لحمد بن بشير الخارجي

(٢٦ - رابع امانى)

ومثله لأبي الهيثم

تَرَلَّتْ عَلَيَّ أَلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا غَرِيْبَاعِنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مَحَلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَإِنَّمَا هُمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلِي

ولأئمة بن القرامى يمدح عقبة بن سنان الجارثي

أَلَمْ تَرَنِي شَكَرْتُ أَبَا سَعِيدٍ بِنِعْمَاهُ وَقَدْ كَفَرَ الدَّوَالِ
وَلَمْ أَكْفُرْ سَحَابَتَهُ الْوَلَوِي مَطَرُنَ عَلَيَّ وَاهِيَةَ الْعَزَالِ
فَمَنْ يَكُ كَافِرًا نَعْمَاهُ يَوْمًا فَإِنِّي شَاكِرٌ أُخْرَى اللَّيَالِ
فَتَنِي لَمْ أَطْلُعِ الشَّعْرِي بِأَفْقِي وَلَمْ تَعْرِضْ لِيَمِينٍ أَوْ شِمَالِ
عَلَيَّ نِدَاءُ لَهُ إِنِّ عَبْدٌ مَجْدُهُ وَمَكْرُمَةٌ وَإِنِّي لِمَالِ
وَأَصْبِرُ فِي الْحَوَادِثِ إِنِّي أَلَمْتُ وَأَسْعَى لِلْمَحَامِدِ وَالْعَالِ
فَتَنِي عَمَّ الْبَرِيَّةِ بِالْعَطَايَا قَتَلْتُ صَارُوا لَهُ أَذْنَى الْعِيَالِ

.. فأما قول جرير

لَمْ أَقْضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْنِ أَرِي فَتَنِي إِذَا أَغْضَبْتُهُ لَمْ يَفْضُبِ
مَوْكُلُ الْمَيْنِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ أَقْضَى الْقَرِيبِينَ لَهُ كَالْأَقْرَبِ

فانه لم يرد إن الضعيف السبب في المودة كالقوى السبب وانما أراد أنه يرعى من غيب
الرفيق البعيد الغائب حقه ما يرماه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوى عنده لكرمه
وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت منازلها وهذا بخلاف ما عليه أكثر الناس من
مراعاة الحاضر القريب وإهمال حق البعيد .. هذا آخر مجلس أملاه الشريف المرتضى
علم الهدى ذو المجد بن أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه ثم تشاغل
بأمور الحج

فهرس الجزء الرابع من أمالي السيد المرتضى

- ٥٢ تأويل خبر كل مولود يولد على الفطرة الحديث
 ٥٤ تأويل قوله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا الآية
 ٥٥ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم في أطفال المشركين الله أعلم بما كانوا عاملين
 ٥٥ مسألة جواز التسخ في الأخبار
 (الجلس السابع والستون)
 ٥٥ تأويل قوله تعالى : فأما الذين شقوا في النار الآية
 ٥٩ استرواح بذكر تورك الأمدى على البحرى في بعض أشعاره
 ١٥ تقرير لطيف في الاعتذار للبحرئ وفيها يجب أن يحمل عليه كلام الشاعر في المبالغات
 (الجلس الثامن والستون)
 ١٥ تأويل قوله تعالى : أسمع بهم وأبصر الآية
 ١٥ تأويل قوله تعالى : صم بكم عني فهم لا يعقلون
 ١٨ مسألة في أن الرجاء الحبيب قد يكون سببا لانباء قريحته وتوقد فكره وانتقاله
 إلى ما هو أروع في الكلام وذكر أحسن ما ورد في ذلك
 ٢٢ استطراد لذكر حكاية لطيفة فيما وقع لعبد الله بن سوار بسبب الذباب
 ٢٣ تأويل قوله تعالى : وأذنبناكم من آل فرعون الآية
 ٢٤ مسألة في أن البلاء يستعمل في الخير كما يستعمل في الشر
 ٢٥ مسألة في أن العرب قد تخطب الشخص بما لقيه لتكته ومناسية
 ٢٦ استرواح بذكر نثر من الحسن الشعرية في الكرم وحب الضيافة والائن
 بهما وغير ذلك
 (الجلس الستون)
 ٣٣ تأويل قوله تعالى : ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الآية
 ٣٦ التشبيه في اللغة العربية وغاية ما ورد فيه
 ٣٦ شواهد تشبيه الواحد بالواحد
 ٣٨ شواهد تشبيه شيئين بشيئين
 ٤١ شواهد تشبيه ثلاثة بثلاثة

نخيفه

- ٤٢ شواهد تشبيه أربعة بأربعة
 ٤٣ شواهد تشبيه خمسة بخمسة
 ٤٣ شواهد تشبيه ستة بستة وهو غاية ما ورد
 (الجلس الواحد والستون)
 ٤٣ تأويل قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا أن سبنا الآية
 ٤٤ استرواح بذكر أشعار مستحسنة
 ٤٤ ضادية بشار
 ٤٦ ضادية أبي تمام
 ٤٧ ضادية البحرئ
 ٤٨ مختارات شعر بشار في وصف الزمان
 ٤٩ مختارات من شعره في وصف الفواني والفناء والعارب
 (الجلس الثاني والستون)
 ٥٤ تأويل قوله تعالى : الله يشركي بهم ويعلمهم الآية
 ٥٦ استطراد لذكر أن العرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه تقليدا
 ٥٦ تسميتهم الشيء باسم شيء آخر لتعلق بينهما
 ٥٨ عود لتأويل الآية السابقة
 ٥٩ تأويل قوله تعالى : ويعلمهم في طبقاتهم يعيرون
 ٥٩ استرواح لذكر ما يستحسن ما ورد في ذكر الأوطان والحبوب إليها
 (الجلس الثالث والستون)
 ٦٢ تأويل قوله تعالى : وقانا اهبطوا بمضكم بعض عدوا الآية
 ٦٣ شواهد خطاب الاثنين بخطاب الجمع
 ٦٥ ذكر بعض ما يستحسن في المدايح الشعرية
 (الجلس الرابع والستون)
 ٧١ تأويل قوله تعالى : أنظر كيف ضربوا لك الأمثال الآية
 ٧١ بحث دقيق في أن القدرة هل هي مع الفعل أولا
 ٧٤ تأويل خبر معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله الحديث
 ٧٥ ذكر جملة من معاني السماء والاستشهاد عليها

(المجلس الخامس والستون)

- ٧٦ تأويل قوله تعالى : اذا جاء أمرنا وفار التنور
٧٧ تأويل خبر على رضى الله تعالى عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم الحديث
٧٩ استرواح بذكر أحسن ما قيل في وصف النفر

(المجلس السادس والستون)

- ٨٧ تأويل قوله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة الآية

(المجلس السابع والستون)

- ٩٦ تأويل قوله تعالى : الذى جعل لكم الارض فراشاً الآية
٩٦ بحث في الاستدلال بهذه الآية على ان الارض بسيطة
٩٩ ذكر جملة من المحاسن الشعرية فسرت بتفاسير مختلفة وهى محتمة للكل
(المجلس الثامن والستون)

- ١٠٥ تأويل قوله تعالى : يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء الآية
١٠٥ مسألة في ان هارون هل كان أخاً مريم حقيقة أم لا
١٠٧ شواهد وضع الماضى موضع الحال والاستقبال وعكسه
١١٠ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ونحوه
١١٣ تحقيق في مسألة العدوى

(المجلس التاسع والستون)

- ١١٥ تأويل قوله تعالى : ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً الآية
١١٧ استرواح بذكر ما قالته أسماء بنت خارجة بن حصن الفزاري في الذئب
١١٩ ما قاله النجاشي في ذلك
١٢٠ ما قاله الفرزدق فيه أيضاً
١٢١ ما قاله قيس الفزاري وحيد بن ثور في ذلك
(المجلس السبعون)

- ١٢٣ تأويل قوله تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية
١٢٤ تحقيق مسألة رؤيته تعالى وسؤال سيدنا موسى عليه السلام له وبسط الكلام على ذلك
١٢٨ استرواح بذكر ما يستجد من قول أبي العاصى المازني
(المجلس الواحد والسبعون)

- ١٢٩ تأويل قوله تعالى : واذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها الآية
١٣٠ مسألة تأخير المقدم وتقديم المؤخر في كلام العرب والاستشهاد على ذلك
١٣٢ استرواح بذكر ما يستجد من الشعر في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها
١٣٢ من ذلك مرثية نهد بن جري لاخته مالك
١٣٣ ومنه قول حارثة بن بدر الغداني
١٣٣ ومنه قول أبي العتاهية
١٣٤ ومنه قول البحتري

(المجلس الثاني والسبعون)

- ١٣٧ تأويل قوله تعالى : هو الذى خلقكم من نفس واحد الآية
(المجلس الثالث والسبعون)

- ١٤٣ تأويل قوله تعالى : أتعبدون ما تختون الآية
١٤٥ مسألة في تحقيق خلق أفعال العباد
١٤٦ استرواح بذكر ما يستجد من كلام بعض نساء بني أسد
١٤٧ ما يستجد من كلام ولادة الطرية
١٤٧ ما يستجد من كلام امرأة من بني سعد
١٤٨ مرثية عمرة بنت العجلان لاختها عمرو

(المجلس الرابع والسبعون)

- ١٥٣ تأويل قوله تعالى : ولا ينفعكم نصي ان أردت أن أتبع لكم الآية
١٥٦ قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم
(المجلس الخامس والسبعون)

- ١٦١ تأويل قوله تعالى : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن الآية
١٦٢ بحث في الإشارة الى المجلس من غير ارادة العموم
١٦٢ في نورك أبي العباس بن عمار على بعض أقوال أبي تمام
١٦٦ مناقشة المؤلف في نورك ابن عمار المذكور
(المجلس السادس والسبعون)

- ١٦٧ تأويل قوله تعالى : واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان الآية
١٧٢ ذكر ترجمة خالد بن صفوان وشي من أخباره

(المجلس السابع والسبعون)

- ١٧٣ تأويل قوله تعالى : انه ليحزنك الذي يقولون الآية
 ١٧٤ مطلب ما أبي جهل بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وجهده ذلك عناداً
 ١٧٥ قصيدة لعمر بن ربيعة وواقعة ذلك
 ١٧٧ مطلب اختلاف القراء في قراءة لا يكذبونك وتأويلها حسب القراءة
 ١٧٨ قصيدة لمطروود بن كعب الخزاعي وشرح
 ١٨١ أبيات لدعبل في تفضيل الشعر وبقائه ما بقي الدهر

[المجلس الثامن والسبعون]

- ١٨٢ تأويل قوله تعالى : ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
 ١٨٤ ترجمة منصور بن سعة الغنوي وأخباره مع الرشيد وقطع من مختار شعره

(المجلس التاسع والسبعون)

- ١٨٨ تأويل قوله تعالى : واذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت
 ١٨٩ مطلب عزيز في اختلاف تأويل الآية بحسب اختلاف القراءة
 ١٩٠ مطلب في تأويل أبي علي الجبائي لهذه الآية
 ١٩١ أخبار صمصمة بن ناجية جد الفرزدق في فديهِ المؤودات واختصار الفرزدق بذلك
 ١٩٢ خبر وفود صمصمة المذكور على النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته له
 ١٩٢ تأويل خبر انه نهى صلى الله عليه وسلم ان يصلي الرجل وهو زناه
 ١٩٣ قصيدة للاخطول في مدح عبدالله بن معاوية بن أبي سفيان
 ١٩٣ قصة أبي زيد الطائي في وصفه الاسد لعثمان بن عفان رضى الله عنه
 ١٩٥ خبر قيس بن عاصم المنقري وترقيصه صبيلاً له

(المجلس الثمانون)

- ١٩٧ تأويل قوله تعالى : وهديناها للجنتين
 ١٩٨ قصيدة لاحتشبه بمدح بها آل شماس بن لأي
 ١٩٩ شرح بيت عمر بن أبي ربيعة : ثم قالوا لمحبها قلت بهرا
 ٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ثم اقتحم القبة الى آخر الآيات
 ٢٠١ حاشية للمجلس في ذكر مقطعات من طريق المدبح

(تم الفهرس)



(اطلبوا من مكتبة محمود علي صبيح واخيه محمد بميدان الازهر)

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ هـ
المفصل في اللغة العربية للزخشرى قاموس في اسرار اللغة العربية
الامالي : في علوم التفسير : والحديث : والادب اربعة اجزاء
اكام المرجان : في غرائب ومعجائب الجان
درة التنزيل . وغرة التأويل . في الايات المشابهات في القرآن الجليل
مواسم الادب . وافر العرب والعجم جزان
الرياض النضرة في تاريخ الخلفاء و مناقب العشرة جزان
مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية جزان
سلافة العصر . في محاسن الشعراء بصر
شرح فضوض حكم العرب للفيلسوف القراني
الصنائع في الكتابة والشعر
الشفاء في الاحاديث وعليه شرح لملا علي طبع عال جزان
سلوك الممالك في تدبير الممالك
تميز الطيب . من الحديث في الاحاديث
مسك الدفاتر . تأليف ابراهيم بك سلامة
ارشاد الفحول . في علم الاسول لصاحب نيل الاوتار
الحكمة السعدية في الحكمة والفلسفة
البحر النبوية لابن هشام ثلاثة اجزاء من الورق الابيض "عال
دلائل الاعجاز في علوم البلاغة
ويوجد بالمكتبة كتب من كل فن خلاف الموضح م

محمود علي صبيح واخيه

